

مَكَلَّةُ الْإِسْلَامِ

مَتَّكَمٌ
سَمَكَةُ الْإِسْلَامِ الْبَکَامِدِ
السَّيْدِ مُحَمَّدِ بْنِ السَّيِّدِ الرَّيِّ

مَنْشُورَاتُ
مَكْتَبَةِ الْإِسْلَامِ السَّحِيحِينَ تَمِيْمِ السَّلَامِ
الْكُوَيْتِ

مکنا الاسام

هكذا الإسلام!

بقلم

مسألة الأيمان المجاهد
السيد محمد الشيرازي

وفق مكتبة

أحمد بدر يعقوب غرب

منشورات

مكتبة الامام الحسين عليه السلام

الكويت



طبع واخراج :
مؤسسة الأعلمي للطبعوعات - بيروت - لبنان
ص.ب : ٧١٢٠

الطبعة الأولى
حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الناشرين

« هكذا .. الاسلام » .!

كتاب قيم يضم ثلاثة كتب طبعت سابقاً بشكل مجزأ تحت
الأسماء التالية :

١ - ما هو الاسلام ؟

٢ - في ظل الإسلام .

٣ - عبادات الإسلام .

ونظراً للطلب المتزايد عليها من قبل المغتربين والمثقفين من مختلف البلاد ..
فقد عمدت مكتبة الإمام الحسين عليه السلام العامة الى جمعها في كتاب واحد ،
ليكون باكورة انتاجها الثقافي من أجل نشر الوعي الاسلامي والمساهمة في تحمل
مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وتأتي اهمية هذا الكتاب ، في انه يعطي صورة كاملة للايديولوجية
الاسلامية في عمق ، ووضوح وشمول .

فالكتاب الأول : عرض مبسط ، وشامل للاسلام في كافة جوانبه ،
ويمكن اعتباره « فهرسا » لما يتعرض له الاسلام من قضايا الحياة .
أما الكتاب الثاني ، فهو شرح لوضع الانسان ، والمجتمع في ظل الاسلام ،
مع المقارنة بالايديولوجيات الاخرى .
والكتاب الثالث : بيان لفلسفة الاسلام في العبادات يجمع بين التحليل
العلمي ، والشرح الديني ...
ونحن إذ نقدم هذا الكتاب إلى القراء الكرام ، لا يسعنا إلا أن نتقدم
بجزيل الشكر إلى سماحة آية الله العظمى الإمام السيد محمد الشيرازي ، على
تفضله بقبول جمع هذه الكتب ، ورعايته لمختلف الشؤون الفكرية والثقافية
وتشجيعه على العمل وتحمل المسؤولية ..
ونسأل الله العظيم التوفيق لما فيه رضاء ، انه قريب مجيب الدعاء ..

١ محرم ١٣٩٩ هـ

ادارة

مكتبة الإمام الحسين عليه السلام العامة

في

حسينية الرسول الاعظم

الكويت

ما هو الاسلام ؟

مقدمة المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم إلى قيام يوم الدين .

وبعد : في عالم اليوم الذي أخذت المادة فيه بالأكظام ، وطغت البهارج فيه على كل شيء ، وانعدم فيه الإطمئنان والهدوء ، وقامت فيه الثورات والحروب ، مما أزعج الكل ، وسلب الإستقرار والأمن عن الجميع .. أخذ الناس يلتمسون المخرج الذي يوجب الهدوء والسكينة ، والدواء الذي يشفي هذا المرض العام ويذهب بالألام والأسقام .

وقد كنت أفكر منذ زمن بعيد أنه لو عمل الناس بالإسلام ، كما أنزله إله السماء لكان منه العلاج التام ، وإزالة كل قلق واضطراب ومرض وهيام ، فالإسلام حياة ونور واطمئنان وسلام كما قال سبحانه في القرآن الحكيم : [إذا دعاكم لما يحببكم] . وقال تعالى : [والنور الذي أنزل] . وقال عز شأنه : [ألا بذكر الله تطمئن القلوب] . وقال جلت آلائه : [يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام] ، بالإضافة إلى أن الإسلام يحل مشاكل الحياة كلها كما قال الله تعالى : [يحل لهم الطبيات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم] .

لكن الجماهير الكثيرة من المسلمين ، فكيف بغير المسلمين ، يجهلون هذه الحقيقة ، ولذا يعانون كل هذه الويلات كالذي يعيش فوق كتف ، في .. جوع وعري وشقاء .

إذاً من الضروري ، تعريف الناس بالإسلام ، وتعريف الإسلام للناس علته يوجب لهم الأخذ به ، فالسعادة في الدنيا ، فالفوز يحنة عرضها السموات والأرض .. في الآخرة .

هذا ما حداني الى تأليف هذا الكتاب (ما هو الاسلام ؟) وحيث كان الغرض هو : (التعريف) فحسب ، اقتصرنا فيه على الموجز جداً ، من كل شيء .. لينكون أقرب إلى المظالعة ، لكافة الطبقات ، والله سبحانه هو المسؤول في أن يقرنه برضاه ، ويجعله وسيلة للهداية ، وهو الموفق المستعان .

محمد

كربلاء المقدسة

الفصل الأول

في الإسلام

س : ما هو الإسلام ؟

ج : الإسلام : عقيدة وشريعة تكفل جميع ما يحتاج إليه البشر ، في مختلف مراحل الحياة .

س : من نظم الإسلام ؟

ج : الإسلام ليس من تفكير البشر ، وإنما أنزله (الله) تعالى ، كاملاً غير منقوص .

س : هل الإسلام صالح للبقاء إلى الأبد ؟ . وهل يصلح لكل زمان ، ومكان ، وأمة ؟ .

ج : أنزل الله تعالى الإسلام ليكون دين البشر إلى الأبد ، في جميع الأزمان والبلاد ، ولجميع الأمم .

س : على من أنزل الإسلام ؟ .

ج : أنزل الله الإسلام ، على آخر أنبيائه محمد ﷺ .

س : في أي وقت كان نبي الاسلام ؟ .

ج : قبل (أربعة عشر قرناً) وبعد المسيح عليه السلام بما يقارب (خمسة قرون) ففي هذه السنة وهي سنة (١٣٨٧) هجرية ، يمضي من عمر الإسلام ، ألف وأربعمائة سنة ، وتصادف السنة (١٩٦٧) من ميلاد المسيح عليه السلام .

س : ما هو الفرق بين دين الإسلام ، ودين المسيح ، ودين موسى الكليم وسائر الأديان ؟ .

ج : الأديان التي انزلها الله تعالى من السماء الى الارض كثيرة وكل دين كان يلائم الزمان الذي شرع ذلك الدين له ، فإذا جاء الدين المتأخر ، نسخ الدين السابق ، وهكذا الإسلام فإنه آخر الأديان المنزلة من السماء لهداية البشر . والفرق بين الأديان كالفرق بين المدارس المتدرجة (الابتدائية ، الثانوية ، الكلية) وهكذا كلما ترقى الإنسان جاء دين أكمل يناسب رقيه ، حتى جاء الإسلام الذي هو دين البشرية إلى الابد .. والأديان ليست مختلفة في جوهرها ، وإنما تختلف في بعض المزايا . والخصوصيات ، حسب اختلاف مراتب تحول البشر .

س : هل الإسلام متطور ، أم لا ؟

ج : للإسلام جانبان :

١ - الجانب الثابت الذي لا يصح فيه التطور ، وهو الجانب الذي إن تسرب اليه التطور سبب الخبال والفساد ، مثلاً : حسن (الصدق) و (الامانة) وقبح .. (الظلم) و (البخل) وحرمة (الاحتكار) و (القتل) ووجوب (الصلاة) و (الصيام) ولزوم (رضى المتعاملين) وما أشبه ذلك .

٣ - الجانب المتطور الذي يصح فيه التبديل والتغيير ، فإن الإسلام ذكر

قواعد عامة تنطبق على الامور المتطورة ، مثلا : إذا تبذلت وسائل النقل من (دواب) إلى (عربات) إلى (سيارة) إلى (قطار) إلى (طائرة) إلى (صاروخ) ، وتبذلت وسائل ... الإثارة من (شمع) إلى (زيت) إلى (كهرباء) إلى (ذرة) وهكذا فإن الإسلام أباح هذا التطور ، بل حث عليه ، في مختلف الحاجات .

س : هل الإسلام كاف لجميع حاجيات البشر ؟ . وكيف ذلك ؟

ج : الإسلام يكفي لجميع حاجات البشر ، لأنه دين أنزله الله بكل الامور .

أما أنه كيف يكون الإسلام كافياً ؟ . فذلك لان (القرآن الحكيم) و (السنة .. المطهرة) بيئنا قسمين من التشريع :

١ - التشريعات الخاصة التي تنص على المواضيع المخصوصة ، نحو حرمة (شرب الخمر) .

٢ - التشريعات الكلية ، التي تتكفل الموضوعات العامة ، نحو حرمة (شرب كل مسكر) .

س : كيف تقولون بأن الإسلام يكفي لجميع حاجات البشر كلها ، وقد نرى أموراً جديدة ، لم يكن لها ذكر في (القرآن) و (السنة) مثلا : (المصارف) و ... (التأمين) مما لم يكن له عند نزول الإسلام عين ولا أثر .

ج : حيث أن الإسلام دين الله الذي أنزله لهداية البشر إلى الابد ، والله عالم بكل شيء لذا كان كافلاً لجميع حاجات البشر ، حتى المتجددة منها.. والمثاليين الذين ذكروا ، بيئنا الإسلام حكماً بتشريعاته الكلية ، فـ (المصارف) عبارة عن عدة أمور ذكرها الإسلام في تشريعاته (قرضاً) و (كفالة) و (حوالة) وما أشبه .. و (التأمين) مشمول لقوله سبحانه : [إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم] .

واقوله سبحانه [اوفوا بالعقود] . بالشرائط المذكورة في كتب
(الفقه) .

س : ما هو الإحتياج الى الإسلام ؟ .

ج : الإسلام - كما تقدم - عقيدة وشريعة :

أما العقيدة الإسلامية ، فهي (أولاً) حقيقة ، فالذي لا يعتقد بها ،
كان معتقداً للخرافة ، و (ثانياً) ان الذي لا يعتقد بالعقيدة الإسلامية
يكون في الآخرة خاسراً .

وأما الشريعة الإسلامية ، فالذي لا يلتزم بها ، يوجب هدم حياته
الدينيوية - فضلاً عن العقاب في الآخرة - إذأ فالشريعة الإسلامية هي
أحسن من جميع الشرائع... والقوانين ، التي تصلح حال البشر ، في مختلف
مراحل الحياة... وبالجملة فإن سعادة البشرية في الدنيا والآخرة تتوقف
على الإسلام .

س : (أولاً) كيف نعرف أن وراء هذا العالم عالماً آخر يسمى به (الآخرة)
تتوقف سعادة الانسان فيها على الإسلام .. ؟ و (ثانياً) ما الدليل على
أن الشريعة الإسلامية هي خير من جميع الشرائع والقوانين ، فهي
الأصلح بحال البشر دون سواها... ؟

ج : أما وجود العالم الآخر ، بعد هذا العالم ، فتدُل عليه الأدلة العلمية
المذكورة في كتب (الكلام) كما تدل عليه الابحاث (النفسية)
- كالتنويم المغناطيسي وتحضير الارواح ، وما اشبه - الدالة على
خلود الروح بعد الموت^(١) .

(١) راجع (العقائد الإسلامية) و (كيف عرفت الله) و (هل تحب معرفة الله)
للمؤلف .

وأما أن الشريعة الإسلامية احسن من جميع الشرائع و (القوانين)
فذلك يظهر بالمقارنة بين قوانين الإسلام وبين سائر القوانين الموضوعة لمختلف
حاجات البشر (١) .

واليك موجز من شهادة علماء الغرب حول هذا الموضوع .

يقول (برنارد شو) : « أنه لو قولى العالم الأوروبي رجل كمحمد لشفاه
من علة كافة ، بل يجب أن يُدعى منقذ الإنسانية ... إني اعتقد ان
الديانة المحمدية هي الديانة الوحيدة التي تكون حائزة لجميع الشرائط
اللازمة ، وتكون موافقة لشيء مرافق الحياة .. لقد تثبتت بأن دين
محمد سيكون مقبولاً لدى أوروبا غداً وقد بدى يكون مقبولاً لديها
اليوم ... ما أحوج العالم اليوم إلى رجل كمحمد يحل مشاكل العالم » .

ويقول (الدكتور جرينه الفرنسي عضو مجلس النواب) :

« تثبتت كل الآيات القرآنية التي لها ارتباط بالعلوم الطبيعية والصحية
والطبية التي درستها من صفري ، وفهمتها جيداً ، فوجدتها منطبقة
كل الانطباق على ممارفنا الحديثة ، فأسلت لأني تيقنت أن محمداً أتى
بالحق الصراح من قبل ألف سنة ، من غير أن يكون له معلم أو مدرس
من البشر ، ولو أن صاحب كل فن من الفنون أو علم من العلوم ، قارن
كل الآيات المرتبطة بما يعلمه جيداً ، كما قارنت أنا لأسلم بلا شك ، إن
كان عاقلاً ، خالياً من الاغراض »

ويقول (ماركس دكتوراه في الفلسفة) :

« محمد هو أول رسول سُجِّلت جميع أقواله . ومن هنا يتبنى الإنسان
المركز الممتاز الذي يتمتع به محمد ، وما تتمتع به أحاديثه من الصحة

(١) راجع (التشريع الجنائي الإسلامي) : عبد الرزاق عودة .

والدقة .. والصدق ، والحقيقة الثابتة هي أنه قد بُعث رسولا ليجدد للعالم رسالة هي صفوة الرسائل السالفة ، رسالته هي الدستور الثابت للعالم ، فكل ما جاء به محمد تستسيغه الافهام الحديثة .

ويقول (شيرل عميد كلية الحقوق بجامعة فيينا) :

« إن البشرية تفتخر بانتساب (رجل كبير كمحمد) إليها إذ أنه رغم أمنيته استطاع قبل بضعة عشر قرناً أن يأتي بتشريع سنكون نحن الاوروبيون أسعد ما نكون لو وصلنا الى قمته بعد ألفي عام . »

ويقول (الدكتور المؤرخ ريتين) :

« دين محمد قد أكد إذاً من الساعة الاولى لظهوره في حياة النبي أنه دين عام ، فإذا كانت صالحاً لكل جنس كان صالحاً بالضرورة لكل عقل ، ولكل درجة من درجات الحضارة . »

ويقول (الفيلسوف كيرلس الأول) :

« إن في الشرق قانوناً قد نظمه وأسهه الفيلسوف العربي « محمد » لو ان العالم بجميع عناصره أتبع نهج هذا الفيلسوف العربي والتزموا جميعاً بقانونه لم يك في العالم كله دولتان بل دولة واحدة ، ولم يختلف اثنان ولم يفتقر أحد الى أحد . »

الى غيرها من التصريحات الكثيرة ، من مفكري الغرب وفلاسفتها .

س : كم عدد مسلمي عالم اليوم ؟

ج : غير معلوم بالضبط ، لكن الإحصاءات المذكورة في بعض الكتب والمجلات ، تشير الى أن عددهم يقارب (الثمانمائة مليون) نسمة .

س : أين يسكن المسلمون ؟

ج : المسلمون منتشرون في كل بلاد العالم تقريباً ، وأكثرهم في (آسيا) و (أفريقيا) .

س : هل يعتقد المسلمون أن دينهم سيصبح دين أهل العالم كله ؟ .

ج : نعم يعتقد المسلمون أن دينهم سيصبح دين أهل العالم حتى لا يبقى غير مسلم إطلاقاً ، كما وعد القرآن الحكيم حيث قال : « ليظهره على الدين كله » وفي أحاديث متواترة عن النبي والأئمة الأطهار عليهم السلام أن في آخر الزمان يظهر رجل من نسل نبي الإسلام يسمى به (الإمام المهدي) ~~عليه السلام~~ يعمم الإسلام في كل الأرض .

س : ما هي نظرة الإسلام إلى « الحياة الدنيا » ؟ . وهل الإسلام دين (للعادة) أو (للروح) أو لهما ؟ .

ج : نظرة الإسلام إلى الحياة ، وإلى المادة والروح تتلخص في قوله سبحانه في .. القرآن الحكيم : [ومنهم من يقول : ربنا آتتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار ، أولئك لهم نصيب مما كسبوا] وفي الحديث الشريف : « ليس منا من ترك دنياه لآخرفته ، وليس منا من ترك آخرفته لدنياه » .

وفي الحديث الآخر ، « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً » .

س : ما هي حدود البلاد الإسلامية ، في القرون السابقة ، وفي هذا القرن ؟ وكيف انتشر الإسلام ؟

ج : يحتاج الإطلاع على هذين الموضوعين إلى مطالعات كثيرة في كتب متعددة ، ويكفي الإطلاع على موجز ذلك بمطالعة كتاب : (خارطة العالم الاسلامي) وكتاب (الدعوة الى الإسلام) .

الفصل الثاني

العقيدة الاسلامية

س : ما هي العقيدة الاسلامية ؟

ج : العقيدة الاسلامية تحتوي على أصول ثلاثة ، وما يتبع تلك الأصول .

س : ما هي الأصول الثلاثة ؟

ج : الأول – الاعتقاد بأن لهذا الكون إلهاً عالماً قديراً حكيماً سمياً بصير ، كان من الأزل ويبقى الى الأبد . مستجماً لجميع صفات الكمال ، خالياً عن كل نقص وعيب ، وهذا الإله واحد لا شريك له ، ولا يشبهه شيء من خلقه ، ولا يمكن رؤيته لا في الدنيا ولا في الآخرة ... وقد دلت الأدلة والبراهين على (توحيده) .

س : ما معنى التوحيد ؟

ج : التوحيد على أربعة أقسام :

١ – توحيد الذات : بمعنى أن الله سبحانه واحد لا شريك له ، وليس

مركباً له جزء كالإنسان الذي هو مركب من أجزاء .

٢ – توحيد الصفات : بمعنى أن صفاته عين ذاته ، لا أثنائية بين الذات

والصفات فليس الله سبحانه كالإنسان الذي علمه غير ذاته وقدرته
غير ذاته ، بل ذاته تعالى عين علمه وعين قدرته وهكذا ...

٣ - توحيد الافعال ، بمعنى أن كل ما في الكون من المخلوقات إنما هي
من خلقه تعالى .

٤ - توحيد العبادة ، بمعنى أنه لا تحق العبادة إلا له تعالى .

س : ما هو الثاني من أصول العقيدة الاسلامية ؟

ج : هو النبوة ، ومعناها أن الله سبحانه أرسل أنبياء الى البشر ، لهداية الى
الحق والى صراط مستقيم .

س : - من هو أول الأنبياء ؟

ج : أول الأنبياء أبونا (آدم) عليه السلام ، فقد خلقه الله سبحانه من (الطين)
ثم خلق (زوجته) (حواء) عليها السلام ، ورزقها ولدين هما (هابيل ،
وقابيل) ثم خلق سبحانه (فتاتين) لا من آدم وحواء ، بل خلقا
ابتدائياً ، وتزوج هابيل وقابيل بهاتين الفتاتين ، وصار لهما أولاد ،
فأخذ أبناء العم بنات العم وابتدأ يكثر النسل البشري .

س : من هو آخر الانبياء ؟

ج : آخر الأنبياء ، نبي الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم .

س : كم عدد الأنبياء ؟

ج : عددهم « ١٢٤ ٠٠٠ » نبي... ومن أولئك الأنبياء (نوح) و(ابراهيم)
و(موسى) و(عيسى) وهؤلاء الأنبياء الأربعة مع نبي الاسلام هم
أعظم من سائر البشر .

س : ما هو الفرق بين الانبياء وبين سائر البشر ؟

ج : الفرق هو أن الأنبياء يوحى اليهم من قبل الله تعالى ، ويؤمرون بأوامر ،

لأنفسهم أو لتبليغ تلك الأوامر الى البشر ... بخلاف سائر الناس الذين لا يوحى اليهم بل إنهم مأمورون باتباع الأنبياء .

س : من أين نعرف أن الذي يدعي النبوة صادق في كلامه ؟

ج : نعرف صدق مدعي النبوة ب (المعجزة) والمعجزة عبارة عن جريان خرق العادة على يد النبي ، مما يدل أنه من قبل الله تعالى ، وإلا لما تمكن من هذا العمل .

س : مثلوا المعجزة ؟

ج : مثلاً :

- ١ - (ابراهيم) عليه السلام ، ألقى في النار فلم يحترق .
- ٢ - (موسى) عليه السلام ، كان يلتقي عصاه فتتقلب ثعباناً عظيماً ، ثم اذا أخذه رجع الى حالته الأولية .
- ٣ - (عيسى) عليه السلام ، كان يبرئ الأكمه والأبرص ، ويحيي الموتى بإذن الله .
- ٤ - (محمد) ﷺ ، شق القمر نصفين ، وجاء بالقرآن ... الكريم ، الذي عجز الخلق عن الإتيان بمثله .

س : كيف عجز الخلق عن الإتيان بمثل القرآن ؟

ج - (القرآن) الكريم ، تحدى البشر في الإتيان بمثله فقال :

[قن لئن اجتمعت الجن والانس على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً] ولما عجزوا عن ذلك تحداهم بأن يأتوا بمثل عشر سور من القرآن ، فقال : [فأتوا بعشر سور مثله مفتريات] ولما عجزوا عن ذلك تحداهم بأن يأتوا بمثل سورة القرآن ، فقال : «فأتوا بسورة من مثله» ... لكنهم عجزوا عن ذلك كله مع أنهم كانوا فصحاء بلغاء ، وصلوا الى قمة الشعر والبيان ، وأخيراً حاربوا الرسول .

لما لم يتمكنوا من الإتيان بمثل القرآن حتى أقصر سورة منه ، كسورة الكوثر ، وهي :

[بسم الله الرحمن الرحيم ، إنا أعطيناك الكوثر ، ، فصل لربك وانحر ، إن شانئك هو الابتر] .

س : ما هي صفات الأنبياء ؟

ج : يشترك الأنبياء ، والأئمة والملائكة في صفة تعميمهم جميعاً وهي (العصمة) ... ومعناها أنهم لا يعصون الله تعالى من أول عمرهم إلى آخره ، وذلك لأنهم يعرفون عظمة الله تعالى ، كما يدركون قبح المعصية تماماً ، وهذان يمنعانهم عن العصيان ، كما أن الأنبياء والأئمة يتصفون بفضائل الأخلاق ، كالشجاعة والسخاء والغيرة ... والشهامة وغيرها ، وهم منزهون عن الرذائل .

ويلزم أن يكونوا أفضل أهل زمانهم - اطلاقاً - ولذا يجب على الناس اتباعهم .

س : هل يوجد في الأنبياء والأئمة جانب إلهي ، كما قال النصارى بالنسبة إلى المسيح عليه السلام ؟

ج : كلا ، فإن الأنبياء والأئمة بشر ، منتهى الأمر ، انه يوحى إليهم من قبل الله تعالى ... ويتصفون بالعصمة ، وسائر الصفات الحسنة ، والمسيح عليه السلام لم يكن إلا بشراً خلقه الله سبحانه وتعالى من (ام) فقط بدون (أب) كما خلق (آدم) و(حواء) بدون أب ولا ام .

س : ما هو الثالث من اصول العقيدة الاسلامية ؟

ج : الثالث من اصول العقيدة الاسلامية هو : (المعاد) ، ومعناه أن الله سبحانه وتعالى بعد فناء العالم ، وموت كل ذي روح ، يعيد الناس إلى الحياة ، ليجزئهم بما عملوا في دار الدنيا فمن آمن وأحسن كان جزاؤه

الجنة ، ومن كفر أو عصى كان مصيره النار .

س : كثير من الناس لا يعلمون الحق ، وهم قاصرون عن معرفة الحقائق ،
إما لقلة إدراكهم كالمجانين والسفهاء ، وإما لأنهم بعيدون عن مراكز
الايان ، فلا يسمعون لقلة اتصالهم بالحق ، فهل هؤلاء كفار يدخلون
النار ؟

ج : كلا ، لا يدخل النار إلا من تمت عليه الحجة ، أما المجانين والقاصرون
فإنهم 'يتمحنون في (المعاد) يوم القيامة ، فمن نجح هناك كان مصيره
الجنة ، ومن سقط كان مصيره النار .

س : هل الانسان اذا مات بطل ، حتى يوم القيامة ؟

ج : كلا ، بل ان الانسان اذا مات يفسد جسمه ، أما روحه فتبقى حية ،
فإن كان مؤمناً ، محسناً في الدنيا ، تنعم بعد الموت ، وإن كان كافراً
وعاصياً ، عذبت روحه بعد الموت .

س : ما اسم هذا العالم الذي هو بعد الدنيا ، وقبل يوم القيامة ؟

ج : اسم هذا العالم (البرزخ) ، وعلى هذا فالانسان من بدئه الى ختمه يمر
بمعال ستة :

١ - العالم قبل الانسانية ، فان كل انسان يكون أولاً تراباً ، ثم نباتاً
وحيواناً ، فإذا أكلهما الانسان انعقدت نطفته .

٢ - عالم الانسانية ، يبتدىء بانعقاد النطفة في رحم الأم ، الى ان
يأتي وليداً الى دار الدنيا .

٣ - عالم الدنيا ، التي نحن الآن فيها ، ونكلف بتكاليف ، تقرر
تلك التكاليف مصيرنا .

٤ - عالم البرزخ .

٥ - عالم المعاد (القيامة) التي مدتها خمسون الف سنة ، كما في القرآن

الحكيم .

٦ - أخير العوالم ، وهي (الجنة) أو (النار)

س : هل هناك دليل على بقاء الروح؟

ج : اليوم أصبح العلم ببقاء الروح ، من العلوم المتداولة ، حتى ان لها مدارس خاصة في البلاد الغربية وغيرها ، ويمكن ان يراجع ذلك في كتاب (على حافة العالم الأثيري) و(التنويم المغناطيسي) تأليف: (وليم سرجوس) وتأليف: (بول جاغو) وتأليف: (أبو مدين) ، وغيرها. من الكتب الكثيرة المؤلفة حول النفس والروح والتحضير والطياف وما أشبه .

هذا كله من الناحية التجريبية، أما من الناحيتين العقلية والسمعية. فالأدلة على بقاء الروح والمعاد كثيرة ، مذكورة في الكتب الكلامية .

س : ما هي الجنة؟

ج : الجنة محل أعدتها الله سبحانه للمؤمنين الذين عملوا الصالحات ، يدخلها الانسان بعد ان تعود روحه الى هذا الجسد الدنيوي . وفي الجنة توجد كل لذة ، من بساتين وقصور ، وهواء نقي ، وصحة جسدية ، وأزواج مطهرة ، وأطعمة لذيذة ، وأشربة سائغة ، والانسان اذا دخلها يبقى مخلدأ الى الأبد . وليس في الجنة ما ينغص عيش الانسان ، كالفقر والامراض والتعب ، والحسد ، والبلايا ، والظلم ، والضعف ، والجوع ، والعري والعطش والهموم والاحزان ، والعداوات ، والحزازات ، وأهلها أبداً شباب في فرح وسرور ، وهي وسيعة جداً ، حتى أنه يعطى الانسان مكاناً أكبر من الدنيا ، ويصبح هناك مالكمأ على شعوب من الملائكة ، وفوق ذلك كله أن الله راض عن الانسان [ورضوان الله أكبر] .

ولذا يجب على الانسان أن يعمل طول عمره ، لهنالك ، وأن يأخذ من الدنيا بالمقدار الذي يكفيه ، ولا يعمل بالكفر والمعاصي حتى يفوته ذلك الثواب الأبدي الخالد .

س : ما هي جهنم ؟

ج : جهنم عكس الجنة ، محل أعداء الله للكفار والمعصاة ، وفيها أشد أنواع الشقاء والآلام الجسدية والروحية ، فالانسان فيها ، في عذاب ونكال ، وأغلال ونار لا تطفئ الى ... الأبد ، وهو ذليل مهان ، وقد قدر الله تعالى أن يبقى الانسان فيها في عذاب مقيم ، فلا يموت : [كلما نضجت جلودهم بدلنهم جلوداً غيرها] . ولذا يجب على الانسان أن يعمل في الحياة بكل جهده ، حتى لا يدخل في جهنم ، وهذا محل المماندين الذين قال الله عنهم [ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه] .

س : ما هي القيامة ؟

ج : الانسان بعد أن مات ، يبقى في عالم البرزخ مدة طويلة من الزمان ، ثم يحييه الله تعالى للقيامة ، وهناك يجتمع الخلائق كلهم ، ويُعطى لكل انسان إضبارته ، وفيها مسجل كل ما عمل من خير وشر : [فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره] . وإذا نظر في إضبارته ورأى جميع أعماله مسجلة فيها ، ما عمله سراً ، وعلانية ، حتى تفكراته ووساوس قلبه ، تعجب وقال : [يا ويلتنا لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة ، إلا أحصاها] . ثم تُنصب الموازين ، ويقوم الأنبياء والأوصياء والشهداء للمحاكمات ، فمن آمن وعمل صالحاً كان نصيبه الجنة ، ومن كفر أو عمل بالمعاصي كان نصيبه النار ، وقد تقدم أن يوم القيامة يعادل (خمسين الف سنة) ! .

س : ما هي سائر العقائد الاسلامية ؟

ج : من العقائد الاسلامية (العدل) و (الإمامة) و (القضاء والقدر)
و (الجبر والاختيار) .

س : ما معنى العدل ؟

ج : العدل معناه : إن الله عادل لا يظلم أحداً ولا يفعل قبيحاً ، وما نراه
في الدنيا من المظالم والقبائح فإنما هي فعل العباد ، مثلاً : لو قتل إنسان
إنساناً ، كان هذا القتل إساءة وظلماً من البشر ، لا من الله سبحانه .

س : صحيح ، أن تعدي بعض الناس على البعض ليس من قبل الله سبحانه
وتعالى ، ولكن كيف تفسرون الكوارث الكونية ، كالفيضان
والأعصار والزلازل والأمراض وما أشبه ، بما ليس للعباد فيها مدخل ،
وغالباً ما تسبب الموت والألم ، للناس الأبرياء ؟

ج : مثل هذه الأمور التي ليس فيها للعباد مدخلية ، بالنسبة الى العصاة
تأديب وبالنسبة الى الأبرياء درجة وثواب وعبرة .

س : ما معنى الإمامة ؟

ج : الإمامة معناها أن الرسول الأعظم محمد ﷺ عين من بعده بأمر الله
تعالى خلفاء يقومون مقامه ، لإرشاد الناس وهدايتهم ، وعددهم اثني
عشر تباعاً .

س : من هم الأئمة الاثني عشر ؟

ج : هم (الاول) علي أمير المؤمنين ، (الثاني) الإمام الحسن ، (الثالث)
الإمام الحسين ، (الرابع) الإمام زين العابدين ، (الخامس) الإمام
محمد الباقر ، (السادس) الإمام جعفر الصادق ، (السابع) الإمام
موسى الكاظم ، (الثامن) الإمام علي الرضا ، (التاسع) الإمام محمد
الجواد ، (العاشر) الإمام علي الهادي ، (الحادي عشر) الإمام الحسن
العسكري ، (الثاني عشر) الإمام الحجة المهدي .

س : ما هي صفات هؤلاء الأئمة ؟

ج : هؤلاء الأئمة كالرسول الأعظم ، وبنته فاطمة الزهراء ، كلهم معصومون عن كل ذنب وإثم ، وهم في أعلى درجات الفضائل النفسية ، والفرق بين الرسول وبين هؤلاء الأئمة أن الرسول كان يوحى إليه من قبل الله تعالى ، وهؤلاء لا يوحى إليهم .

س : أية منزلة في هؤلاء على سائر المكتشفين العظام والمخترعين الكبار ؟

ج : المنزلة بالإضافة إلى أنهم خلفاء الله على الأرض ، وأنهم في أرفع قمة الإنسانية - أنهم خططوا للحياة السعيدة ونهجوا المناهج الصحيحة ، وبيّنوا طرق الإنسانية مما لو أتبعها البشر ، لأصبح سعيداً في دنياه قبل الآخرة. ومن الواضح فضل من يهتدى للإنسان حياة سعيدة ، على من يقدم إليه وسيلة للإنارة أو آلة للسفر المريح أو ما أشبه .

س : وضخوا هذا الفرق ؟

ج - الحياة السعيدة تتوقف أولاً على (السلام) و (الغنى) و (العلم) و (الصحة) و (الفضيلة) ، فالحرب والفقر والجمل والمرض والجريمة والرذيلة - بكافة أشكالها - مما توجب الشقاء . وثانياً ، تتوقف الحياة السعيدة على الوسائل الأحسن للعيش ، (كالطائرة) لسفوره ، و (الكهرباء) للإنارة ، و (المصعد) لصعوده ، وما أشبه ذلك ، في قبيل السفر على الدابة والإنارة بالشمع وما أشبه ... ومن المعلوم أن هذه الوسائل لا تجلب السعادة إلا إذا كانت مخططات الحياة تجلب السعادة والرفاء . وهل (السلام) والإنسان يوقد الشمعة لإنارته أفضل ، أم (الكهرباء) والإنسان يكتبون بنار الحروب والفوضى ؟ والأنبياء والأئمة إنما بيّنوا للناس طرق الحياة السعيدة ، التي هي الأهم ، ولذا لا يصح ان يقاس هذا فضل أحد بفضلهم ولو كان ذلك مكتشفاً أو مخترعاً أو من أشبه .

س : هل صحيح أن المسلمين يعتقدون ببقاء الإمام الثاني عشر (المهدي) الى اليوم ؟ وما فائدة ذلك ؟

ج : نعم ، لقد أخبر النبي الصادق والأئمة ببقائه حياً حتى يظهر في آخر الزمان فيملاً الارض عدلاً بعد ان ملئت جوراً ، ويعم السلام ، والغنى ، والعلم ، والصحة ، والفضيلة ، بما يجعل الدنيا فردوساً صغيرة .

س : وهل يمكن بقاء الانسان هذه المدة الطويلة ؟

ج : نعم ذلك ممكن ، كما سبق وأن صرحت التواريخ بوجود معمرين طالت أعمارهم قرونًا ، بالإضافة الى أن العلم الحديث يؤكد إمكان البقاء . وفي الغرب - حالياً - مدارس خاصة لتطويل العمر ، هذا مع العلم أن الله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء .

س : ما معنى القضاء والقدر ؟

ج : كما يخطط المهندس لبناء ، ويهيئ الوسائل ، ثم يأمر العمال بالعمل ، كذلك الله سبحانه خطط للعالم ، وهذا يسمى (قدراً) وهيئ الوسائل والآلات التي يمكن بها العمل ، وهذا يسمى قضاء ، ثم أمر الناس بالحسن ، ونهى عن القبيح ، فمن أحسن كان له جزاء الحسن ، ومن أساء كان له جزاء السوء ، كما قال تعالى : [إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ، وإن أسأتم فلها] .

س : ما معنى (الجبر والاختيار) وهل الانسان مجبور ، أو مختار ؟

ج : الجبر ضد الاختيار ، مثلاً تحريك اليد في الانسان الصحيح صادر عن الاختيار وحركة اليد في الانسان المرتعش يده صادرة بدون الاختيار... والانسان مختار في أفعاله ، فان شاء أحسن وان شاء أساء ، نعم الانسان مجبور في كونه ذكراً وأنثى ، أبيض اللون وأسود ، جميل الوجه أو قبيحاً ، وما أشبه هذه الصفات .

س : هل لله تعالى مدخلية في أفعال الناس ؟

ج : نعم ، ومعنى ذلك : أن الآلات والاسباب من الله تعالى ، والفعل من الانسان ، مثلاً اذا بنى الانسان داراً كانت اليد العاملة ، والفكر الموجه ، والارض التي يبني عليها ، وسائر مواد الانشاء ، من الله تعالى أما صنع الدار فليس إلا من الانسان ثم فعل الإنسان ان كان حسناً مثل (الصلاة) استحق عليه الثواب ، وان كان قبيحاً مثل (الزنا) استحق عليه العقاب .

الفصل الثالث

في الاخلاق الاسلامية

س : ما هي الأخلاق ؟

ج : الاخلاق على قسمين :

(١) الاخلاق المربوطة بالقلب .

(٢) الاخلاق المربوطة بالاعضاء والجوارح .

س : مثلوا لكل قسم من أقسام الأخلاق ؟

ج : الاخلاق المربوطة بالقلب مثل (رقة القلب) ومثل (الحسد) .

والاخلاق المربوطة بسائر الجوارح مثل (الصدق) و (الكذب) .

س : إلى كم قسم تنقسم الاخلاق - بصورة عامة - ؟

ج : تنقسم الاخلاق بصورة عامة الى قسمين :

(١) الاخلاق الحسنة وتسمى (الفضائل) وهي التي يستحسن وجودها

في الانسان . (٢) الاخلاق القبيحة ، وتسمى (الرذائل) وهي التي يستقبح

وجودها في الانسان .

س : ما هو تكليف الانسان بازاء الاخلاق ؟

ج : الانسان مكلف أن يتصف بـ (الفضائل) ويتجنب عن (الرذائل)
فان الفضائل كال الرذائل نقص والانسان بفطرته طالب للكمال ،
متجنب عن النقص .

س : هل بإمكان الانسان أن يتصف بالفضائل ، ويتجنب عن الرذائل ؟

ج : نعم بإمكان الانسان ذلك ، فان (النفس) كالصفحة البيضاء ، تقبل
كل لون ، منتهى الامر ان النفس صعبة الانقياد ، يحتاج تلوينها
– وبالأخص في الفضيلة – إلى تكرار ومراقبة ، حتى تصبح الصفة
فيها (ملكة) أي حالة راسخة ، فيتأتى الخير منه تلقائياً ، وبدون
تعب ، فان حالة النفس في الأخلاق تشبه حالة الانسان في الصنعة
والتعلم ، فكما ان الانسان يحتاج الى تعلم واستمرار في العمل والتطبيق
حتى يصبح صانعاً ، يأتي بالصنعة تلقائياً وبدون تعب ، كذلك
الأخلاق .

س : مثلاً لذلك ؟

ج : مثلاً الانسان اذا أراد ان يكون (صدوقاً) يلزم ان يتعب نفسه في عدم
التكلم إلا بالصدق ، مرات ، ومرات ، حتى يصبح الصدق (ملكة)
له ، وهكذا في سائر الصفات ، خصوصاً الصفة الحسنة ، التي هي
أشق على النفس .

س : ما موقف الاسلام من الاخلاق ؟

ج : الاسلام يأمر بالفضائل وينهى عن الرذائل .

س : ما هي فائدة إتعايب النفس في تحصيل الفضائل ، والاجتناب عن
الرذائل ؟

ج : الفضائل تنفع الفرد ، وتنفع الاجتماع معاً ، كما ان الرذائل تضر الفرد
وتضر الاجتماع معاً ، مثلاً (النشاط) الذي هو من الفضائل ، يفيد

الانسان تقدماً وسمواً ، كما يفيد الاجتماع رقياً ورفعة ، وبالعكس (الكسل) فانه يضر الجانبين ، وهكذا بالنسبة إلى سائر الاخلاق الحسنة ، والاخلاق الرذيلة .

س : بعض يقولون : بأن الاخلاق انعكاس من المجتمع الطبقي ، فهل هذا صحيح ؟

ج : كلا ، فلنسأل من هؤلاء هل ان (العدل) في الحكم انعكاس لمجتمع خاص ، فاذا صار لون الاجتماع غير هذا الشكل يستحسن الظلم في الحكم ؟ أو هل ان (الخيانة) للدولة انعكاس ، حتى اذا جار مجتمع آخر ، جازت الخيانة وهكذا قل في سائر الصفات .. ان الفضائل فضائل ابدأ ، وان الرذائل رذائل ابدأ ، كيفما كان المجتمع وكيفما تحول المجتمع .

س : ما هي الاخلاق الفاضلة ؟

ج : الاخلاق الفاضلة كثيرة ، نذكر منها :

١ - الصدق في القول والعمل :

فإنه يلزم على الانسان أن يصدق في كلامه ، فلا يكذب ، ويصدق في عمله بأن لا يخالف عمله معتقده ، كمن يظهر التواضع لشخص رياءً او تملقاً ، وهو يخالف له عقيدة وقلباً .. ويصدق في حركاته ، فلا يرى للناس أنه يريد شيئاً وهو يريد غيره ، ويصدق في وعده ، فإذا وعد وفي ولم يخلف .. ويصدق في مظهره ، فلا يظهر شيئاً وهو على غير ذلك ، كمن يلبس الاممال ليظن الناس انه فقير وهو غني في الواقع ، وهكذا ..

٢ - الأمانة في العمل واللسان :

فإنه يلزم على الانسان أن يكون أميناً مع ربه ، فلا يخالفه .. وأميناً

مع أطراف معاملته ، فلا يغشهم .. وأميناً مع أموال الناس ، فلا يخونها ..
وأميناً مع أعراض الناس ، فلا يفعل الحرام خفية عنهم .

وقد ورد في الأحاديث عن النبي ﷺ وأهل بيته الطاهرين ، تأكيد
بليغ ، حول هاتين الفضيلتين (الصدق والامانة) ، حتى انه ورد في بعض
الاخبار : « إن الله لم يبعث نبياً إلا بصدق الحديث واداء الامانة » .

والانسان (الصادق) ، (الامين) محبوب عند الناس ، محبوب عند
الله ، موفق في عمله ، بخلاف (الكاذب) و (الخائن) ، فإنه يحطم
مستقبله ، وإن انتفع ببعض المنافع المختصرة في العاجل القريب .
٣ - الشجاعة :

ويلزم على الانسان أن يكون شجاعاً مقداماً ، لا يخاف من الامور ،
فإن الجبان دائماً في آخر القافلة . وكفى في الشجاعة فضيلة ، أن جميع
الانبياء والمصلحين كانوا متصفين بهذه الصفة ، وإلا لم يتمكنوا من تبديل
المجتمع من الفساد الى الصلاح ، ومن الانحطاط الى الرقي ، فإن مواجهة الناس
بما يكرهون ، فيما اذا كان ذلك صلاحاً لهم ، من اقوى أقسام الشجاعة ،
٤ - السخاء :

في المجتمع دائماً ، فقراء ومعموزون ، ومشاريع تحتاج الى العون ، فهم
سناد المجتمع ، ومعقد آمال أفراد المتأخرين . واذا يلزم على الانسان
السخاء والجود ، فاذا كان الجواد ثرياً لم يضره الجود ، وإن كان متوسطاً
يقبل منه إعطاء القليل (فإن كمال الجود بذل الموجود) . يقول الشاعر :
إذا جادت الدنيا عليك فجد بها على الناس طراً قبل ان تتفلت
فلا الجود يفنيها اذا هي أقبلت ولا البخل يبقيها اذا هي ولبت
٥ - الغيرة :

هي حالة في الانسان يحفظ بسببها ما يجب عليه حفظه ، من (دين)

أو (وطن) أو (ناموس) أو ما أشبه ذلك ، وهي من الفضائل ، ولو ذهبت الغيرة من الناس - فرداً كان أو جماعة - ذهب كياناتهم ... وقد ذكر علماء الاخلاق ، ما يجب الغيرة عليه وما تكون الغيرة عليه ضارة ، في مباحث مفصلة ، لسنا بصددنا هنا .

٦ - التعاون على الخير :

فإن الحياة لا تقوم بالفرد ، وإنما بأفراد يتعاونون ، وكلما زاد التعاون ، كان تقدم الحياة أكثر ، ورتقي الاجتماع أكبر ، والتعاون له أقسام عديدة ، فهناك تعاون بالفكر ، وتعاون بالمال ، وتعاون بالعمل ، وتعاون بالاجتماع ، بأقسامها المختلفة .

٧ - النشاط :

الانسان يحب الملاذ والراحة ، وهما عدوان للرتقي والتقدم ، ويسببان الكسل والخمول ، والتأخر والانحطاط ، ولذا كان من اللازم على الانسان (النشاط) ، فهي ملكة تجر الانسان إلى الأمام ، في جميع جوانبه المختلفة ، وكل فرد خلا من النشاط فهو فرد ساقط ، وكل أمة خلت من النشاط ، فهي أمة منحطة .

٨ - النظام :

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (الله ، الله في نظم أمركم) إن أوقات الإنسان قليلة جداً ، والمهام الملقاة على عواتقه أمام نفسه وأمام مجتمعه ، وأمام مستقبله دنيا وآخرة كثيرة ، ولذا عليه أن ينظم اموره بكل دقة واتقان ، فليقتد في التنظيم بالموجودات الكونية ، فلكل شيء نظام ، وإلا لفسد الكون ، وهكذا لو لم يكن للحكومات والادارات أنظمة وتقسيم أعمال لفسد الاجتماع .

٩ - الإصلاح :

العالم يذهب تلقائياً إلى الفساد ، فالزمان يُبلي كل جديد ، ويهدم كل معمر ، والطفاة يفسدون البلاد ويستعبدون الأنام ، وهكذا .. فاللازم على الإنسان أن يقوم بدور المصلح مهما تمكن : إصلاح الأرض بالعمران ، وإصلاح النفوس بالتهذيب وإصلاح الاجتماع بتمهيد السبيل أمامه للرفي والسوء ، وإصلاح الأوضاع التي فسدت أو أفسدها الظالمون ، وهكذا ..

١٠ - النظافة :

يقول الرسول الأعظم (النظافة من الإيمان) والنظافة على أقسام : فالنظافة في القول بتنزيهه عن اللغو ، واللغة ، والنميمة ، والكذب ، والاستهزاء ، والباطل ، وما أشبه ، والنظافة في العمل ، بعدم تعاطي الأعمال السيئة ، والأعمال القذرة .. والنظافة في البدن وحوادثه ، بالتطهير وإزالة الأوساخ واستعمال العطر ، ونظافة الملابس والمأكول والمشرب وما أشبه ..

١١ - التوسط :

فاللازم على الإنسان أن يتوسط في الأمور المرتبطة به ، فلا يزيد على المقدار اللائق ولا ينقص عنه في جميع أموره فبأكل بقدر ، وبنام بقدر ، ويعمل بقدر ، بدون إفراط أو تفريط ، فالإفراط إرهاق وانهاك ، والتفريط تأخر والمخاط ، ولذا قال القرآن الحكيم [وكذلك جعلناكم أمة وسطا] وفي المثل : إذا كان ميزان السير (لسيارة) في كل ساعة هو مائة (كلم) فالسير بها في الساعة مائة وخمسين (إفراط) ، وخمسين فقط (تفريط) .

١٢ - العدل :

من الضروري على الإنسان أن يكون (عادلاً) في جميع الأمور

المرتبطة به ، سواء كانت في شؤونه الشخصية ، أو اموره العائلية ، او اموره الاجتماعية ، او كان حاكماً ، أو رئيساً ، او غير ذلك ، وقد جعل الله سبحانه في كل انسان (ميزاناً) في نفسه ، يعرف به العدل من الزيغ .. وهذا من أفضل الفضائل والملكات التي يسمو بها الانسان الى أرفع الدرجات .

١٣ - الحزم :

وهو ملكة ادارة الامور على وجه الصواب والحكمة ، بأن يكون ملتفتاً الى الشؤون المرتبطة به ، كيف يعطي وكيف يأخذ ، وكيف يتزوج ، وكيف يربي أولاده ، وكيف يعاشر الناس ، وكيف يدير الشؤون المرتبطة بإدارته - اذا كان مديراً لمؤسسة - او ما أشبه ؟؟ وهكذا في جميع شؤونه الفردية والاجتماعية ، الدينية والدنيوية .

١٤ - المداراة :

بأن يداري الناس ، أهلاً كانوا أم جيراناً ، أم اقرباء ، او أطراف المعاملة ، أم سائر الناس ، في لين الكلام ، وحسن البشر ، وجلب المحبة بالهدية والزيارة ، والمشاركة في الأفراح والأتراح ، والعفو عن ظلمه ، والاعتذار عن صدر عن الانسان إساءة اليه .

١٥ - التقوى :

بأن يتقي الله سبحانه ، في جميع أحواله وأعماله ، فلا يصدر منه ما يخالف رضى الله تعالى ، فإن الانسان لا يبقى الى الابد في الدنيا ، بل يموت ، وبعد الموت يكون لمن أحسن الثواب والجزاء الحسن ، ولمن أساء العقاب والجزاء السيء .. بالإضافة الى أن التقوى من أفضل أسباب ترقى الفرد والاجتماع في هذه الدنيا .

١٦ - العلم :

لا العلم القليل ، بل كما قال رسول الاسلام ﷺ ، (العلم من المهد الى

اللحد) فإن العلم هو الذي يرتفع بسببه الانسان عند الله تعالى كما قال في القرآن الكريم [يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات] وكما قال أمير المؤمنين عليه السلام : (قيمة كل امرئ ما يحسنه) .

١٧ - الالفه :

فإن الانسان 'خلق اجتماعياً' ، وكلما ازدادت إلفة الانسان لبني نوعه ، ظهرت كنوز نفسه ، وكنوز نفس الاجتماع الذي يجتمع معه ، إذ النفوس إنما تظهر كوامنها عند حب الاجتماع ، وعند تآلف بعض الأفراد مع بعض ، ولذا ورد في الحديث (المؤمن الف مألوف ، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف) .

١٨ - الهمة :

فإن الهمة الرفيعة هي التي تسمو بالإنسان الى مصاف الرجال العظام ، قال الشاعر في وصف الرسول ﷺ :

له هم لا منتهى لكبارها ومهته الصغرى أجل من الدهر

١٩ - الصمود :

فإن الإنسان يلاقي المشاكل ، خصوصاً اذا كان تقديمياً يحب الرفعة والعمل لأجل الصالح العام ، فإذا صمد أمام الكوارث واستمر في عمله نجح ، وإلا كان نصيبه الحسران ، قال الله تعالى [الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا] .

٢٠ - تتبع معالي الأخلاق :

كالتواضع ، بأن لا يتكبر .. والحلم ، بأن لا يخرق .. والصبر ، بأن لا يضجر .. والإحساس الى الناس ، بأن لا يقبض نفسه عن الخدمة .. الى غيرها من الفضائل الكثيرة التي ذكرها علماء الأخلاق ، في الكتب المفصلة ، والتي لها أكبر رصيد من الآيات والأحاديث الواردة عن النبي والأئمة الطاهرين .

الفصل الرابع

في الآداب الاسلامية

س : ما هو المراد بالآداب الاسلامية ؟

ج : المراد بالآداب الاسلامية ، الامور المربوطة بالانسان في مختلف شؤونه ، من الأشياء التي استحسنها الإسلام فعلاً أو تركاً ، ولم يوجبها ، وهي الأمور التي تسمو بالفرد أو الاجتماع ، في الدنيا والآخرة .

س : إذا كانت هذه الأمور موجبة لسمو الإنسان ، فلماذا لم يوجبها الإسلام ؟

ج : لأن الإسلام لاحظ ضعف الإنسان الطبيعي ، فلم يُرد أن يرهقه بالأحكام ولذا أوجب ما هو ضروري في دينه أو دنياه ، وترك غير الضروري لمشيئته ، واختياره ، إن شاء فعل وان شاء لم يفعل ، ثم أشار الإسلام الى المستحسن والمستقبَّح من تلك الامور ، ليسموا اليها ، أقوياء النفس الذين يريدون لأنفسهم أو لمجتمعهم رقياً أكثر ، وخيراً أزيد .

س : مثلوا للآداب الإسلامية ؟

ج : الآداب الإسلامية كثيرة ، وإننا نذكر فهرساً موجزاً لجملة من تلك الآداب :

- ١ - آداب المرأة التي يريد الإنسان أن يتزوجها .. وآداب الرجل الذي تريد الفتاة التزوج منه .. في الدين والأخلاق ، والمنظر ، والمال ، والاصل ، والكمال .
- ٢ - آداب الزفاف ، والمهر ، والملامسة ، والأخلاق ، والعدة .
- ٣ - آداب الحمل ، والرضاع ، وتربية الأولاد .
- ٤ - آداب العمل في داخل البيت ، وفي خارجه ، بالنسبة الى الزوجين .
- ٥ - آداب اللباس ، قماشاً ، ولوناً ، وتفصيلاً ، وقطعاً .
- ٦ - آداب شعر الرأس ، وشعر اللحية ، وشعر الحاجب ، وشعور سائر البدن تمشيطاً وتدهيناً ، وحلقاً ، وتجميلاً وحفاً ، ومنتفاً ، وتنويراً ، وما أشبه .
- ٧ - آداب مراعاة الجسد ، تدهيناً ، وتدليكاً ورياضة .
- ٨ - آداب الاكل والشرب .
- ٩ - آداب البيقظة ، والمنام ، والتمدد ، والاستلقاء .
- ١٠ - آداب تكحيل العين ، واستيائك الاسنان ، وتحليلها ، وتمطير الفم وسائر البدن .
- ١١ - آداب الحمام ، دخولاً ، وخروجاً ، وكيفية التطهير بالماء ، وإزالة الأوساخ ، والاتزار .
- ١٢ - آداب المجالسة ، كالإبتداء بالسلام ، والفسح في المجلس وحفظ اللسان ، والعين ، والاذن ، من المناقبات ، كالنجوى ، واللغو ، وآداب الجلوس متأدباً ، لا مبتذلاً ، وكيفية الجلوس .
- ١٣ - آداب أكل الطعام ، وكيفية المؤاكلة مع الغير ، كتنظيف اليدين قبل

الطعام وبعده ، والاكل عند الجوع ، والكف قبل الشبع الكامل ،
وكيفية الجلوس على المائدة ، والإبتداء بالملح ، والبسمة ، والمحد
وما أشبه .

١٤ - آداب شرب الماء ، قياماً أو جلوساً ، وجرعاً ، ومصاً ، ووقتاً
وما أشبه .

١٥ - آداب الكسب والتجارة .

١٦ - آداب الزراعة .

١٧ - آداب حفظ الصحة وقاية وعلاجاً .

١٨ - آداب المعلم والمتعلم والدرس والكتاب ، والتأليف ، والكتابة ،
والمذاكرة .

١٩ - آداب المعاملة ، بيعاً وشراءً ، وإجارة ورهنًا ، وغيرها .

٢٠ - آداب اقتناء الدواجن والطيور .

٢١ - آداب نظافة البيت ، والفناء ، وكيفية الدار ، وغرفها ، وما أشبه .

٢٢ - آداب إقتناء الانعام ، وغيرها من سائر الحيوانات ، وآداب سقيها
وعلفها ، وحملها ومداراتها .

٢٣ - آداب عمارة الارض .

٢٤ - آداب سعة الشوارع ، وحفر الآبار ، وشق الأنهار .

٢٥ - آداب الإستفادة من الثروات الكائنة في الكون ، من معدن ، وكنز ،
وبحر وبر .

٢٦ - آداب السفر والإقامة .

٢٧ - آداب ذبح الحيوان .

- ٢٨ - آداب القضاء والحكم بين الناس ، قاضياً ، وشاهداً ، وكتابة ،
ومستنداً ، ومجلساً ، وصوتاً وغيرها .
- ٢٩ - آداب لبس الحلي ، والزينة ، والنظر في المرأة .
- ٣٠ - آداب المراحم ، جلوساً ، وذكراً ، وتطهيراً ، وما أشبه .
- ٣١ - آداب معاشره الناس ، قريباً أو بعيداً ، وكيفية المصافحة ، وما أشبه .
- ٣٢ - آداب السلم والمعاهدة ، والحرب والغزو .
- ٣٣ - آداب الركوب والنزول ، والمنزل في وسط الطريق ، واصطحاب
الصيد في الطريق .
- ٣٤ - آداب المحتضر ، والميت ، والتشييع ، والقبر ، والتعزية وما أشبه .
- ٣٥ - آداب الصحيح والمريض .
- ٣٦ - آداب الغنى ، والفقير .
- ٣٧ - آداب التبليغ والإرشاد وكيفية هداية الناس .
- ٣٨ - آداب الحاكم ، والعالم ، والواعظ ، وإمام الجماعة ، ومن يشبههم .
- ٣٩ - آداب الوصايا ، والموارث واجراء الحدود والقصاص .
- ٤٠ - آداب الدعاء ، والصلاة ، وسائر العبادات ، وزيارة المشاهد ، إلى
غيرها من الابواب الكثيرة التي نحتاج لتفصيلها الى مجلدات ، وانما
أردنا الاماع الى رؤوس أقلام .

الفصل الخامس

في المحرمات الاسلامية

- س : ما معنى المحرم ؟
- ج : المحرم هو الشيء الذي حرّمه الاسلام د ومنع عن ارتكابه منعاً باتاً .
- س : ولمّ حرّم الاسلام بعض الأشياء ؟
- ج : لأن في تلك الأشياء مضرة بالغة .
- س : إذا ارتكب الانسان المحرمات ، ما الذي يعود اليه ؟
- ج : يعود اليه ، ضرر الدنيا ، وعذاب الآخرة .
- س : مثلوا لضرر الدنيا ، من أي قبيل هو ؟
- ج : مثلاً ، القمار يوجب خسران المال ، والخمر توجب الأمراض ، والغشاء يوجب ضعف الأعصاب ، والزنا يوجب اختلاط الأنساب ، واللواط يوجب الأمراض الزهرية وما أشبه في الفاعل والمفعول ، والربا يوجب اختلال توازن الاقتصاد ... الى غيرها .
- س : فلماذا لا نرى ما ذكرتم من الأضرار في الاجتماع ، والحال أن المحرمات

غالبها - بل كلها - شائعة بين الناس ؟

ج : إن الأمر بالعكس تماماً :

- فالجرعة متفشية في طول الاجتماع وعرضه ، مما تعج بها المعاكم وتمتلئ السجون .

- واختلال التوازن الاقتصادي بالغ أقصاه ، فهناك أصحاب الملايين ، وهناك الألوف يموتون جوعاً .

- والأمراض آخذة بأكظام الناس ، مما لا ينفع في دفعها أو تقليلها ، آلاف المستشفيات والمستوصفات والصيدالة ، وما أشبه .

- والقلق والاضطراب آخذ من الناس كل مأخذ ، مما لم يسبق له مثيل في تاريخ العالم .

- وأخيراً :.. فالثورات والحروب ، ملأت أعمدة التاريخ الحاضر ، مما لم تجعل لغيرها فراغاً ... بما تجر معها من الويلات والدموع والدماء والكوارث ... فهل بعد ذلك يُقال بأن المحرمات لم تفعل مفعولها ؟

س : ما هي المحرمات الاسلامية ؟

ج : المحرمات الاسلامية كثيرة ، نذكر جملة منها :

- ١ - إعاقة الظالم .
- ٢ - الإعراض عن ذكر الله .
- ٣ - الإسراف .
- ٤ - تزيين الرجل بالذهب ، ولبسه للحريز .
- ٥ - الاستمناء .
- ٦ - إيذاء الناس .
- ٧ - استعمال أواني الذهب والفضة .

- ٨ - إفشاء السر .
- ٩ - عدم إطاعة الأولاد للآبوين ، وعدم إطاعة الزوجة للزوج (فيما يجب إطاعتها له) .
- ١٠ - إشاعة الفاحشة .
- ١١ - الاحتكار .
- ١٢ - إلقاء النفس من التهلكة .
- ١٣ - عقد الرجل عن حليلته ، وسائر أنواع السحر ، والتسخير
- ١٤ - الإفتراء .
- ١٥ - التنجيم - في الجملة - .
- ١٦ - التدليس
- ١٧ - تبديل الوصية .
- ١٨ - التجسس .
- ١٩ - قتل أحد ، أو جرحه ، أو قطع عضو من أعضائه .
- ٢٠ - منع حقوق الله تعالى ، أو حقوق الناس .
- ٢١ - سجن أحد بغير حق .
- ٢٢ - الحسد .
- ٢٣ - إضاعة حقوق الناس .
- ٢٤ - شرب المسكر ، خمرأ كان أو غيرها .
- ٢٥ - أكل الميتة ، أو لحم الخنزير ، أو سائر اللحوم المحرمة ، وأكل النجس وشربه ، وأكل سائر المحرمات ، كالطين وما أشبه .
- ٢٦ - الخيانة ، والخديعة ، والغش .
- ٢٧ - السرقة .
- ٢٨ - القيادة والديانة ، بالجمع بين حرامين ، أو ولدتين ، أو ولد وبنت .
- ٢٩ - الكذب .
- ٣٠ - سب الله ، والأنبياء ، والأئمة ، والدين ، والكتاب ، والمذهب ، والناس .

- ٣١ - النفاق ، بأقسامه ، ومنها كون الشخص ذا لسانين ، فيمدح حاضراً
ويذم غائباً .
- ٣٢ - الرشوة .
- ٣٣ - الربا .
- ٣٤ - قطع الطريق .
- ٣٥ - حلق اللحية ، وقطع الانسان بعض أعضاء نفسه ، أو إفساء قوة من
قواه كتعمية عين نفسه - مثلاً - .
- ٣٦ - الاختلاط بين الفتيان والفتيات اختلاطاً محرماً :
- ٣٧ - الرضا بالمعاصي .
- ٣٨ - الزنا ، واللواط ، والسحق ، والنظر الى الأجنبية ، ولمس بدنه .
- ٣٩ - ضرب الناس بغير حق .
- ٤٠ - الرمي بالزنا ، أو اللواط ، أو سائر النسب المحرمة .
- ٤١ - النسيمة ، والغيبة ، والخوض في الباطل ، والفتنة .
- ٤٢ - السعي في خراب المساجد وتنجيسها .
- ٤٣ - السماية عند الظالمين .
- ٤٤ - عمل آلات اللغو ، وآلات القمار ، والصلبان .
- ٤٥ - سفور النساء ، وتبرجهن .
- ٤٦ - حنث اليمين ، والنذر ، والعهد .
- ٤٧ - شهادة الزور ، وكتان الحق .
- ٤٨ - لعب الشطرنج والترد ، وما أشبهها .
- ٤٩ - إضاعة الانسان عياله .
- ٥٠ - الظلم والتعدي .
- ٥١ - التعصب بالباطل .
- ٥٢ - الغناء .

- ٥٣ - الفساد في الأرض .
- ٥٤ - قطع الرحم ، وعقوق الوالدين . ، وإضاعة الأولاد .
- ٥٥ - تطفيف الكيل ، والوزن .
- ٥٦ - التشبيب بالمرأة العفيفة ، أو الغلام .
- ٥٧ - كشف العورة عند الناظر المحترم .
- ٥٨ - المجادلة بغير الحق .
- ٥٩ - التطلع في دور الجيران .
- ٦٠ - استعمال كل شيء ضار بالبدن ، ضرراً بالغاً ، وكذا إضرار الغير .
- إلى غيرها ... وقد رأيت ان غالب هذه المحرمات ، واضح العلة ، لا يحتاج إلى الفكر ، مثلاً : هل ينكر أحد قبح قتل الناس ، ونهب أموالهم ، وجرحهم ، والتطلع في دورهم ، والإضرار بهم أو ما أشبه . نعم ، بعضها يحتاج إلى الالتفات ، إلى وجه التحريم ، مثلاً (القمار) و (الخمر) و (السفور) ، لا بد وأن يعلم الانسان ان الأول يورث القلق والخسارة ، والثاني يوجب الأمراض المختلفة ، والثالث كثيراً ما يسبب الفحشاء ، وهدم العوائل ، وهكذا ... وهل هناك دين او قانون لم يجعل جملة من المحرمات ؟ نعم ، يبقى الكلام حول ان هذه المحرمات توجب الكبت بقدرها ؟ والجواب ان كل شيء يوجب الفساد ، لا بد من مثل هذه الكبت بالنسبة اليه ... والقوانين ممتلئة بمثل هذه الأنواع من الكبت .

الفصل السادس

في العبادات الاسلامية

س : ما معنى العبادات ؟

ج : العبادات امور أوجبها الإسلام على الناس ، ليأتوا بها بقصد القربة لله تعالى .

س : ما معنى قصد القربة ؟

ج : القصد إلى كون العمل لله سبحانه .. وهذا هو الفرق بين (العبادات) وبين (سائر الواجبات) .. فالعبادة تحتاج إلى قصد القربة ، أما غير العبادة فيسمى (توصلياً) ويصح الإتيان به بدون قصد القربة .

س : مثلوا للأميرين ؟

ج : مثلاً (الصلاة) عبادة ، لا تقتأى إلا اذا قصد الآتي القربة ، أما (تطهير الثوب) فليس بعبادة ، ولذا يمكن الإتيان به بدون قصد القربة .

س : ما وجه الاشتراط العبادة بقصد القربة ؟

ج : أولاً (الإطاعة لله تعالى) ، فإن الإطاعة الكاملة لا تكون إلا بإتيان العمل لله تعالى . وثانياً (السمو بالنفس) ، فإن الإنسان ، اذا تذكر

الله تعالى ، باستمرار ، وعلم أنه في محضر إله عظيم ، سميع ، بصير ، لا بد وأن تحصل له (ملكة) خيرة تجرّه الى معالي الصفات والأخلاق ، وتبعده عن الرذائل حالة وعملاً .

س : ما هي عبادات الإسلام ؟

ج : نذكر جملة من عبادات الإسلام ، وهي (الصلاة) و (الصوم) و (الخمس) و (الزكاة) و (الجهاد) و (الحج) ، وحيث أن الكتاب موضوع للتعريف بالإسلام موجزاً ، أضربنا عن ذكر الفلسفة والعلّة في هذه العبادات ، ومن أراد الاطلاع فيهما فليراجع كتاب المؤلف (عبادات الإسلام) .

س : ما هي الصلاة ، وكم ركعاتها ، وسائر كفيّياتها ؟

ج : الصلاة على قسمين : الصلاة الواجبة والصلاة المستحبة .

س : ما هي الصلاة الواجبة ؟

ج : الصلاة الواجبة بهذا الترتيب :

- ١ - صلاة الصبح ، ركعتان ، وقتها من طلوع الفجر ، الى طلوع الشمس .
- ٢ - صلاة الظهر ، أربع ركعات ، وقتها من عبور الشمس عن وسط سماء البلد ، الى قرب غروب الشمس عن الأفق .
- ٣ - صلاة العصر ، أربع ركعات ، وقتها من بعد صلاة الظهر ، إلى غروب الشمس عن الأفق .
- ٤ - صلاة المغرب ، ثلاث ركعات ، وقتها من المغرب ، وهو حين زوال الحمرة عن قمة الرأس المصادف بربع ساعة بعد غروب الشمس ، تقريباً الى نصف الليل .
- ٥ - صلاة العشاء ، أربع ركعات ، وقتها من بعد صلاة المغرب ، الى قرب نصف الليل .

س : هل تختلف الصلاة سراً وحضراً ، أم لا ؟
ج : نعم ، تختلف ، فالصلاة في السفر (قصر) أي أن (الظهر)
و (العصر) و (العشاء) كل واحدة منها ركعتان - كصلاة الصبح - .
س : ما هي أجزاء الصلاة ؟

ج : أجزاء الصلاة هي :

- ١ - تكبيرة الاحرام - بعد النية - .
- ٢ - القراءة الحمد وسورة ، في حال القيام .
- ٣ - الركوع ، والذكر فيه .
- ٤ - القيام بعد الركوع .
- ٥ - سجدتان ، في كل سجدة ذكر ، يجلس بينهما ، وبعدهما .
- ٦ - ثم القيام ، والقراءة ، مرة ثانية ، والقنوت - وهو مستحب - .
- ٧ - ثم الركوع والقيام بعد الركوع ، والسجدتان .. ثم الجلوس والتشهد والسلام ، هذا في الصلاة الثنائية ، أما الثلاثية والرابعة ، فيقرأ في الركعة الثالثة والرابعة ، عوض (الحمد والسورة) التسبيحات .

س : ما هي شرائط الصلاة ؟

ج : شرائط الصلاة هي :

- ١ - التوجه الى القبلة .
- ٢ - طهارة اللباس ، والبدن ، ومحل الجبهة .
- ٣ - تطهر الإنسان : بالوضوء ، والغسل ، والتيمم .
- ٤ - حلثية لباس المصلي ، ومكان الصلاة .
- ٥ - عدم الإتيان بالمبطل في أثناء الصلاة : كالحدث ، والضحك ، والإلتفات ، وما أشبه .

س : هل في الاسلام صلاة واجبة أخرى - غير ما ذكرتم من الصلاة اليومية - ؟

ج : نعم ، وهي :

١ - صلاة الأموات .

٢ - صلاة الآيات .

٣ - صلاة الطواف .

٤ - صلاة النيابة عن الميت - إذا وجبت على الإنسان - .

٥ - الصلاة المنذورة .

ولكل واحد من الصلوات الواجبة ، كيفيات ، وخصوصيات وآداب مذكورة في الفقه الإسلامي .

س : ما هي الصلاة المستحبة ؟

ج : الصلاة المستحبة كثيرة ؛ مثل :

١ - النوافل اليومية .

٢ - والصلوات المستحبة لشهر رمضان .

٣ - والصلوات المستحبة في الايام المباركة ، كالأعياد .

٤ - والصلوات الواردة عن النبي والأئمة الطاهرين ، التي كانوا يصلونها ، وتسمى بأسمائهم ، كصلاة النبي ﷺ وصلاة علي عليه السلام وهكذا ..

٥ - سائر الصلوات المستحبة في الأحوال ، كصلاة الزيارة ، وصلاة الاستسقاء ، وصلاة الخائف .

س : ما هو الصوم :

ج : الصوم ، هو الإمساك عن المفطرات ، من أول الفجر ، إلى المغرب .

س : الى كم قسم ينقسم الصوم ؟

ج : الصوم على أربعة أقسام :

(هكذا الاسلام - م - ٤)

- ١٨ - الصوم الواجب : كصوم رمضان .
- ٢ - الصوم المستحب : كصوم شهر رجب .
- ٣ - الصوم المكروه كصوم يوم عاشوراء .
- ٤ - الصوم المحرم ، كصوم يوم عيد الفطر ، وعيد الاضحى .
- س : كم يوماً يجب على الإنسان أن يصوم فيه ، في شهر رمضان .
- ج : يجب على كل إنسان ، جامع لشرائط التكليف ، أن يصوم شهراً كاملاً وهو شهر رمضان ، من الأشهر الهلالية ، وهو الشهر التاسع ، بعد رأس السنة ، - ورأس السنة الهجرية شهر محرم الحرام - .
- س : ما هي المفطرات التي ذكرتم وجوب الإمساك عنها ؟
- ج : هي عشرة :
- ١ و ٢ - الأكل والشرب .
- ٣ و ٤ - الجماع ، والإستمناء .
- ٥ و ٦ - الإصباح جنباً ، والحقنة بالماء .
- ٧ و ٨ - إيصال الغبار الغليظ الى الحلق ، والإرتباس في الماء .
- ٩ و ١٠ - القيء ، وتعمد الكذب على الله والرسول والائمة .
- س : إذا لم يصم الإنسان عمداً يوماً من هذه الأيام فماذا جزاؤه ؟
- ج : جزاؤه ثلاثة أشياء :
- الاول : الثاني أن يقضي يوماً بدلاً له ، بعد شهر رمضان .
- الثاني : أن يكفّر ، والكفارة احدى ثلاثة أشياء :
- ١ - أن يصوم شهرين متتابعين .
- ٢ - أن يطعم ستين مسكيناً .
- ٣ - أن يعتق رقبة مؤمنة .
- الثالث : أن يؤدبه الحاكم الإسلامي ، لارتكابه هذه المعصية .

س : ما هو الخمس ؟
ج : الخمس عبارة عن اخراج الإنسان عشرين في المائة من أمواله ، في سبيل الله .

س : من أي مال يخرج الخمس ؟

ج : من سبعة أشياء :

١ - غنائم دار الحرب .

٢ - الغوص .

٣ - المعدن .

٤ - أرباح المكاسب .

٥ - الارض التي اشتراها الذمي من المسلم .

٦ - الحلال المختلط بالحرام .

٧ - الكنز .

س : لمن يعطى الخمس ؟

ج : يعطى الى الحاكم الاسلامي ، ليصرفه في المصاريف الإسلامية ، حسب نظره ، وفي اليتامى ، والمساكين ، وأبناء السبيل ، من أقرباء رسول الإسلام ﷺ .

س : ما هي الزكاة ؟

ج : الزكاة عبارة عن إخراج الإنسان قسماً من ماله ، في سبيل الله .

س : من أي مال تخرج الزكاة ؟

ج : من ثلاثة أصناف :

الاول : الانعام الثلاثة : أي البقر ، والغنم ، والابل .

الثاني : الفلوات الأربعة : أي التمر ، والزبيب ، والحنطية ، والشعير .

الثالث : النقدين : أي الذهب والفضة .

فالمجموع تسعة يخرج عنها الزكاة ، على سبيل الوجوب ، ويستحب
إخراج الزكاة من أشياء أخر كالأموال ومال التجارة .

س : فيمن تصرف الزكاة ؟

ج : تصرف الزكاة في ثمانية طوائف :

١ - ٢ الفقراء ، والمساكين .. والمساكين هو الذي يكون أشد حالاً
من الفقير .

٣ - العاملين على الزكاة ، أي الذين يجمعون الزكاة .

٤ - في سبيل الله ، وهي كل مصلحة من مصالح المسلمين ، مما يرتبط
بدينهم أو دنياهم .

٥ - المديونين ، الذين لا يتمكنون من إعطاء دينهم .

٦ - أبناء السبيل ، الذين انقطع بهم الطريق ، فلا يتمكنون من الرجوع
إلى وطنهم .

٧ - المؤلفة قلوبهم ، الذين يعطون من الزكاة لتقوية قلوبهم بالإيمان ، أو
دفاعهم عن المسلمين .

٨ - الرقاب ، وهم العبيد تحت الشدة ، يشترون من الزكاة ، ويُعتقون
س : ما هو الجهاد ؟

ج : الجهاد عبارة عن المحاربة في سبيل الله تعالى .

س : ما هو الغرض من الجهاد ؟

ج : الغرض من الجهاد أمران :

١ - إنقاذ الناس من الخرافة في العقيدة والعمل .

٢ - إنقاذ المظلومين من براثن الظالمين .

س : هل يحارب الإسلام ، الكفار ابتداءً ؟

ج : كلا ، وإنما يحارب :

- ٧ - أهل الكتاب ، بعد تختيارهم بين (الإسلام) وبين (إعطاء الجزية)
وبين (المحاربة) .
- ٢ - غير أهل الكتاب ، بعد تختيارهم بين (الإسلام) وبين (المحاربة)
س : من هم أهل الكتاب ؟
- ج : هم (اليهود) و (النصارى) و (المجوس) الذين لهم كتاب سماوي .
س : من هم غير أهل الكتاب .
- ج : سائر فرق الكفار ، كالوثنيين ، ومن أشبهه .
س : ما معنى (الجزية) ؟
- ج : (الجزية) قدر من المال ، يؤخذ من أهل الكتاب ، في مقابل حماية
المسلمين لهم ، ويؤذن لهم في إقامة شعائرهم الدينية ، ويعفى عنهم من
الزكاة والخمس - الذين يؤخذان من المسلمين - .
- س : أليس من الافضل أن يعامل أهل الكتاب كسائر المسلمين ؟ وما
هذه الميزة ؟
- ج : إن الامر بالمعكس تماماً ، فحقوق أهل الكتاب ، تحت ظل الاسلام ،
محفوظة إلى أبعد الحدود ، بينما حقوقهم غير محفوظة تحت ظل سائر
الانظمة وذلك يتبين من البنود التالية :
- ١ - أهل الكتاب مواطنون من الدولة ، لكل امرئ منهم ما اكتسب ..
كسائر المسلمين .
- ٢ - أهل الكتاب محفوظة دماهم وأموالهم ، وأعراضهم ، كسائر المسلمين .
- ٣ - أهل الكتاب يقيمون لأنفسهم شعائر دينهم ، كما أن المسلمين يقيمون
شعائر دينهم .
- ٤ - أهل الكتاب يتحاكمون في قضاياهم ان شاؤوا الى المسلمين وان شاؤوا
إلى حكام أنفسهم .

هـ - أهل الكتاب يؤذون (الجزية) والمسلمون يؤذون (الخس)
و (الزكاة) .

إذاً ، فأى ضغط على أهل الكتاب تحت حكومة الاسلام ؟

س : إذا فما وجه محاربة المسلمين مع أهل الكتاب ؟

ج : الحرب كانت مع حكوماتهم التي كانت تتصف بأبشع أنواع الظلم والاضطهاد ، ولذا نرى أن أهل البلاد كانوا يستقبلون المسلمين بكل لطفة ، ويمبرونهم منقذين لهم من أيدي حكامهم الظلمة ، والتاريخ أصدق شاهد على ذلك .. وهكذا كان الحال مع غير أهل الكتاب ، فإن العمدة في محاربة المسلمين لغيرهم هي إعلاء كلمة الله وإنقاذ الامم من براثن المستغلين والمستبدين الذين كانوا يحكمون على الناس بالعنف والارهاب (١) .

س - ما هو الحج ؟

ج : الحج هو الرواح الى (مكة المكرمة) في (الجزيرة العربية) ، بقصد الاتيان بمراسم العبادة .

س : على من يجب الحج ؟

ج : على الانسان المستطيع ، الذي يتمكن من الذهاب بماله ، بدون أن يسبب ذلك فقراً أو حرجاً عليه .

س : كم مرة يجب الحج على الانسان المستطيع ؟

ج : مرة واحدة في العمر .

س : وهل يستحب الحج على أحد ؟

ج : نعم يستحب على غير المستطيع ، وعلى المستطيع بعد اتيانه بالحج الواجب .

(الناشر)

(١) التفصيل في كتاب « كيف انتشر الاسلام » .

- س : ما هي أعمال الحج ؟
- ج : الحج ينقسم إلى جزأين :- (١) العمرة ، (٢) الحج . والحج يشتمل على :
 الأول ، أعمال العمرة هي :
 ١ - الاحرام ، من الميقات .
 ٢ - الطواف حول البيت سبعاً .
 ٣ - ركعتان للطواف بخلف مقام إبراهيم عليه السلام .
 ٤ - السعي بين الصفا والمروة سبعة أشواط .
 ٥ - التقصير ، يأخذ شئ من شعر الرأس ، أو الظفر أو من أظفار .
- الثاني : أعمال الحج ، هي :
 ١ - الاحرام من (مكة) .
 ٢ - الوقوف بـ (عرفات) يوم التاسع من ذي الحجة .
 ٣ - الوقوف بـ (المشعر) يوم العاشر .
 ٤ - الافاضة من المشعر الى منى ، في اليوم العاشر (وهو يوم عيد الاضحى) .
 ٥ - رمي جرة العقبة بسبع حصيات ، يوم العيد .
 ٦ - ذبح حيوان ، من الأنعام الثلاثة : الابل ، أو البقر ، أو الغنم .
 ٧ - حلق الرأس ، أو التقصير .
 ٨ - الطواف حول الكعبة سبعة أشواط ، للزيارة .
 ٩ - ركعتان للطواف ، خلف مقام إبراهيم عليه السلام .
 ١٠ - السعي بين الصفا والمروة ، سبعة أشواط .
 ١١ - طواف النساء ، سبعة أشواط .
 ١٢ - ركعتان صلاة لطواف النساء ، خلف مقام إبراهيم عليه السلام .
 ١٣ - المبيت بمنى ، الليلة الحادية عشر ، والثانية عشر ، والثالثة عشرة .
 أحياناً .
 ١٤ - رمي الجمار الثلاث ، في منى ، كل جرة بسبع حصيات ، في اليوم الحادي عشر ، والثالث عشر . إن بقي في الليلة الثالثة عشرة .

- س : في أي وقت يأتي الانسان بالحج ؟
- ج : في أشهر الحج ، وهي : (شوال) و (ذو القعدة) و (ذو الحجة) ، نعم اعمال الحج ، في شهر ذي الحجة فقط ، كما عرفت .
- س : ما هي (العمرة المفردة) ؟
- ج : العمرة المفردة ، هي (العمرة) التي ذكرناها سابقاً .. بإضافة (طواف النساء) و (صلاته) ، ويصح ان يؤتى بها في جميع السنة .
- س : ما هي فائدة الحج ؟
- ج : للحج فوائد كثيرة ، نذكر منها ما يلي بصورة موجزة :
- ١ - الفوائد السياسية ، حيث يوجب وحدة المسلمين ، وقوة سلطانهم ، ورهبة الأعداء من شوكتهم .
- ٢ - الفوائد الاقتصادية ، حيث يوجب حركة المال ، من أقصى البلاد الى اقصاها ، وازدهار التجارة .
- ٣ - الفوائد النفسية ، حيث يوجب التفرج عن الأنفس ، والهدوء ، والسكينة ، اللذين يجلبهما السفر ، بما يزيل من هموم الوطن .
- وفي الشعر :
- تفرّب عن الأوطان في طلب العلا وسافر في الأسفار خمس فوائد
تفرّج همّ واكتساب معيشة وعقل وآداب وصحبة ماجد
- ٤ - الفوائد الاجتماعية ، حيث يوجب تعرّف بعض المسلمين ببعض ، وصهرم في بوتقة واحدة .
- ٥ - الفوائد العبادية ، حيث ان الطواف ، والسعي ، والصلاة ، والوقوف ، وما اليها .. كلها عبادة ، وتوجيه الى إله الكون ، وخالق الحياة .
- إلى غيرها من الفوائد الكثيرة المذكورة في الكتب المفصلة^(١).

(١) التفصيل في كتاب (عبادات الاسلام) للمؤلف . (الناشر)

الفصل السابع

في مُلح من الشريعة الاسلامية

مُلح بيضاء من الشريعة الاسلامية ، وهي : (الطهارة) و (مراكز العبادة) و (المشاهد المشرفة) و (الدعاء) و (الجماعة) و (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) و (الاعتكاف) و (الدعوة إلى الخير) و (الذكريات) و (التولي والتبري) ، نذكرها بإيجاز ، إشارة إلى بعض جوانب الإسلام .

- ١ -

س : ما هي الطهارة ؟

ج : الطهارة في الاسلام على أربعة أقسام :

- ١ - طهارة الروح من الملكات الفاسدة ، كالحسد والبخل والبغضاء والجبين ، وسائر الرذائل .
- ٢ - طهارة الأعضاء من المنافيات ، كطهارة العين عن النظرة الخائنة ، وطهارة اللسان عن اللغو ، وهكذا ..

٣ - طهارة الجسد وما اليه عن القذارات ، فقد أوجب الاسلام التطهير عن (البول) و (الدم) و (الغائط) وسائر النجاسات .. كما حبس التطهير والتنظيف عن الأوساخ والقذارات ، لا بالنسبة الى البدن فقط ، بل بالنسبة الى كل ما يزاوله الانسان ، من ثوب ، وآنية ، وفرش ، وغيرها ...

٤ - تطهير الجسد والروح - معاً - بأحد أمور ثلاثة : **« الاول »** : الوضوء - عقب الحدث - .

ج : الأحداث هي : (البول) ، (الغائط) ، (الريح) ، (النوم) ، (قسم من دم النساء يسمى بالامشحة ناضة القليلة) ، (كل ما أزال العقل) من مسكر ، وإغماء ، وما أشبهه .

س : ما هي كيفية الوضوء ؟

ج : كيفية الوضوء هي كالآتي :

١ - غسل الوجه من قصاص الشبر إلى الذقن .

٢ - غسل اليد اليمنى من المرفق إلى رؤوس الأصابع .

٣ - غسل اليد اليسرى من المرفق إلى رؤوس الأصابع .

٤ - مسح مقدم الرأس ببلل الكف اليمنى .

٥ - مسح ظاهر الرجلين ببلل الكفين .

« الثاني » : الغسل ، وهو على قسمين :

١ - الغسل الواجب .

٢ - الغسل المستحب .

س : كم هي الاغسال الواجبة ؟

ج : الاغسال الواجبة هي ستة :

١ - غسل الجنابة ، والجنابة تحصل بنزول المني ، او الدخول .

٢ - غسل الحيض ، وهو دم تراه المرأة ، والغالب اعتبارها شهرياً في رؤية

هذا الدم .

- ٣ - غسل النفاس ، وهو الدم الذي يأتي عند الولادة .
 ٤ - غسل الاستحاضة ، وهو الدم الذي تراه المرأة ، مما ليس بحيض ولا استحاضة (وله تفصيل) .
 ٥ - غسل مس الميت ، فمن لامس ميتاً آدمياً ، بعد برده ، وقبل أن يُغسل ، وجب عليه الغسل .

٦ - غسل الميت ، فإذا مات الإنسان وجب غسله .
 س : كم هي الأغسال المستحبة ؟

- ج : الأغسال المستحبة كثيرة ، مثل : غسل يوم الجمعة ، وغسل أيام الأعياد ، وغسل ليالي شهر رمضان ، وما أشبه .
 س : ما هي كيفية الغسل ؟
 ج : للغسل كفتان :

الأول : الارتساق في الماء الطاهر الجلال ، مرة واحدة ، بحيث يشمل الماء جميع الجسد .

الثاني : الترتيب ، بأن يغسل رأسه ورقبته أولاً ، ثم الطرف الأيمن من جسده ثالثاً .

« الثالث » : من لم يتمكن من (الماء) للوضوء والغسل ، أبدل له الإسلام (التيمم) .

س : ما معنى التيمم ؟

ج : التيمم عبارة عن :

١ - ضرب الكفين على الأرض الطاهرة المباحة ، ثم نفضهما ، والمسح بهما على الجبهة من قصاص الشعر إلى طرف الأنف الأعلى .

٢ - المسح بالكفين على ظاهر اليدين ، بأن يمسح بباطن الكف اليسرى على ظهر الكف اليمنى ، وبالعكس .

٣ - ضرب اليدين ثانية على الارض ، والمسح بهما على ظاهر الكفين
- كما ذكر - .

ولا يخفى أن (الطهارات) تحتاج الى (النية) ، بأن يأتي بها توبياً ،
مع قصد القربة الى الله تعالى ، ولذا فهي تطهير لظاهر الإنسان ، وتطهير
لباطنه ، لان التوجه الى الله تعالى يوجب طهارة الروح .

- ٢ -

س : ماذا تقصنون بـ (مراكز العبادة) ؟

ج : لقد قال نبي الإسلام محمد ﷺ : « جعلت لي الارض مسجداً وتراها
طهوراً ، . فالارض كلها - في نظر الاسلام - صالحة للعبادة ، لان
هناك محلاً خاصاً لها .. كما انه ليس في الاسلام تخصيص محل عبادة
يجمع ، ومحل عبادة بآخرين ، ولذا قال الله تعالى : [وأقيموا
وجوهكم عند كل مسجد] . ولكن مع ذلك ، فقد جعل الاسلام
مراكز خاصة للعبادة ، تسمى بـ (المساجد) ، وأحبّ العبادة فيها ،
والاجتماع اليها ، وجعل الثواب الكبير لبنائها وإيثارها ، والقيام بسائر
شؤونها ، وفضل الصلاة فيها على الصلاة في غيرها ، وهي تنقسم الى :

١ - المراكز التي هي في الرعييل الأول من الأهمية :

كالمسجد الحرام ، بمكة المكرمة .. ومسجد الرسول ﷺ ، بالمدينة
المنورة .. ومسجد الكوفة ، قرب النجف الأشرف .. ومسجد
البصرة ، في مدينة البصرة .. وبيت المقدس ، بالاردن .

٢ - المراكز التي هي في الرعييل الثاني من الأهمية :

كمسجد السهلة ، قرب النجف الأشرف .. ومسجد براثا بين
الكاظمية وبغداد .

٣ - المراكز التي هي في الرعييل الثالث من الائمة :

كسائر المساجد التي أحدثها المسلمون في شرق الارض وغربها ، وهي مختلفة في الفضيلة ، كما فصل في فقه الاسلام .

س : هل للمساجد أحكام خاصة ؟

ج : نعم لها أحكام خاصة ، كتحریم تنجيسها ، وحرمة هدمها اعتباطاً ، وحرمة مكث الجنب ، والحائض ، والنفساء فيها ، بل وحرمة المرور لهم في المسجد الحرام ومسجد الرسول ﷺ .. الى غيرها من الأحكام .

- ٣ -

س : ما هي (المشاهد المشرفة) :

ج : المشاهد المشرفة ، عبارة عن المحلات التي دُفن فيها الرسول والائمة الطاهرون ، وهي :

١ - حجرة الرسول ﷺ بالمدينة المنورة ، بأرض الحجاز .

٢ - البقيع ، الذي هو مثوى : الامام الحسن المجتبي ، والامام زين العابدين ، والامام محمد الباقر ، والامام جعفر الصادق عليهم السلام ، بل مثوى سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام - على احتمال - في المدينة المنورة بأرض الحجاز .

٣ - حرم الامام أمير المؤمنين عليه السلام في النجف الاشرف ، في العراق .

٤ - حرم الامام الحسين عليه السلام ، في كربلاء المقدسة ، في العراق .

٥ - حرم الامام موسى الكاظم ، والامام محمد الجواد ، عليهما السلام ، في الكاظمية ، في العراق .

٦ - حرم الامام علي الرضا عليه السلام في خراسان ، في ايران .

٧ - حرم الامام علي الهادي ، والامام الحسن العسكري ، وسرداب الامام المهدي ، عليهم السلام ، في سامراء ، في العراق .

٨ - وشبه هذه المشاهد في بعض الفضيلة ، بعض المشاهد الاخر ، كحرم سيدنا العباس عليه السلام ، في كربلاء ، وحرم السيدة زينب عليها السلام ، في الشام ، ومشاهد الانبياء ، كمشهد ذي الكفل عليه السلام ، ومشهد موسى الكليم عليه السلام ... الى غيرها .

س : هل لهذه المشاهد فضل خاص ؟

ج : نعم ، حيث نوى فيها انبياء الله واوصياؤه ، والذين لهم قرب وزلفى اليه .

س : اذكروا بعض ذلك الفضل ؟

ج : المشاهد في حكم المساجد - على ما تقدم - بالاضافة إلى استجابة الدعاء في حرم الحسين عليه السلام ، وبعض فضائل آخر فيه وفي سائر المشاهد المشرفة .

س : وهل للحضور ، في هذه المشاهد ، أجر وثواب ؟

ج : نعم ، لقد حثت الاسلام زيارة النبي وبنته والائمة عليهم السلام ، وجعل لزيارتهم من الاجر والثواب ، قدراً كبيراً ، وخصّص اوقات خاصة لزيارتهم ، وجعل لزيارتهم في تلك الاوقات أفضل من زيارتهم في غيرها - لمناسبات اوجبت الافضية - .

ودنيا اليوم ، إن كان جعل لـ (الجندي المجهول) مزاراً ، تحفيزاً للناس في الدفاع عن الوطن ، وتقديراً للجنود الذين يقتلون في ساحات القتال .. ففي الاسلام (قادة معلومون) إن اتبعهم الناس فازوا بخير الدنيا ، وسعادة الآخرة .

ولذا نرى ان مشاهد الرسول والائمة الطاهرين ، مشع الاسلام ، ومبعث

تختلف أنواع السعادة ، يستنير الزائر بانوارهم ، ويقتبس من آثارهم ، ويهتدي بهداهم ، ويتخذهم قدوة وأسوة ، فيفوز بألوان من السعادة والرفاه .
 وبالأخص ، للرسول والائمة ، زيارات ، كلها دروس ومناهج ، مثلا ، تقول في إحدى زيارات الامام امير المؤمنين عليه السلام : « العادل في الرعية ، والقاسم بالسوية » ، فتأخذ منه دستور العدالة ، ومنهج التساوي في إعطاء الحقوق .. وفي إحدى زيارات الامام الحسين عليه السلام : « أشهد انك طهر ، طاهر ، مطهر ، من طهر طاهر مطهر ، طهرت وطهرت بك البلاد ، وطهرت ارض انت بها وطهر حرمك » ، فتأخذ منها درسا في لزوم (طهارة الانسان) قلباً وجسداً وسائر ما يتعلق به ، ولزوم تطهير الانسان للبلاد .. أفليس الزائر يقتدي بالامام الحسين عليه السلام ، الذي (طهرت به البلاد) ؟
 س : وهل لمواسم الزيارة فوائد اخرى ؟

ج : نعم ، وهي الفوائد التي تقدمت في الحج ، لان مواسم زيارة الائمة الطاهرين يجتمع اليها الناس من كل حذب وضوب ، فتترتب عليها تلك الفوائد المترتبة على (الحج) حسب ما ذكرناها سابقاً .

س : ما المراد بـ (الدعاء) ؟ وما هي فائدة الدعاء ؟

ج : (الدعاء) عبارة عن الكلام الذي توجهه الانسان الى بارئه تعالى ، يطلب فيه حاجة منه ، أو يظهر له شكاية ، أو يقدمه سبحانه ، أو يعدد نعمه وآلامه ، أو يظهر رغبة او رهبة ، أو ما أشبه ذلك .
 وأما فائدة الدعاء ، فهي : ١ - صلة بين الانسان وخلقه الكون . ٢ - تقوية للروح ، حيث إذا علم الانسان انه مربوط بـ (قوي) قويته

٣ - تقوية للروح ، حيث إذا علم الانسان انه مربوط بـ (قوي) قويته روحه ، وقوة الروح مبعث الشجاعة والاقدام .

- ٣ - اطمئننا القلب والسكينة ، والاطمئنان مشع السعادة .
- ٤ - تركيز للفضائل في النفس ، وتنفير عن الرذائل ، بسبب الايماء الذي يحصل من الدعاء .
- ٥ - تعرف الى الخير والشر ، اللذين اشتمل عليهما الدعاء .
- ٦ - بالاضافة إلى أن الله سبحانه ، يحيب الدعاء ، كما قال : [وقال ربكم ادعوني أستجب لكم] ، وفي ذلك نيل حوائج الدنيا والآخرة .
- وبالجملة ، فد (الدعاء) الاسلامي (مدرسة) سبارة ، لا يوجد مثلها في مبدأ او دين ، وهي تنفع الانسان منذ شعوره الى آخر ساعة من أيام حياته .
- س : مثلوا للدعاء ؟
- ج : نذكر نتفاً من ادعية الامام السجاد عليه السلام ، في دعائه المعروف بـ (مكارم الاخلاق) :

« اللهم أوسع عليّ في رزقك ، ولا تفتني بالنظر ، واعزني ولا تبليني بالكبر ، وعبدني لك ولا تفسر عبادتي بالعجب ، وأجر للناس على يديّ الخير ، ولا تحقه بالمنّ ، وهب لي معالي الاخلاق ، واعصمني من الفخر » .

« اللهم صل على محمد وآل محمد ، وسددني لان أعارض من غشي واجزي من هجرني بالبر ، وأثيب من حرمني بالبذل ، وأكافي من قطعني بالصلة ، وأخالف من اغتابني الى حسن الذكر ، وان أشكر الحسنه ، واغضي عن السيئة » .

« اللهم صل على محمد وآل محمد ، ولا اظلمن وانت مطيق للدفع عني ، ولا اظلمن وأنت القادر على القبض مني ، ولا اضلن وقد امكنتك هدايتي ، ولا افتقرن ومن عندك وسعي ، ولا اطفين ومن عندك وجدي » .

الى غيرها ..

ومن طالع بدقة ، ادعية الرسول ﷺ ، أو ادعية سائر الأئمة ، المجموعة قسم منها في كتاب (القرآن والدعاء) من البحار ، وفي كتاب مفاتيح الجنان ، وفي الصحيفة السجادية لعلم ان الادعية من اكبر الكنوز التي تصلح لإسعاد الانسان في دنياه وآخرته .

- 0 -

س : ما المراد بالجماعة ؟

ج : المراد بها (صلاة الجماعة) ، فإن الاسلام حث ان يصلي الانسان صلواته اليومية ، في (الجماعة) ، بأن يقتدي المسلمون في صلواتهم ، بـ .. (امام) عادل .. أي مستقيم في الدين .

ومنذ أيام الرسول ﷺ المشرع لصلاة الجماعة - الى هذا اليوم تنعقد صلاة الجماعة ، في طول البلاد الاسلامية وعرضها ، فيجتمع المسلمون في (الصباح) لاداء صلاة الصبح ، وفي (الظهر) لاداء صلاة الظهر والعصر ، وفي (المغرب) لاداء صلاة المغرب والعشاء ، في أماكن مخصوصة - غالباً - كالمشاهد المشرفة ، والمساجد ، ويقتدون بأحدهم ، بمن عرفوه بالسير المستقيم والصلاح ، ويؤدون فريضتهم معه ، قياماً وقعوداً ، وركوعاً وسجوداً .

س : وما هي فائدة الجماعة ؟

ج : فوائد الجماعة كثيرة ، نذكر منها :

١ - توحيد المسلمين عملاً ، كل يوم ، فيقف الرئيس الى جانب المرؤوس ، والابيض الى جانب الاسود ، والغني الى جانب الفقير ، وهكذا .. امام رب واحد ، لا ميزة لاحد على أحد ، وحينذاك ، يشعر الجميع بشعور واحد وتذوب من قلوبهم الفوارق والميزات ، وذلك مبعث كل خير .

٣ - التعاون الذي يحصل بينهم عند اجتماعهم ، إذ يتعرف كل فرد منهم على الآخر ، ويقوم كل واحد بمواجبة صديقه ، ويتفقد أحدهم الآخر ، عند الغيبة ، والشدة والحاجة .

٣ - ترسيخ النظام ، في نفوس المصلين ، لان الجماعة من أفضل أقسام النظام ، وإذا صار النظام ملكة في الانسان أصبح نظامياً ، في جميع حركاته وسكناته .

٤ - الاستفادة من الوعظ والإرشاد ، الذي يلقي على أهل الجماعة ، قبل الصلاة أو بعدها - غالباً - وإطلاع أهل الجماعة ، على الحوادث التي تنتاب المسلمين في مشارق الارض ومغاريها ، ليشاركونهم في الاسى قلبياً ، وعملاً ...

وما تزال هذه الحالة مستمرة الى اليوم ، ولذا نرى وعي أهل الجماعات .. كثيراً ، كما نرى أن من جراء الوعظ والإرشاد الذي يلقي على أهل الجماعة ، يكون أهل الجماعة أكثر من غيرهم نزاهة وطهارة - في مختلف ميادين الحياة .

- ٦ -

س : ما معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟

ج : ان الاسلام أمر بكل خير ، امر ايجاب او امر نديب ، وسمى الخير (معروفاً) ونهى عن كل شر ، نهى تحريم ، أو نهى تنزيه ، وسمى (منكراً) . ومن المعلوم ان بعض الناس ، يترك (المعروف) جهلاً أو لعدم المبالاة كما ان بعضهم يأتي بـ (المنكر) جهلاً أو لعدم المبالاة . ولذا أمر الاسلام المسلمين ، بأن يأمرؤا بالمعروف ، وينهؤا عن المنكر .. وفي ذلك تقويم لمعوج الاجتماع ، وإرشاد للناس نحو الصالح ، وانقاذ لهم من المفاسد والجرائم .

ففي القرآن الحكيم .. [كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون
بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ..]

وقد مثل رسول الله ﷺ الأمر والنهي بشخص يثقب السفينة الجارية
على وجه الماء ، فإن أخذ الركاب بيده ، نجى ونجوا ، وإن تركوه حتى
ثقب السفينة ، هلك وهلكوا .

وقال الامام امير المؤمنين عليه السلام : « لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر ،
وإلا يسلطن عليكم اشراركم ، ثم تدعون فلا يستجاب لكم » .

- ٧ -

س : ما هو الاعتكاف :

ج : الاعتكاف هو اللبث في المسجد ، ثلاثة أيام ، أو اكثر ، يصوم في
النهار ، ويترك كثيراً من الامور المنافية للتقرب إلى الله سبحانه ..
ولا يخرج من المسجد إلا للحوائج الضرورية .

س : وما فائدة الاعتكاف ؟

ج : فائدته السمو بالروح ، والانقطاع عن الملائق الجسدية المكدره لصفاء
الفكر ، فهو فترة استجمام واستراحة لتنظيف البدن ، وتطهير النفس .

وقد نرى ان الناس - في الحال الحاضر - ينقطعون عن اعمالهم - حتى
رؤساء الحكومات الكبار ، فترة الاستجمام ، فيذهبون إلى منزل في الريف ،
أو شاطئ بحر ، أو ما أشبه ، ليستعيدوا نشاطهم ، ويفكروا في امورهم ،
خارجاً عن ضوضاء الاجتماع .

والاعتكاف افضل من ذلك :

اولاً - بالصيام ، الذي قد عرفت فيما سبق بعض فوائده .

وثانياً - بالتوجه إلى الله سبحانه ، الذي هو مصدر كل خير ، وملهم كل طمانينة وسكينة .

وثالثاً - بأنه في المسجد الذي هو محل الطاعة والعبادة والصدق والصفاء والتجرد عن الاوضاع والآثام .. وقد ثبت في العلم : ان المكان مما يؤثر في النفس ، ويلهم بالطهارة أو الجريمة - حسب اختلاف الامكنة - .

- ٨ -

س : ما المراد بالدعوة الى الخير ؟

ج : لقد سمى الاسلام كل عمل حسن (خيراً) وأمر الناس بالدعوة إلى الخير ، فقال الله سبحانه ، [ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير] كما امر بعمل الخير .. بل فوق ذلك جعل الاسلام ثواب من أرشد إلى الخير ، كثواب من عمل الخير ، ففي الحديث ، « الدال على الخير كفاعله » .

والخير ينقسم إلى قسمين :

١ - الخير الذي نص عليه الاسلام ، مثل (الصلاة) و (اسعاف المحتاج) و (اطعام الجائع) وما أشبه .

٢ - الخير الذي يشمله هذا العموم ، وان لم يكن له نص في الاسلام بالخصوص ، كبناء المدارس ، والمستشفيات ، وتكوين الجمعيات الخيرية لفرض الاكساء ، والاطعام ، والتزويج ، وما أشبه .

وعلى هذا ، فالمسلم - في نظر الاسلام - هو الذي يعمل الخير ، ويأمر بالخير .. حتى ورد في الحديث عن الرسول ﷺ (تنحية الأذى عن

«الطريق صدقة» ، ولو أخذ أهل العالم بالمنهاج الإسلامي ، في العمل بالخير والدعوة إلى .. الخير لم يبق محتاج واحد ، ولانقلبت الدنيا جنة نعم ، وعم الخير والرخاء والالفة من أقصى الأرض إلى أقصاها .

- ٩ -

س : ما معنى (الذكريات) ؟

ج : لقد جعل الإسلام الاحتفال والاجتماع في ذكريات الرسول والأئمة .. الطاهرين - سواء ذكريات الأفراح كالمواليد ، وذكريات الأحزان ، كالوفيات - أمراً مندوباً إليه ، مرغوباً فيه .. وذكر لجملة منها مقداراً كبيراً من الأجر والثواب .

وقد ورد في الحديث « شيعتنا منا .. يفرحون لفرحنا ، ويحزنون لحزننا » .

س : ما هي فائدة الذكريات ؟

ج : للذكريات فوائد كثيرة ، نذكر جملة منها :

١ - التشجيع ، فإن الناس لو رأوا إكرام أهل الخير والإصلاح ، جاشت نفوسهم إلى الخير ، ليكونوا مورد اعزاز الناس وإكرامهم .. وبقدر كونه تشجيعاً للخير والإصلاح يكون تنفيراً عن الشر والفساد .

٢ - الأسوة ، فإن الإنسان إذا عظم في نفسه شخص اتخذه أسوة ، وصبغ بحياته بمثل صبغته ، فإن النفس مجبولة على السمو والارتفاع إلى مصاف الذين هم في قمة الإنسانية ، وفي مستوى رفيع من المجد والفضل .

٣ - التقدير ، للذين اهتموا بصالح المجتمع ، فإن من حق المصلح أن يقدره الناس حياً وميتاً .

٤ - بالاضافة إلى أن الذكريات غالباً ، تكون في الاجتماعات والندوات وفي ذلك الفوائد الاجتماعية التي سبق جملة منها في (الحج) و (صلاة الجماعة) .. كما أن الغالب مزج الذكريات بالارشاد والاصلاح مما يوجب الفائدة المزدوجة : فائدة الذكرى بذاتها ، وفائدة الارشاد الملقى في أثناء الذكرى .

٥ - وإذا اشتملت الذكرى على المظاهر : كالزينة وما إليها في الافراح ، والتسويد وما إليه في الأحزان .. كان الاثر المطلوب اكثر ، لأن العين تشارك الاذن - حينذاك - في الاستفهام والاستيعاب ، فيكون التركيز أكثر ، والاستجابة إلى الخير والابتعاد عن الشر أقوى .

س : مثلوا للذكريات ؟

ج الذكريات امثال :

١ - عيد ميلاد الرسول ، وفاطمة الزهراء ، والأئمة الاثني عشر عليهم الصلوة والسلام .

٢ - عيد المبعث النبوي .. الذي بعث فيه الرسول ﷺ إلى البشر في يوم : ٢٧ رجب .

٣ - عيد الغدير .. الذي نصب الرسول ﷺ علياً خليفة على المسلمين ، في غدير خم ، يوم : ١٨ ذي الحجة .

٤ - وفاة الرسول ، وفاطمة الزهراء ، والاحدى عشر من الأئمة الاثني عشر عليهم السلام .

٥ - ومن الأعياد الاسلامية (عيد الفطر) أول شوال .. و (عيد الاضحى) العاشر ذي الحجة .

٦ - كما أن من الذكريات الاليمية يوم أربعين الامام الحسين عليه السلام : ٢٠ / صفر .

س : ما معنى التولي والتبري !

ج : الانسان إذا أحب شخصاً ، اقترب إليه ، وإذا اقترب الى شخص ، اقتدى به في أعماله واقواله .. وإذا كره شخصاً ابتعد عنه ، وإذا ابتعد عن شخص خالفه في اعماله وأفعاله .. والحب والابتعاد يسمى به (التبري) .

س : لمن ينبغي (التولي) ؟ ولمن ينبغي (التبري) ؟

ج : ينبغي التولي (لله) و (رسله) و (الأئمة) و (الصالحين) .. كما ينبغي التبري من اعداء الله ، واعداء رسله ، واعداء الأئمة ، واعداء الصالحين) . وذلك لأن الانسان الذي تولى الله والصلحاء ، اقترب اليهم قلباً وقالباً ، واطاعهم واقتدى بهم ، وفي ذلك صلاح الدنيا والآخرة .. وكذلك إذا تبرى الانسان من اعداء هؤلاء ، ابتعد عنهم وفارقهم وباينهم في اعماله واموره ، فلا يشقى كما شقى اولئك الاعداء .

هذا ...

بالاضافة إلى ان الانسان لا بد وأن يشبع غرائزه النفسية ، التي منها .. (الحب والكره) وهناك ثلاث فئات :

١ - الله والصالحون من عباده .

٢ - اعداء الله واعداء الصالحين .

٣ - الذين ليسوا لله ، ولا لأعداء الله - كالجبال القاصرين وأهل الأرياف والمنقطعات من الصحاري - فإذا أراد الانسان إشباع غريزة الحب ، كان اللازم أن يشبعه بمن هو جميل وحبه نافع .. وإذا أراد اشباع غريزة الكره ، كان اللازم أن يشبعه بمن هو قبيح وحبه ضار .

ولذا كان (التولي) و (التبري) كما ذكر (اولاً) صرف لهذه الغريزة التي لا بد من صرفها ، و (ثانياً) ينتفع الانسان بذلك في دنياه وآخرته .
س : وهل للغريزة اشباع ؟

ج : ان الغرائز كلها - من حب ، وكره ، وجزن ، وفرح ، وشجاعة ، وغيرها .. مثلها مثل البطن ، لا بد لها أن تشبع .. وقد بينت الاسلام (الصالح) من الغذاء لهذه الغرائز ، حتى يكون الانسان على علم بما يسعده وما يشقيه فيتبع النافع ، ويترك الضار .

الفصل الثامن

الحرية الإسلامية

س : هل في الإسلام حرية ؟

ج : من أوسع الحريات التي جاءت بها الأديان أو القوانين، الحرية الموجودة في الإسلام ، فإن الإسلام دين الحرية - بجميع معنى الكلمة - .

س : وهل لذلك دليل من (الكتاب) و (السنة) ؟

ج : نعم أما من القرآن الحكيم ، فإنه وصف نبي الإسلام بقوله : [يحمل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم أصرهم والأغلال التي كانت عليهم] فالأصر والأغلال الاجتماعية التي كانت في أعناق الناس ، مما كبتت حرياتهم ، وضعها النبي عن الناس ، فاطلقهم ، وحررهم بعد أن استعبدتهم القيود والجهالات .

وأما من السنة المطهرة ، فالقاعدة المشهورة من كتب الفقه ، المأخوذة من الكتاب والسنة ، وهي (الناس مسلطون على أنفسهم وأموالهم) ، فإن كل إنسان له أن يتصرف في نفسه ، وفي ماله ، بما يشاء ، شريطة أن لا يكون ذلك للتصرف محرماً في الشريعة الإسلامية .

س : مثلوا للتصرف المحرم في الشريعة الاسلامية ؟

ج : التصرف المحرم في النفس ، أن يقتل الانسان نفسه ، أي (ينتحر) ، أو يقطع عضواً من أعضائه ، كأن يقطع يده بنفسه ، أو يعطل قوة من قواه ، كأن يعمي عينه ، أو يصب أذنه ، أو ما يشبه ... أما التصرف المحرم في المال ، مثل أن يتلف الانسان ماله بالقائه في البحر ، أو إحراق اوراقه النقدية ، أو ما أشبه ذلك ، أو يشتري بماله الشيء المحرم (كالخمر) أو يعطيه اجرة (الزنا) أو يقامر بماله ، أو ما شابه ذلك . وحيث ان المحرمات في الشريعة قليلة ، بل اقل من القليل ... وكل محرم انما هو لمصلحة فردية أو اجتماعية ... تكون انواع التصرف في المال والنفس ، كثيرة جداً ... بما لا مثيل لها في شريعة أو قانون .
إطلاقاً .

س : ما هي الحريات الاسلامية ؟

ج : اقسام الحريات في الاسلام ليست قابلة للعد والحصر لكثرتها، وإنما نذكر هنا عشرة انواع ، هي الجامعة لأكثر اقسام الحريات ، وهي :

١ - حرية التجارة ، فلكل احد ان يتجر بما يشاء من انواع الاجناس - غير المحرم ، كالخمر والخنزير - وفي اي وقت شاء ... وان يصدر الى اي مكان شاء ... وان يستورد من اي مكان شاء، بدون جمارك ... ولا حدود ... ولا قيود ...:

٢ - حرية الزراعة ، فلكل انسان ان يزرع بكل حرية، وبدون قيد أو ضريبة ، ما شاء في اي مقدار من الأرض مساحة ، فإن الأرض لله ولبن عمرها - كما في الحديث .

٣ - حرية الصناعة ، فلكل احد ان يُنشئ المعامل ، او يستورد المعامل ، او يصدر المعامل ، اي معمل كان ، وان يصنع المصنوعات بدون أية ضريبة او شرط او قيد .

٤ - حرية حيازة المباحات ، فالأرض ، والماء ، والهواء ، كلها لله ،
فالثروات المودعة فيها مباحة لكل احد إستخرجها ، سواء اسماك
البحر والماء ، او معادن الأرض ، وكنوزها ، او اخشاب الغابات ،
او ذرات الفضاء او غيرها من سائر الثروات المودعة في الكون .

٥ - حرية العمران ، فلكل احد ان يعمر الأرض ، بالبناء او شتى
الأنهر ، او حفر الآبار ، او غيرها من سائر انواع الانتفاع ، للقاعدة
المتقدمة : الأرض لله ولمن عمرها .

٦ - حرية السفر ، فلكل احد ان يسافر الى اي موضع شاء بدون
إجازة او إذن او دفع رسوم ، وليس لأحد ان يمنع احداً عن السفر
الى اي اتجاه شاء ... كما للانسان ان يبقى في السفر اية مدة شاء ، فلا
تحديد ، في مدة السفر ، وذلك لأن الاسلام لا يعترف بالحدود للاقطار ،
وإنما الارض لله ، يسير فيها الانسان كيف شاء... بل فوق ذلك جعل
الاسلام رصيذاً خاصاً لابناء السبيل ، اذا انقطعوا بسبب نفاد نفقتهم .
او ضياعها بسرقة او ما اشبه ... كل ذلك تشجيعاً للسفر .

٧ - حرية الاقامة ، فلكل انسان ان يقيم في اي مكان شاء ، بدون
أي قيد وشرط فالجواز والجنسية ، والهوية ، وما اشبه ... لا اثر لها
في الاسلام إطلاقاً ... فكل أحد حرية لا يقيد فيه أبداً .

٨ - حرية الكلام ، فلكل احد ان يتكلم ويخطب ويذيع ما يشاء ،
بدون اي قيد وشرط ، نعم يشترط ان لا يكون كلامه محرماً ،
كالسباب ، والغيبة ، ... والنميمة وما أشبه .

٩ - حرية للتأليف والطبع ، فلكل احد ان يؤلف ما يشاء ، ويطبع
ما يريد ، وينشره ، بشرط أن لا يكون محرماً - كما تقدم في حرية
الكلام - .

١٠ - حرية الجمع بين انواع من العمل ، فليس يحظر عمل يزيد الانسان ،

إذا هو يعمل عملاً من نوع آخر، كما هو الشأن في الدنيا الحاضرة، حيث يحرم القانون الجمع بين عمليْن ، كالوظيفة والتجارة - مثلاً - أو ما أشبه ذلك .

س : وهل كان للمسلمين هذه الحريات ، قبل سقوط الدولة الإسلامية ؟

ج : نعم كان المسلمون ، وغير المسلمين الذين كانوا يتمتعون بظلال المسلمين ، يفترون من هذه الحريات ، طيلة عمر الإسلام ، إلا في فترات شاذة استثنائية حيث كبتت بعض هذه الحريات ، لا قانوناً ولا رسماً ، وإنما استبداداً ، أو ما أشبه ... إما كون الكبت والتقييد للحريات قانوناً تقرره الحكومات ، وتضع على الانطلاق والحرية اتاوات ، وتمدها جرائم ، فلم يوجد إلا بعد ان سقطت دولة الإسلام ، واستبد الغرب بقيادة العالم ، فجاء بألف قيد وقيد ، وزاول ألف كبت وكبت ومن العجيب أن الغرب بعد ذلك كله يدعي بأنه محرر البشر ، ومطلق الناس من الاغلال ؟ (!!) .

الفصل السابع

الاقتصاد الاسلامي

س : هل كان للاسلام اقتصاد ؟

ج : الاقتصاد الصحيح الحر ، إنما هو في الاسلام وحده ، اما الاقتصاد السائد في دنيا اليوم ، فليس باقتصاد صحيح ، لما فيه من :

١ - انحراف في الاقتصاد ، برفع كفة الى السماء من أصحاب الملايين ، ووضع كفة الى ما تحت الأرض من الفقراء الذين يموتون جوعاً وعرياً كل يوم ، بالآلاف .

٢ - وكبت للاقتصاد ، بإلغاء الملكيات الفردية ، فالأفراد يعيشون في أفقر حالة .

س : كيف كان الاقتصاد الاسلامي ؟

ج : بيان الاقتصاد في الاسلام يحتاج الى مجلدات ضخمة ^(١) لكننا نوجزه في

(١) راجع كتاب الوعي الاسلامي : الاقتصاد : ج ١ - ٢ .

الخطوط الأساسية العامة التي وضعها الاسلام ، لنفي الفقر والحاجة عن المجتمع ، وترفع مستوى المعيشة والخطوط الأساسية هي :

الاولى : توسيع الحريات ، في جميع المجالات ، فإن الناس حيث كانوا يتمتعون بحرية واسعة في ظل الحكم الاسلامي - كما عرفت في الامم الى ذلك في فصل سابق - كانوا يعملون بكل حد وإخلاص ، والطريق امامهم مفتوح ، ولهذا كانوا ، يثرون ، وقلما يوجد انسان محتاجاً ... إذ من المعلوم أن المناهج الاصلية للثروة كانت مباحة بجميع أقسامها ، ولم يكن عليها ضرائب واطوات ، كما لم تحتاج الى قيود وشروط ، فكان كل انسان ... يشتغل ويعمل ، وعمله كان يدر عليه الرزق ويفيض عنه . . . أما في ظل القوانين :

١ - فمنابع الثروة محصورة ، لا يحق لأحد الانتفاع بها .

٢ - وما يجوز الانتفاع بها عليها ضرائب ورسوم .

٣ - ثم الانتفاع لا يكون إلا بقيود وشروط .

ولذا قلنا يتمكن الانسان من الانتفاع بالمنابع الاصلية ، وفي صورة التمكّن ، تأخذ منه الشروط والضرائب كل ما أخذ ، ولو قلنا ان هذه القيود اخفضت مستوى الثروة من المائة الى العشرين ، لم نكن مبالغين .

ونمثل لذلك بالعراق ، فقد كانت في زمن الاسلام عامرة بالزراعة والعمارة ، وفي ظل غير الاسلام ، لا نجد إلا الجزء القليل منها عامرة ، أما الباقي فخراب وبياب ، وبينما كان يعيش من خيراتها أربعون مليون ، تحت ظل الاسلام ، لا يصل نفوسها اليوم ، الى ثمانية ملايين .

الثانية : بساطة جهاز الحكومة في الدولة الاسلامية ، وكما ترى من البساطة ، في هذا المثال : حينما فتحت العراق ، جاء اليها من المدينة ، للحكومة ثلاثة أشخاص فقط والسر أن الجهاز الحكومي موضوع للعدل

بين الناس أولاً ، وحفظ البلاد من الاعداء ثانياً ، وترقيع المستويات في جميع الجهات ثالثاً ... وحيث ان الحكومة الاسلامية :

١ - شعبية الى أبعد حد .

٢ - لا تعترف بالقيود التي تسبب تكثير الاجهزة .

٣ - ليست (روتينية) وإنما سريعة في حل القضايا .

٤ - تعمم الثقة بين الناس ، بوضع مناهج الايمان والضمير .

لذا لا تحتاج لأجهزة كثيرة ، فموظفوا الدولة في غاية القلة ، ولذا فالمال متوفر الى أبعد حد ، وهذا مما يسبب بدوره ترفيع المستوى الاقتصادي من ناحيتين :

الاولى : ان الموظف غالباً ، لا يعمل لنفسه ، وإنما يكون كلا على عمل الآخرين ، فإذا قل الموظفون توفر المال الذي يلزم صرفه فيهم ، فيتوفر المال عند الدولة ، فتقوم بسائر الامور الحيوية .

الثانية : ان الذين لا يوظفون يعملون لأنفسهم ، ويكونون أجهزة الانتاج ، بينما اذا كانوا موظفين ، أصبحوا أجهزة الاستهلاك ، ولناخذ مثلاً : اذا كان في بيت عشرة أشخاص ، كل شخص يكتسب كل يوم دينار ، فإذا وظفنا من هؤلاء خمسة - مثلاً - كان الدخل خمسة دنانير لعشرة أشخاص بينما اذا كان الموظف منهم واحداً ، كان الدخل تسعة دنانير ، لعشرة أشخاص .

الثالثة: بيت المال « وكان يجمع المال فيه ، من الأضراس والزكوات ، والجزية ، والخراج ، وقد تقدم معنى (الخمس والزكوة والجزية) ، وأما (الخراج) فهو حاصل أراضي الدولة التي لها بالحيازة ، أو للمسلمين بالمحاربة أو ما أشبهه .

ووظيفة بيت المال أمران :

الأول : سد حاجات الناس ، إطلاقاً .

الثاني : القيام بمصالح الناس - بمختلف أقسام المصالح - .

فبيت المال - مثلاً - : يعطي المال للفقير ليفنى ، ولإبن السبيل ليرجع الى بلده ، وللعزب ليتزوج ، وللمريض الذي لا يتمكن من نفقة مرضه ، حتى يشفى ، وللشخص الذي ليس له رأس مال وهو يريد الكسب ، ليكتسب ، والذي ليس له دار وهو بحاجة اليها ، لبنني داراً ، ولمن يريد طلب العلم ولا يتمكن من النفقة ، لينفق في سبيل العلم ... الى غيرها وغيرها ، من سائر الحوائج ، وبالجملة فكل محتاج يراجع بيت المال ، على بيت المال تموينه ، على سبيل الوجوب والحق عليه ، لا على سبيل التبرع والاحسان .

هذا من ناحية ...

ومن ناحية أخرى : على بيت المال القيام بجميع مصالح المسلمين من تمبيد الشوارع وإثارتها ، وبناء المصحات ، وفتح المدارس ، وبناء المساجد ... وغيرها وغيرها ، فلا يبقى معوز محتاج ، ولا مصلحة غير مكفية .
وهذه الخطوط الثلاثة التي معنا اليها : (توسيع الحريات ، بساطة جهاز الحكومة ، بيت المال) تمكن الاسلام من ترفيع مستوى الناس (اقتصادياً) ، ولذا كان الاقتصاد الاسلامي من أفضل أنواع الاقتصاد ... لا كالاقتصاد الرأسمالي الذي فيه إختلال الثروة ، ولا كالاقتصاد الشيوعي الذي لا يقوم بأوليات حاجات الشعب .

الفصل العاشر

السلام في الاسلام

- س : هل الاسلام دين السلام أو دين الحرب ؟
- ج : الاسلام دين السلام لا دين الحرب ، وبدل على ذلك قوله سبحانه : [يا أيها الذين آمنوا أدخلوا في السلم كافة] ، وقوله تعالى : [وان جنحوا للسلم ، فاجنح لها] .
- س : فهل يقول الاسلام بالخضوع أمام الظالم والمعتدي ؟
- ج : كلا فإن الاسلام دين العقل والعدل ، ولذا لا يجوز الخضوع والاستسلام ، ولذا يقول : [فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم] ويقول : [أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير] ، ويقول : [وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به] .
- س : إذا كان الاسلام دين السلام ، فكيف جوز الاسلام محاربة الكفار ، ولماذا قام نبي الاسلام بمحاربتهم ؟
- ج : إتسمت حروب الرسول ﷺ كلها بأنها كانت دفاعية (١) ولم تكن

(١) راجع كتاب : (الرسول في المدينة) المؤلف .

- حروباً اعتدائية ولم تكن لحب السيطرة ، وتملك البلاد ، واستعمارها .
- س : هل تجوز الاسلام الحرب الابتدائية ؟
- ج : نعم يجوز لأمرين :
- الأول : في سبيل الله ، لإنقاذ الناس من القذارات العقيدية والخلقية ، والاجتماعية وما أشبه .
- الثاني : في سبيل المستضعفين ، لإنقاذ الامم التي تكون تحت الكبت والظلم ، من أيدي الظالمين والمستعبدين .
- وقد ذكر القرآن الحكيم ذلك بقوله : [وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله .. والمستضعفين] ؟
- س : ما هو ملخص الفروق بين الحروب الاسلامية ، وبين الحروب غير الاسلامية ؟
- ج : ملخص الفروق هي :
- ١ - أن الاسلام إنما يحارب لأجل الانقاذ :
- أ - إنقاذ البشر من خرافة العقيدة ، وقذارة الأعمال ، والنجاة للمستضعفين من المستغلين .
- ب - الدفاع للمهاجرين ، سواء كانوا من الخارج ، أو ثورة ضد الاسلام من الداخل .
- ٢ - وان الاسلام إذا حارب يراعي النظافة في المحاربة الى أبعد حد :
- أ - بعدم التعرض ، للنساء ، والأطفال ، والذين لا شأن لهم في الحرب ، والنسك وما أشبه .
- ب - وعدم قطع الماء ، وإلقاء السم ، وقطع الأشجار ، وما أشبه .
- ج - التقليل من القتال حسب الامكان .
- د - العفو العام بعد السيطرة ، كما فعل الرسول ﷺ بأهل مكة ، وعلي بن أبي طالب بأهل البصرة .
- ٣ - المعاشرة الحسنة بعد السيطرة .

- أ - بتعميم العدالة الى ابعد حد .
- ب - عدم استثمار البلاد ، وإنما يحمل منافع البلاد لأهلها .
- ج - عدم الاستبداد بسلطة البلاد ، بل يجعل الصالح من أهل البلاد حاكماً عليهم اذا توفرت فيه الشروط .
- د - اعطاء الحريات الكاملة للناس ، والتساوي الكامل ، كما عرفت شرطاً من ذلك فيما سبق .
- أما حروب غير الاسلام .. فليست لأجل الانقاذ ، وإنما لأجل السيطرة .. وهي ملوثة قذرة .. ويمعن الفاتحون بعد السيطرة في القتل والاستتار والاستبداد . وما ذكرناه في جانبي الحروب الاسلامية ، والحروب غير الاسلامية ، ليس ادعاءً وإنما ينطق بذلك التاريخ .. وما خالف ذلك في الحروب الاسلامية ، فهو شاذ خارج عن منهاج الاسلام .. كما انه لو اتفقت النظافة في الحروب غير الاسلامية ، فهو شاذ بل أقل من الشاذ .

الفصل الحادى عشر

السياسة في الاسلام

- س : هل في الاسلام سياسة ؟
- ج : نعم ، فإن الاسلام - كما سبق - دين ودنيا ، فهو لم يترك شيئاً مما يحتاج اليه الناس إلا بيّنه ، وأوضح منهاجه .
- س : ما هي كيفية السياسة الاسلامية ؟
- ج : تفصيل كيفية الحكم الاسلامي يحتاج الى مجلد ضخم ، ولكننا نوجز ذلك في الخطوط الأصيلة العريضة وهي :
- ١ - من هو الحاكم الأعلى ؟
 - ٢ - كيفية الحكم في الاسلام ؟
 - ٣ - كيفية النظام ؟
- س : من هو الحاكم الأعلى ؟
- ج : الحاكم الأعلى هو الذي يشتمل على الشروط التالية :
- ١ - البلوغ والعقل ، والحرية ، والذكورة ، وكونه ولد الحلال ، والايان .

٢ - الفقهة لأمر الدنيا والدين .

٣ - العدالة التامة .

وجماعة من الفقهاء شرطوا : كونه أعلم ممن سواه .

س : ما هي كيفية الحكم في الاسلام ؟

ج : الحكم في الاسلام : حكم ديني ودنيوي - معاً - ومعنى ذلك أن الحاكم الاسلامي إنما يحكم (باسم الله) ، لا (باسم نفسه) و (لا باسم الشعب) ولا (باسم طبقات الاشراف) ، وفائدة هذا القسم من الحكم :

١ - سد فراغ الجهة الروحانية في الناس ، فلا تتوزع السلطة بين (السلطة الدينية و) السلطة الزمنية () ، وإنما هي سلطة واحدة تمثل الدنيا والدين معاً .

٢ - عدم تمكن الحاكم من الانحراف - وإلا افتضح فوراً - لأن الدين له قوانين خاصة ، لا تتغير ، ولا تقبل ، ولا تتعدل .

٣ - تقوية العلاقة بين الناس وبين الحكومة ، مما يسبب التعاون التام ، إذ ان الناس جبلوا على (التدين) حتى من يعان أنه ليس بمتدين ، يقصد أنه ليس بمتدين بالله لا أنه ليس بمتدين مطلقاً ، فإن الدين معناه (الطريقة) التي يتخذها الانسان طريقة لنفسه في الحياة ... فإذا اجتمع الدين والدنيا في جهة ، كانت علاقة الناس بها كثيرة .

٤ - ويتبع الامور السابقة ... امتداد الحكومة وطول عمرها ، لأن السلطة الروحانية أكثر دواماً ، وأطول عمراً ، من السلطة الزمنية .

س : ما هي كيفية النظام في الاسلام ؟

ج : الجواب على هذا السؤال يحتاج الى تفصيل في مختلف مرافق الحكم الاسلامي ، لكننا نكتفي ببعض الخطوط العريضة المقومة للحكم في

نظر الاسلام وهي :

- ١ - القضاء في الاسلام .
- ٢ - الجيش في الاسلام .
- ٣ - المال في الاسلام .
- ٤ - الحريات في الاسلام .
- ٥ - الحل للمشاكل في الاسلام .
- ٦ - التقديم بالامة في الاسلام .

وهذه الأمور الستة ثلاثة منها - وهي الثلاثة الأولى - من المقومات الأساسية لكل أمة ... فإن القضاء للعدالة الداخلية ... والجيش لدفع الأعداء وما أشبه ... والمال لتأمين القضاء والجيش وسائر المصالح . وثلاثة منها - وهي الثلاثة الأخرى - لرفاه الأمة والتقديم بها الى الامام .

س : كيف القضاء في الاسلام ؟

ج : القضاء في الاسلام (بسيط) و (سريع) و (مجاز) فحاكم واحد يحل قضايا مدينة كبيرة ، بأبسط الاشكال ، وبمجرد المراجعة اليه ، بدون أخذ رسوم وما أشبه ، فيستل المدعي ، هل له دليل ، فإن كان له ، فالحكم وفق دعواه... وإن لم يكن له دليل ، فالحكم المنكر ، وإذا صدر الحكم انتهى كل شيء . ولذا نرى أن (الكوفة) المدينة الكبيرة جداً ، كان يحكمها قاض واحد ما يقارب نصف قرن .

س : كيف الجيش في الاسلام ؟

ج : الجيش في الاسلام .. كما يستفاد من مختلف الأدلة .. للجميع ، واختياري ، وبدون كلفة زائدة ، فالحاكم يعين ساحات خارج المدن ، ويهيء الوسائل

ويحبذ الى الناس التدريب ... ومن المعلوم ان الناس يرغبون في مثل هذا التدريب فيعم من ناحية ، ولا يكلف الناس بالجندية إلا بعض الوقت من كل يوم اما سائر اوقاتهم فإنهم يصرفونها في شؤونهم من ناحية ثانية ، ولا ترهق نفقات الجيش الثقيلة كاهل الحكومة إلا بمقدار تهيئة الوسائل الأولية فقط ، من ناحية ثالثة ، ويمكن ان تمثل الجيش في الاسلام ، بالفريق الرياضي حتى في الحال الحاضر .

س : كيف المال في الاسلام ؟

ج : تقدم أن الضريبة في الاسلام منحصرة في (الخس ، والزكاة ، والجزية ، والحراج) والاسلام يستبر أجهزته من هذا المال ، الوارد الى بيت المال ... وحيث ان أجهزة الدولة في الاسلام بسيطة الى أبعد حد ، لا تحتاج الدولة الاسلامية الى المال مثلما تحتاج اليه الدول المعاصرة ، ولذا يسعد الناس في ظل الاسلام بقله الضرائب ، وتسعد الدولة بخفة الكاهل .

س : ما معنى الحريات في الاسلام ؟

ج : حيث ان اجهزة الاسلام بسيطة الى أبعد حد ، تتوفر الحريات للناس الى أبعد حد ... فالزراعة ، والتجارة والصناعة ، والسفر ، والعمارة ، والإقامة ، وحياسة المباحات ، وما أشبه كلها مطلقة ، لا حدود لها ولا قيود ، ولا رسوم ولا ضرائب ... وكذلك لا أعمال إجبارية كالجندية ... والحاجات كلها تُقضى بأبسط صورة ، فالقضاء بسيط جداً والبيع والشراء ، والرهن والاجارة ، وما أشبه ، تنجز بسرعة - مثلاً - كل مراسم البيع ... تتلخص في : (بيعت من البائع ، وقبلت من المشتري وكتابة ورقة عادية ، بإمضاء شاهدين) وهكذا ، وهم جرا ، في كل الأمور .

س : كيف يحل الاسلام المشاكل ؟

ج : حيث ان الاسلام :

٦ - لا يعترف إلا بالمشاكل الأولية .

٢ - ولا يقرر أية ضرائب على الاشياء والاعمال .

٣ - وأن اجهزته الحاكمة قليلة جداً .

تختلف المشاكل الحاضرة - في الدول المعاصرة - تحت ظل الحكم الاسلامي... ولا تبقى إلا المشاكل الأولية ، أعني المرافعات والجنائيات... ومخالفات الاسلام... كالترافع على دار أو ما أشبه والسرقة والقتل ونحوها، وشرب الخمر ونحوها... أما هذه المشاكل الثلاث ، فالاسلام يحلها بكل سرعة ، حتى لا يصح ان تسمى مشكلة ، والترافع ينتهي بسرعة ، ولذا يكفي قاض واحد لمدينة كبيرة ، والقاضي هو الذي يتولى فصل الخصومات ، وضبط أموال الأيتام والأوقاف والقصر ، ويشهد على المبيعات، والمعاملات، وله منفذ يجري الحدود... والسجن في الدولة الاسلامية قليل جداً ، ولذا صح أن يقال لا مشكلة للناس في الدولة الاسلامية... وإذا اختلفت المشاكل فمعن الطبيعي أن يشتغل الناس بأمورهم في كل هدوء وفراغ بال .

س : كيف يقدم الاسلام الامة الى الامام ؟

ج : للاسلام في التقدم بالامة أسباب نوجزها في الخطوط العريضة التالية وهي:

١ - بساطة الاجهزة .

٢ - التحريض .

٣ - التعاون .

١ - اما بساطة الاجهزة ، فقد عرفت قسماً منها... وقد ذكر المؤرخون عدد أعضاء الدولة الاسلامية، فلم يتجاوز الخمسين لكل مليون - تقريباً فإن الاسلام لا يعترف بكثير من أجهزة الدول المعاصرة (٢) وما يعترف بها من الاجهزة إنما تنجز الامور في كل البساطة ، فلا التواء

وامتداد حتى يحتاج الى كثرة من الموظفين (٣) كما يفوض كثيراً من الاعمال الى الناس ، فلا يستبد بها حتى يحتاج الى أجهزة ، ويرهق كاهله ، ويأخذ العمل من ايدي الناس .

ب : وأما التحريض : فان الاسلام يحرض على العلم والعمل بما لا مثيل له في أي دين أو قانون . فيجعل (طلب العلم فريضة على كل مسلم) ، ويجعل من ثواب الآخرة ... للعالم والعامل قدراً مدهشاً... ولذا يكون أهل الدين ذا قوتين في تقديم الامور الى الامام : قوة دنيوية ، كما هي موجودة في غيرهم ، وقوة دينية غير موجودة في غيرهم ، كما يشير اليه قوله سبحانه ، « وترجون من الله ما لا يرجون » .

ج : وأما التعاون ، فإن الدولة الاسلامية بتعارف مع الناس ، في ازدهار الحياة والتقدم بالامة ، كما يرشد الى ذلك أمر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، مالك الأثر ، حين ولاء مصر ، في عهده المبارك ، وغيره من الأدلة . ومن المعنوم أن توفر هذه الاسباب ، تحت ظل الاسلام ، موجب... لتقدم الامة تقدماً مدهشاً .

هذا كله ، موجز في حقل السياسة الاسلامية ، وإلا فتفاصيلها يحتاج الى سعة من الكلام ، وقد ذكرناها في كتاب مستقل .

الفصل الثاني عشر

الاجتماع في الاسلام

س : هل في الإسلام كيفية خاصة للاجتماع ؟

ج : لا بد وأن يكيف الاجتماع في وحداته ، حسب المنهاج المقرر له ..
والمنهاج المقرر قد يأخذ بنظر الاعتبار ، الفطرة الأصيلة في الأفراد .
وقد لا يلاحظ ذلك ، والاسلام حيث أنه دين الفطرة ، لاحظ في
جميع أنظمته الفطرة فأرشد إلى الصالح ، ونهى عن الفاسد ، وإذا
أخذنا الاجتماع بهذا اللحاظ ، رأينا وحداته مكونة من :

- ١ - العائلة .
- ٢ - المزارعين .
- ٣ - المتعاملين .
- ٤ - المدرسة .
- ٥ - العبادة .
- ٦ - المواسم .
- ٧ - الوظيفة .

٨ - الاجتماعات الاتفاقية : كالأصدقاء ، والأعراس ، والسفر ، والمآتم ، وما أشبه .

٩ - الجيش .

١٠ - الحكومة والشعب .

والاسلام قرر لكل ذلك انظمة ومناهج خاصة ، لا يمكن أن يتصور احسن منها مناهج وأنظمة .

أ - فالعائلة : لكل فرد منها وظائف ، فللزوجة وظائف ، وللزوجة وظائف ، ولها بالنسبة إلى الاولاد وظائف ، كما أن الاولاد تجاه الابوين وظائف .. ثم إذا توسعت العائلة إلى الاقرباء ، فلهم وظائف وحقوق متبادلة ، وليست هذه الوظائف خاصة بحال دون حال ، أو في فقرة خاصة ، أو بالنسبة إلى بعض الجهات ، وإنما هي عامة في جميع النواحي بعضها واجبة .. وبعضها مندوبة ، وبعضها محرمة ، وبعضها مكروهة ، وبعضها مباحة - حسب الاحكام الخمسة - مثلاً : يقرر الاسلام منهاج الزفاف ، وانفاق الزوج ، واطاعة الزوجة والاخلاق البيئية ، وكيفية تربية الاولاد ، وتسميتهم وسائر شؤونهم ، وهكذا ..

ب - والمزارعة : لها آداب وشروط ومزايا ، وكيفية معاقدة البعض مع البعض في المزارعة ، والمساقات ، وحصص الفلاح ، وكيفية استخدامه وحقوقه وحقوق رب الارض وغيرها ..

ج - والمتعاملون : بين الاسلام لهم الشرائط ، ولعاملتهم القوانين ، سواء كانت .. المعاملة مع عامل ، أو بين متعاملين ببيعاً ، أو رهناً ، أو اجارة ، أو غيرها ..

د - والمدرسة : يبين الاسلام حولها ، وحول الثقافة ، وشرائط المعلم ، وآداب التلميذ ، وخصوصيات الدرس وما ينبغي أن يكون غاية

الدراسة ، حتى أن (الشهيد) كتب كتاباً حول هذا الموضوع ، سماه (منية المرید في آداب المقید والمستفید) .

هـ - والعبادة : قرر الاسلام حدوداً لها وأوضح كيفية الاجتماع اليها ، ومكان الصلوة ، وخصوصيات المسجد ، ومن هو الامام ؟ وكيف ينبغي معاشره المؤمنين بعضهم لبعض ، ومعاشرتهم مع الامام ، والامام معهم .

و - والمواسم : في الافراح ، والأحزان ، والحج ، وزيارات مشاهد للرسول والأئمة الطاهرين ، كلها مذكورة في الاسلام ، بكافة مزاياها وآدابها ، وخصوصياتها ، وقد ألف العلماء في هذه الأمور كتب مفصلة متعددة ، مثل (حج الجواهر) و (كامل الزيارات) ، و (مزار البحار) وغيرها .

ز - والوظيفة ومرادنا بها هنا ، الجهة الاجتماعية منها ، أعني خصوصيات من حول الحاكم الأعلى ، ومزايا القضاة ومن حوله من الذين يعاونونه في أموره .. وسائر الخصوصيات المربوطة بإجتمع الدولة .

ح : والاجتماعات الاتفاقية ، فالاسلام أرصد لها أكبر رصيد ، أدبياً ، وكيفية ، وسائر الخصوصيات ، حتى افرد العلماء لها كتاباً خاصاً ، اسمه (كتاب العشرة) .

ط : والجيش : من الناحية الاجتماعية ، في حلهم ومرتحلهم ، وآدابهم ، وكيفية اطاعتهم لاميرهم ، ومعاشره أميرهم معهم .. قد تعرض له الاسلام - كما هو مذكور في كتاب الجهاد من الفقه - .

ي - وأخيراً ، فقد بين الاسلام حقوق الحاكم على الشعب ، وحقوق الشعب على الحاكم ، والرباط بينهما وبالجملة ما يسمى بـ (علم الاجتماع) ، قد

سبق اليه الاسلام ، بما لا يمكن أن يؤتى بمزيد عليه ، ويمتاز الاجتماع في الاسلام :

اولاً - بالصلاح الكامل في جميع جوانبه .

ثانياً - بالثقة التامة بين أفراده .

ثالثاً - بالهدوء والسكينة الى أبعد حدّ .

وذلك بفضل مناهج الاسلام الحيوية الراشدة التي خططها وبينتها ، وأرشد الناس اليها ، ليعملوا وفقها ان ارادوا الحياة السعيدة .

الفصل الثالث عشر

الاحكام الاسلامية

س : هل الاسلام قرر احكاماً خاصة ، للناس في مختلف شؤونهم ؟
ج : نعم قرر الاسلام لكل شأن من شؤون الانسان حكماً ، هو في منتهى الدقة والمتانة والصلاح .

ولذا كان الاسلام زاخراً بالقوانين المرتبطة بمختلف شؤون الحياة ومراحلها ، ويكفي دليلاً على ذلك مطالعة كتاب (جواهر الكلام في الفقه) ، فإنه يحتوي على ما يقارب (الستين الف قانون) ، كل ذلك بالأدلة المستقاة من (الكتاب) و (السنة) و (إجماع العلماء) و (العقل) .

س : مثلوا لبعض رؤوس أحكام التي بينها الإسلام ، المرتبطة بمختلف مراحل الحياة ؟

ج : هي كثيرة جداً ومن باب المثال :

- ١ - الأحكام المعاملية ، كالبيع ، والشراء ، والرهن والاجارة .
- ٢ - الأحكام الزراعية ، كأحكام الأرض ، والزراعة ، والمساقات .

٣ - الأحكام القضائية كأحكام القاضي، والشهود، والمرافعات، والصلح،
وسائر الحقوق .

٤ - الأحكام الشخصية، كالنكاح، والطلاق، والخلع، والارث،
والوصية .

٥ - الأحكام المرتبطة بالجنايات، كالحدود، والقصاص، والديات .

٦ - أحكام الكفالة، والعارية، والوديعة، والحوالة، وما أشبه .

٧ - أحكام السلم، والحرب، والمعاهدات، وسائر ما يرتبط بشؤون
الدولة .

٨ - إلى غيرها .. من الأحكام الكثيرة المرتبطة بمختلف شؤون الحياة .

س : كيف يمكن أن تكفي هذه القوانين الموضوعية قبل أربعة عشر قرناً
لحاجات بشر اليوم ومشاكله ؟

ج : لقد ذكرنا سابقاً ، ان الاسلام دين انزله إله السماء ، ليكون دين البشر،
ومنهاج حياته الى فناء الدنيا ، والاله عالم بكل شيء ، واذا كان
وضع القوانين الأرضية ، ملحوظاً فيه تطور البشر ، ورقبه وسائر
شؤونه المستقبلية . فأولى بالله أن يلاحظ ذلك - بالإضافة إلى ما
تقدم - من أن في الاسلام قسمين من القوانين :

١ - القوانين الشخصية التي لا تتغير اطلاقاً ، مثلاً : (الخمر حرام) .

٢ - القوانين التي صيغت في كليات قابلة للانطباق في كل زمان ومكان
مثلاً (كل مسكر حرام) .

وجميع التطورات والمشاكل الموجودة ، في عالم اليوم ، ان لم يشملها
قانون جزئي ، لا بد وأن يكون مشمولاً لقانون كلي ينطبق عليه اثباتاً
أو نفيًا .

س : هل تتمكنون التدليل على ذلك في هذه الأمثلة (البنك) (التأمين) ،
(تسليح البلاد بالذرة) ؟

ج : ان الجواب على هذه الأسئلة يعرفها من له المام بأوليات (الفقه) .

١ - فالبنك .. عبارة عن مجموعة اعمال ، بينها الاسلام ، وقرر قوانينها ،
وهي (الحوالة) ، (الكفالة) ، (القرض) ، (التجارة) ،
(الوديعة) ، (الربا) .

٢ - والتأمين .. داخل في قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اوفوا
بالعقود) .

٣ - والتسلح بالذرة دفاعاً ، مشمول لقوله تعالى « وأعدوا لهم ما استطعتم
من قوة » وهكذا .. وهلم جراً .. !؟

الفصل الرابع عشر

الحياة السعيدة في الاسلام

- س : كيف تكون الحياة السعيدة الأفضل في الإسلام ؟
- ج : لقد ظهر من فصول الكتاب ذلك ، ونوجزها في الامور التالية التي هي معطيات الاسلام عند تطبيقه :
- ١ - العقيدة الخالية عن الخرافة ، والدجل ، والمبالغة ، والانحراف .. الموافقة .. للفطرة والبرهان .
 - ٢ - الروح النظيفة عن الغل والحقد وسائر الملوثات ، المتصفة بالتوازن والهدوء والسكينة والعدالة .
 - ٣ - والانتفاع من منابع الثروة ، المخزونة في البر والبحر والجو ، بلا تفضيل ولا تفرقة ولا اختلاف .
 - ٤ - العلم والصحة ، والثروة ، والفضيلة ، والعمل ، والعمران للأرض وبذلك يختفي الجهل والمرض ، والفقر ، والرذيلة ، والجريمة ، والبطالة والخراب .
 - ٥ - الحريات الواسعة ، والكرامة الانسانية ، ونذكر بهذه المناسبة قوله سبحانه « ولقد كرّمنا بني آدم ، ومكّنناهم في البر والبحر ، ورزقناهم

من الطيبات ، وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلاً ، وفي آيات متعددة : ان الله سخّر الكون للبشر ، أما قيعة الانسان في نظر الاسلام ، فهي كما قال الله تعالى ، « من قتل نفساً بغير نفس ، أو فساد في الأرض ، فكأنما قتل الناس جميعاً » .

٦ - السلام العالمي ، والأمن بالنسبة إلى الجميع .

٧ - التقدم بالبشر ، في جميع الحقول الحيوية .

٨ - العدالة الاجتماعية ، سواء في الحكومة أو في الشعب .

٩ - قيام كل بواجبه ، واستيفاء كل حقوقه .. بكل يسر وسهولة ونظافة .

١٠ - حل كافة المشاكل من أي لون كانت .

هذا هو الموجز من الخطوط الاساسية ، لكيفية الحياة السعيدة الاسلامية ، التي لا يتصور فوقها سعادة بالاضافة إلى أن مما تسعد الانسان في هذه الحياة البشارة بمستقبل زاهر ، تهون لديه كل المصائب الواردة على الانسان في هذه الحياة .. ولذا لا نجد حتى عند أشد الناس وطنية وحماساً - ممن لا يعتقد بالحياة الآخرة - نصف النشاط والجرأة والاقدام والسعادة والاطمئنان ، التي توجد عند المؤمن بالله واليوم الآخر ، والتاريخ أكبر شاهد لذلك .

والله المسؤول أن يوفق الجميع لرضاه ، وهو المستعان .

في ظل الاسلام

الانسان

الاسلام يظلل الانسان بظلمة من التوقير والاكرام ، والتجلة والاحترام ،
فهم يرى ان الانسان أفضل الموجودات كافة ، أو أفضل من كثير من
الموجودات .

يقول القرآن الكريم : [ولقد كرّمنا بني آدم ، وحملناهم في البرّ
والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً] .
وفي الحديث القدسي : (خلقت الاشياء لاجلك ، وخلقتك لأجلي) ،
كما يرى الاسلام أن الموجودات خلقت لاجل الانسان ، فهو زهرة الكون ،
وخليفة الله في الارض ، ومن بيده مقاليد أسرار الكون التي أودعها الله
فيه لمصلحته .

يقول القرآن العظيم : [الله الذي خلق السماوات والأرض ، وأنزل من
السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً (لكم) ...

وسخر (لكم) الفلك لتجري في البحر بأمره ...

وسخر (لكم) الانهار ...

وسخر (لكم) الشمس والقمر دائبين ...

وسخر (لكم) الليل والنهار ...

وآتاكم من من كل ما سألتموه ...

وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ... إن الانسان لظلوم كفار !] .
 وقد سخر الله للانسان البر والبحر ، والهواء والفضاء ، والشجر والحجر ،
 والحيوان والانهار ، والضياء والدفء ، وكل شيء ... وكل شيء ...
 وبعد ذلك افقه بإطار من التعظيم ، وقرر مناهج ودساتير لحفظ حقوقه ،
 وصيانة عرضه ، وحرمة ماله ودمه ... فحرّم إيذائه ، وإهانته ، وغيبته ،
 وغشه ، وبهته ، وأكل ماله ، وسبّه ، وقذفه ، والوقعة فيه ، ومقاطعته ،
 وحجبته ، وظلمه ، وضربه ، وقتله ، وحبسه ، والسعاية به ، وهتكه ،
 وخيانتة ، و ... و ...
 وأنزل الشرائع ، ونصب الانبياء والائمة ، لانقاذه من الهلكة والجهالة ،
 وارشاده الى الطريق السوي والصراط المستقيم .

كل ذلك ليعيش في أمن ورفاه وراحة ، وغنى وعلم وصحة واخاء
 وتعاون وكرامة .. هذا في الدنيا ، ثم ينتقل الى دار كرامة الله ، ومحل
 رضوانه ، والنعم المقيم الذي لا زوال له ولا اضمحلال ... وقد جمع للانسان
 في الانظمة التي جعلها ، والشرائع التي انزلها ، خير الدنيا وسعادة الآخرة ،
 فلا الدنيا تمنعه عن تحصيل الآخرة ، ولا الآخرة مانعة عن العيش السعيد
 في الدنيا .

وكل حرف من حروف الاسلام ، وكل نظام من أنظمة الدين ، وكل
 قانون من قوانين الشريعة ... تنادي بهذه الكرامة وتدعو الى العيشة الرغيدة ،
 حتى لا يحتاج الانسان في البرهنة على ذلك ، الى مزيد من أن يطالع شطراً
 من الكتاب أو نبذاً من السنة ، أو يسبر حالات المسلمين الذين هم من أظهر
 مصاديق البيت المنسوب الى الامام المرتضى عليه السلام :

(وآخر فإز بكلتيهما قد جمع الدنيا مع الآخرة)

وهكذا يكون الانسان في ظل الاسلام ، من غير فرق بين الكبير والصغير ، والعالم والجاهل ، والرجل والمرأة ، والغني والفقير ، والوضيع والشريف ، والحاكم والمحكوم .. والفرق إنما هو (بالتقوى) : [إن اكرمكم عند الله اتقاكم] .

أما الإنسان في ظل أنظمة الكفر – التي تستبد بالقيادة العالمية اليوم – فهو شيء مرذول مهان ، يخاف أن يتخطف من حوله ، عرضة لكل إهانة وذلة ، وقتل وتشريد ، وفقد وجهل ومرض ، وتسخير وجبر .

ولماذا لا يكون الانسان كذلك بنظر الكفر ؟

إنه مادة كسائر المواد ، لا نفحة سماوية فيه ، ولا روح مثالية تحليه ، فهو كحيوان سائم ، أو جماد متحرك ، لا أكثر ولا أقل .

وهل يمتاز الانسان بالتفكير والاختراع والصنعة ؟ . فليكن كذلك ! . ولكن ... ليس العقل الذي يلد الفكر والصنعة إلا من رشحات المادة ، فكما يرشح الصفراء إفرازات لهضم الغذاء ، كذلك يفرز المخ التفكير (!!) وقد حلل أحد العلماء (هكذا) الانسان ، فوجده مركباً من أشياء مادية بحتة ، وخرج بالنتيجة الآتية :

إذا جئنا بإنسان زنته مائة وأربعون رطلاً ، ونظرنا إلى أجزائه ، وجدنا بدنه يحتوي على هذه المواد ، بهذه الكميات :

قدر من الدهن يكفي لصنع سبع قطع من الصابون .

قدر من الكربون يكفي لصنع سبعة أقلام رصاص .

قدر من الفسفور يكفي لصنع (١٢٠) عود ثقاب .

قدر من ملح المغنسيوم يصلح جرعة واحدة لأحد المسهلات .

قدر من الحديد يكفي لصنع مسبار متوسط الحجم .

قدر من الجير يكفي في تبييض بيت للدجاج .
قدر من الكبريت يطهر جلد كلب واحد من البراغيث التي تسكن شعره .
قدر من الماء يملأ برميلاً سعة عشر جالونات^(١) .

وهذه المواد تشتري من السوق بما يعادل ديناراً عراقياً - مثلاً - إذن
فقيمة الانسان بنظر الماديين ليست أكثر من دينار ، وإن قوموها بأكثر
فلأن ذلك كتفويهم للبقرة كلما كان درهما أكثر، يكون ثمنها أكثر ، أما القيمة
الإنسانية ، فلا ... وإنما هي قيمة تجارية . فهذا طبيب يجلب من الأرباح
كل يوم خمسة دنانير ... وذاك مهندس له كل يوم ثلاثة ... وذلك إداري
راتبه الشهري خمسون ... وهكذا ... إذن تتفاوت القيم بتفاوت الأرباح .
أرأيت أنهم صنعوا ميزاناً لثقل الإنسان ؟ كما صنعوا موازين لوزن اللحم
والخبز والملح ، وهكذا .

هذه قيمة الإنسان لدى الغربيين .

أما الشرقيون ، فما لهم يحمدون على نظريات الرأسماليين ؟ . إن لهم
ميزاناً أبجس ، فإن الإنسان - كما يقول ماركس وانجلز - أداة بسيطة في
الصناعة الكبرى .

وهل لأداة بسيطة في معمل قيمة ؟ . إلا القيمة المادية ، التي لا اهتمام بها .
وقد انتجت نظرية المادية الكافرة - أعم من غربيها وشرقيها - مأس
وفوادح لا تنقاد الى البيان ، ولربما أمكن القول : بأن الانسان في ظل هذه
النظم الكافرة قاسى ما لم يقاس آباؤه من قبل .

ألم يقتل البريطانيون عشرين مليون من الصينيين لاستعمار تلكم البلاد
- كما يقول نهرو - ؟

(١) نظرات في القرآنت .

ألم 'تعد' قتل هتلر - في حربه العالمية الثانية - فبلغت ما يقارب سبعين مليوناً ؟ .

ألم يفعل نابليون وموسوليني ، ما لم يفعله جنكيز ونبيرون ؟ .

ألم يقتل لينين ثمانية ملايين من البشر ؟

ألم يقتل وبشرد ستالين لتطبيق نظام المزارع الجماعية (٢٢) مليوناً - كما يقول أبو الأعلى المودودي - ؟

ألم تسفر الثورة الشيوعية الصينية عن قتل أكثر من خمسة ملايين ؟ - كما في نقد الشيوعية ؟

ألم تسفر ثورة الشيوعيين في تركستان عن قتل ما يقارب ستة ملايين - كما في مجلة (ملي تركستان) - ؟

ألم يقتل حكام بلاد المهر - فرنسا - من الجزائريين مليونين من البشر ؟ ثم ماذا يقامى الانسان من الحكام اليوم ؟

إن السجون ملأى بالمجرمين (هكذا !) والثورات قائمة على قدم وساق ، والحريات مهدورة ، والكرامات خبر بعد عين ، والحكام قساة بأوسع ما في هذه الكلمة من معنى ، والمشاكل في ازدياد مستمر ، أما السب والشتم والوقيعه والبهت ، والسرقه وهتك الاعراض والمهارات ، فحدث عنها ولا حرج .

هذا ما وقع إلى اليوم ، أما ما يبئته الكفر للإنسان في غد ، فيكفيك أن تعلم :

أن ثلث ميزانية الدول تصرف للسلاح !

وهناك آلة حربية تكلفتها أكثر من سبعة وأربعين الف كيلو من الذهب !

وآلة حربية ثمنها مائتان وخمسون مليون !

وآلة حربية ثمنها خمسمائة مليون !

والدول بعد ذلك ، تجيب على سؤال (هل اكتفيتم ؟) بقولهم : هل
من مزيد ؟

فهل الانسان في ظل نظام الاسلام الذي يقول : [من قتل نفساً بغير
نفس أو فساداً في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً] أكثر أمناً واحفظ
دماء ، أم في نظام الكفر الذي يقول : (ان هلاك ثلاثة ارباع العالم ليس
بشيء ، وانما الشيء الهام هو أن يصبح الربع الباقي منهم شيوعيين) ؟

وهل الإنسان في ظل نظام الاسلام الذي يقول : [ذروا ما بقي من
الربا ان كنتم مؤمنين ، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله] فيعد
أخذ درهم من غير حق حرباً على الله ورسوله ! يُصان ماله ، أم في ظل
أنظمة تنشر (البنوك) في عرض البلاد أو طولها ، لامتناس دماء الشعوب ،
وهدم بيوت الفقراء والمساكين ؟

المسلم

شعار المسلم في كل مناسبة (الاسلام) .

فهو حينما يلاقي أخاه يقول : (السلام عليكم) ، وحينما يريد الفراغ من الصلاة يقول : (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) ، وحينما يزور إماماً من الأئمة يقول : (السلام عليكم يا أهل بيت النبوة) ، وحينما يزور الأموات يقول : (السلام على أهل الديار من المؤمنين) :

ويقول القرآن: - تعليماً للمسلم - على لسان عيسى المسيح ﷺ [والسلام عليّ يوم وُلدت ، ويوم أموت ، ويوم أبعثُ حياً] .

وتحية أهل الجنة حين دخول الناس فيها: [سلام عليكم طبتم ، فادخلوها خالدبن] .

ولفظه (المسلم) مشتقة من هذه المادة (سلم) .

وقد قال رسول الاسلام ﷺ : (المسلم من سلم الناس من يده ولسانه) .
والاسلام يريد السلام لكل أحد ، قريباً أو بعيداً صديقاً أو عدواً، ظالماً أو مظلوماً ... وبذلك يأمر القرآن - إذا لم يخترق الشخص القوانين، ولم يتعد حدوداً لا مجال بعدها للمسألة - فحينئذ يوقف عند حده : [فمن اعتدى عليكم ، فاعتدى عليه بمثل ما اعتدى عليكم] .

كثيراً ما أشار القرآن والسنة ، الى هذا السلام والسلم :
يقول تعالى : [وإن جنحوا للسلم فاجنح لها ، وتوكل على الله ، إنه هو
السميع العليم] .

ويقول : [فإن اعتزلوكم ، فلم يقاتلوكم ، وألقوا إليكم السلم ، فما
جعل الله لكم عليهم سبيلاً] .

ويقول تعالى : [ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام : لست مؤمناً ،
تبتغون عرضَ الحياة الدنيا] .

وأخيراً يدعو القرآن البشر قاطبة للدخول في السلم ، فيقول : [ادخلوا
في السلم كافة ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان] .

وهذا ليس غريباً عن طبيعة الاسلام ، اذ يرى الكون جهازاً
موحداً ، وكله مخلوق لإله عليم قدير ، خلق الأشياء بميزان عادل ، وجعل
كل شيء وفق الحكمة والمصلحة ، ويحري لأجل مسمى ذلك تقدير العزيز
العليم ، والأشياء مستسلمة للحكمة العامة التي تسيّر الكون ، من غير فرق بين
النبات والجماد ، والساكن والسيار ، والسماء والأرض ، والكواكب والأقمار ،
والليل والنهار .

حق أن الانسان - بمخلوقته - خاضع لهذا النظام الكوني العام ، فالدورة
الدموية ، وحركات الرئة والكبد والقلب ، ونبض العروق ، والشهيق
والزفير ، والقوى الغازية والنامية والهاضمة والدافعة ، وإفرازات الغدد ،
وحركات الأجهزة بدقة ونظام ... وغيرها ... وغيرها ... كلها بقدر
وإتقان ، والى هذا الاستسلام العام للإرادة الأولية ، يشير القرآن الحكيم :

[قل : أنتمكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين ، وتجعلون له
أنداداً ؟ ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها ، وبارك فيها ،
وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ، ثم استوى الى السماء وهي

دخان ، فقال لها وللارض: اثتيا طوعاً أو كرهاً ! قالتا أتينا طائعين] .
ويبقى بعد استسلام كل شيء لإرادة الله ، الانسان بجهازه الإرادي -
لا الخلقى - فقد جعل الله تعالى فيه الإرادة [ليبلوكم أيكم أحسن عملاً] .
وهنا أيضاً يريد الله للانسان (السلام) حتى يندمج في نظام الكون
العام ، ويسلم هو بنفسه عن الأخطار والأضرار ، ولذلك جعل قوانين
تشريعية ، صيانة السلام ، وحفظاً للانسان عن الانهيار .
فلا عجب بعد ذلك لو رأينا الاسلام أحرص جميع المبادئ على السلام ،
وأكرمها للحروب والاضطراب .

ويبقى بعد ذلك ، لنرى كيف يضع الاسلام قوانين السلام ؟ ثم كيف
عمل هو من أجل هذا السلام ؟

أما كيف وضع الاسلام قوانين السلام ، فيقتبين من هذه القوانين :

١ - إنه ساوى بين جميع الأفراد، فلا حدود إقليمية ، ولا عصبية قبلية ،
ولا شرافة عشيرية ، ولا امتيازات جنسية ، ولا فوارق لونية أو ثروية أو
جاهية أو سُلطوية أو ما أشبه . وبذلك يكون الانسان أخ الانسان ، ولا
فارق إلا بالتقوى [إن أكرمكم عند الله أتقاكم] .

وقد اعترف بهذه الميزة الكبرى للاسلام الأجانب معجبين بهذا النظام
الوحيد الذي لا يحمي السلام نظام ولا قانون بقدره .

يقول الباحث الأمريكي (فليب ايرلاند) : (يبدو من النظرة الاولى :
توجد ظروف ملائمة جداً للديمقراطية في داخل الاسلام ^(١) فإن الاسلام كان

(١) في كون الاسلام ديمقراطياً مناقشة ، فإن الديمقراطية مصدر الشرور والويلات على
البشرية .

أعظم الديانات توفيقاً في إزالة فوارق الجنس واللون والقومية) .
ويقول المستشرق البريطاني (جب) : (يتساوى أحقر مسلم مع
الخليفة ، أو قاضي القضاة) .

ويقول المستشرق (بردلي) : (ليس هناك أي عائق لوني للمسلم فلا هم
أكان المؤمن أبيض أو أسود أو أصفر ، فالجميع يعاملون على قدم المساواة) .
(أكان في مقدور رجل - ما لم يكن ملهماً ، أن يأتي الى الوجود بمثل
هذه الأخوة العالمية ؟) .

الى غيرها ... وغيرها .

وبعد هذا يبقى سؤال : إقنه أي ربط بين هذه المساواة الاسلامية ، وبين
السلام العام ؟

والجواب عن ذلك بسيط جداً : إن كثيراً من المنازعات التي تبتدىء
بنزاع شخصين ، وتنتهي بحرب عالمية ! سببها الفوارق المزعومة ، وإذا تشبع
الانسان بروح الأخوة والمساواة ، فلا أقل من أن تحتفي أكثر من نصف هذه
المنازعات ، فهل ترى في دنيا اليوم والأمس القريب سبباً لاستعمار بريطانيا
وأمریکا وروسيا وفرنسا ... للبلاد ، غير إرادة سيادة جنس السكسون
... أو فلان ... أو فلان ، على البلاد ؟

أو هل كانت حروب نابوليون وموسوليني وهتلر لغير سيادة فرنسا والمانيا
وايطاليا ؟

إذا ، فالأخوة والمساواة من أول أسباب السلم العام .

أما أنا أفضل ، لأنني آري ، أو عربي ، أو أبيض ، أو بريطاني ، أو
ثري ، أو صاحب سلطة ، أو شيخ عشيرة ، أو ما إليها ... فإنها تولد في
النفوس كبراً وعلواً ، ومن رأى نفسه أكبر من غيره فحسرى به أن يتشابك
معه لكل أمر تافه زعم انه مس كرامته المزعومة !

٢ - جعل الاسلام كل تعدٍ يصدر من فرد الى فرد ، ولو كان التعدي سباً بسيطاً - في النظر - أو غيبة خفيفة لا قيمة لها - عند المجتمع - محرماً بل أكثر من ذلك ، انه موجب للحد او التعزير ، بسببه يجرّد الساب ولحموه ويضرب سياطاً ، لثلا يتعدى هو او غيره ، على احد ، اما الضرب والجرح وقطع بعض الأطراف والقتل ، فالاسلام يضرب بيد من حديد لمن ارتكبها ، قوطيداً للسلام العام ، والراحة الكاملة .

فم هذه الأمور - مع قطع النظر عن نكال الاسلام بمرتكبيها - تقرر الشريعة القصاص فيها :

[ولكم في القصاص حياة يا اولي الألباب] .

[إن النفس بالنفس ، والعين بالعين ، والأنف بالأنف ، والأذن بالأذن ، والسن بالسن ، والجروح قصاص] .

ويذهب الإسلام شوطاً أبعد من هذا ، فيجعل من قتل شخصاً ، كأنما قتل الناس جميعاً .

وهذا يأمن الناس ، ويستتب الأمن العام ، ولا تقع حوادث أو تقل حق قتلهم بالمعدوم .

أما اليوم ، فلو نظرت إلى البلاد ، فترى حوادث القتل شائعة ، فكيف بما دونها ؟

وقد طبق في بعض البلاد الإسلامية قوانين الحدود والقصاص والديات ، فاختمت الإجرام فيها ، حتى كانت مضرب المثل ، ومن شدة احتياط الإسلام للدماء ، وحرصه على الأمن ، جعل حتى لقتل الخطأ الدية ، وليست شيئاً هيناً ، بل هي أحد أشياء ستة :

١ - ألف دينار من الذهب .

٢ - عشرة آلاف درهم من الفضة .

٣ - مائة حلة .

٤ - ألف شاة .

٥ - مائة ابل .

٦ - مائة بقرة .

وهذه هي الخطوة الثانية التي جعلها الإسلام للسلام العام ، وقد نجح الإسلام في ذلك نجاحاً منقطع النظير ، لا بالنسبة إلى هذا القسم من الجريمة ، فقد قطعت في الإسلام - مدة قرنين - ستة أيادي عقوبة للسرقة ، مما يكشف عن أن السرقة اختفت في البلاد الإسلامية الطويلة العريضة ، بما لم يبق لها أثر يذكر .

أما اليوم ، فانظر إلى قطر من الاقطار ، لا يضم أكثر من عشرة ملايين ، فهل تقل حوادث السرقة اليومية عن ستين ؟ وهكذا قل بالنسبة إلى سائر أقسام الإجرام : من قتل ، وضرب ، وجرح ، وبغاء ، وغيرها ...

٣ - الجهاد الإسلامي ، فإنه من أهم الوسائل للسلام العام ! وذلك بالعكس مما تلقي هذه الكلمة من ظلال الحرب والقتال وسفك الدماء ، إن الإسلام شرع الجهاد لبسط العدل ، وتقويض دعائم الظلم ، وانقاذ الناس من الظلمات إلى النور ، وتخليصهم من الأغلال إلى الحرية ، ومن الفوضى والإضطراب إلى الأمن والهدوء ، يقول القرآن الكريم :

[وما لكم لا تقاتلون :

في سبيل الله ...

والمستضعفين] .

فالجهاد إنما هو (في سبيل الله) لإقامة الحق وإماتة الباطل وفي سبيل (المستضعفين) المضطهدين كي يشملهم العدل ، وينقذوا من الظلم .

وهذا هو مدار الجهاد في الإسلام ، ونقطة الانطلاق ، ومم تظن أنه يقتل حينئذ أو تسفك الدماء ؟

ان من يحارب لأجل السيطرة ، لا بد وأن يفعل كل شيء ، كما يروي التاريخ من هذا القبيل الشيء الكثير ، أما من يحارب لأجل اقامة الحق وبسط العدل والإنقاذ من الظلم ، فهل يعقل أن يتعدى . ؟ ولذا كانت الحروب الإسلامية ، في زمن النبي وبعده النبي ﷺ ، من أنظف الحروب وأرحمها . وليس جنوح الإسلام الى الجهاد ، الا بعد قطع تمام الطرق عليه ، حتى لا يكون للإصلاح من مطعم الا بالسيف ، و ثم يضع الإسلام للقوانين العادلة ، لأقل قدر ممكن من اراقة الدم .

وهنا سؤال يفرض نفسه : وهو أنه كيف يحارب الاسلام ، وهناك حل آخر ممكن ، وهو تخليص الناس من الظلم والظلمات بـ (اللاعنف) كما فعل (غاندي) في (الهند) لأجل تخليصها من برائن المستعمرين ، وقد كان ناجحاً ، الى أبعد مدى .

والجواب :

أولاً : إنا نشك في صحة طريق غاندي ، ولعل القتال كان أنجح وأقل خسارة ، فهل طول الاضطهاد لأربعمائة مليون من البشر ، طول ربع قرن ، حتى يموت (مليونان) في حادثة مجاعة واحدة - كما حدث في بنغال أبان مقاومة غاندي - أقرب إلى الصواب والسلام ، أم الثورة المسلحة ، التي تقدم من الضحايا أقل ، ولا تتقاضى من الوقت الا يسيراً ؟

وثانياً : لو أخذنا أن (غاندي) حرر الهند ، ثم هاجمتها الدول من أطرافها ، وهي تريد سفك دماء أهلها ، وسي أعراضها ونهب أموالها ، فهل يتردد (غاندي) في الدفاع عنهم بالسلاح ؟ ففكر في هذا قليلاً ، ثم احكم على موقف النبي ﷺ ، وهو في المدينة ، إذ جاءته أحزاب الكفر [إذ جاؤكم من فوقكم ، ومن أسفل منكم ، واذ زاغت الأبصار ، وبلغت القلوب الحناجر] بل ان (غاندي) كان يصرح نفسه بالحرب ، لدى الحاجة .

وعلى أي ... فالاسلام نظم الجهاد ، لأجل الإنقاذ والحق ، وذلك أعظم
خطوة الى السلام العام .

ولننقل جملة من كتابنا (عبادات الاسلام) باب الجهاد ، دلالة لمدى
حرص الاسلام على نظافة الجهاد ، وكيف انه لا يجاهد الا لبسط العدل ،
وتوطيد دعائم السلام :

وحيث ان الاسلام لا يريد بالجهاد الا بسط العدل ، واقامة الحق ،
فالمجاهدون المسلمون يلزم أن يتبعوا سنن الجهاد حتى في نفس الجهاد ، فليس
لهم الفساد والإفساد ، كما هو شأن الحروب كافة ، بل يجب أن لا يجيئوا
عن الحق قيد شعرة .

قال الإمام الصادق (ع) : كان رسول الله ﷺ اذا أراد أن يبعث سرية ،
دعاهم فأجلسهم بين يديه ، ثم يقول : (سيروا باسم الله ، وبالله ، وفي
سبيل الله ، وعلى ملة رسول الله ، لا تغلوا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتدروا ، ولا
تقتلوا شيخاً فانياً ، ولا صبياً ، ولا امرأة ، ولا تقطعوا شجراً الا أن
تضطروا اليها ، وأما رجل من أدنى المسلمين أو أفضلهم ، نظر الى أحد من
المشركين ، فهو جار حتى يسمع كلام الله ، فان تبعكم فأخوكم في الدين ،
وان أبى ، فابلغوا مأمنه ، واستعينوا بالله) .

أهل سمعت أو رأيت هذا ، في قوانين القرن العشرين ، قرن النور
المضحك المبكي ؟ أو هل سمعت أو رأيت مثل هذه التوصية من أحد من
الحكومات العالمية ، قبل الاسلام وبعده ؟ . كلا ولن تسمعه ولا تراه أبداً ،
انه الاسلام فقط الذي لا يعيل عن الحق والعدل ، والعطف والرحمة .

وهذا كان أمر النبي ﷺ للسرية عامة ، أما أميرهم ، فاستمع الى وصيته
ﷺ له :

قال الامام الصادق عليه السلام : (ان النبي ﷺ كان اذا بعث اميراً له على

سرية ، أمره بتقوى الله عز وجل ، في خاصة نفسه ، ثم في أصحابه عامة ، ثم يقول : اغز باسم الله ، وفي سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، ولا تغدروا ، ولا تغلوا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليدأ ، ولا متبتلاً ، في شامق ، ولا تحرقوا النخل ، ولا تفرقوه بالماء ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تحرقوا زرعاً ، لانكم لا تدرون لعلكم تحتاجون اليه ، ولا تعقروا من البهائم ما يؤكل لحمه ، الا ما لا بد لكم من أكله ، واذا لقيتم عدواً للمسلمين فادعوهم الى احدى ثلاث ، فإن هم أجابوكم اليها فاقبلوا منهم ، وكفوا عنهم :

— ادعوهم الى الاسلام ، فإن دخلوا فيه ، فاقبلوا منهم وكفوا عنهم ، وادعوهم الى الهجرة بعد الاسلام ، فإن فعلوا ، فاقبلوا منهم ، وكفوا عنهم .
— فإن أبوا هاتين ، فادعوهم الى اعطاء الجزية .

— وإن أبوا ، فاستعن بالله عز وجل عليهم ، وجاهدوهم في الله حق جهاده .
فالكافر يخير بين أحد امور ثلاثة :

١ - الاسلام ، الذي فيه سلامة الدنيا والآخرة ، وهو الصيغة الأخيرة للشرائع السماء ، وبذلك يحوز الانسان كل فضل ، ويستريح الى كل خير ... ثم الهجرة - وقتذاك - .

٢ - الجزية : وهي مقدار من المال يؤخذ ، ويقابلها تأمين الاسلام له الحراسة والحفظ ، وتوفير ضروريات الحياة له ، وبذلك يبقى الكتابي على دينه ، ويقم شعائره ، في حدود المصلحة الاسلامية العامة ، حسب ما قرر لها من شروط وأحكام .

٣ - القتال : بأنظف ما يمكن ، كما رأيت في وصايا النبي .

أما سائر الحروب غير الاسلامية ، فإنها - أولاً - لحب السيطرة ، وبعد ذلك يخير الطرف الآخر بين القتال بأفضع صوره ، وبين النزول على رغبات العدو .

ولا بأس أن نذكر هنا خبرين آخرين ، في كيفية القتال الاسلامي :
قال الامام الصادق عليه السلام : قال أمير المؤمنين عليه السلام : (نهى رسول الله
صلى الله عليه وآله أن يلقى السم في بلاد المشركين) .

وقال حفص بن غياث : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن النساء كيف سقطت
الجزية عنهن ، ورفعت عنهن ؟ فقال عليه السلام : (لأن رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن
قتل النساء والولدان ، في دار الحرب ، الا أن يقاتلن فإن قتلن ايضاً ،
فامسك عنهن ما أمكنتك ، ولم تحف خلا ، فلما نهى عن قتلهن في دار
الحرب ، كان في دار الاسلام أولى ... وكذلك المقعد من أهل الذمة ،
والأعمى ، والشيخ الفاني ، والمرأة ، والولدان ، في أرض الحرب ، من أجل
ذلك ، رفعت عنهم الجزية) (١) .

وبعد الفراغ من الإجابة على السؤال الأول ، وهو : كيف وضع الاسلام
قوانين السلام ؟

يأتي دور الجواب على السؤال الثاني ، وهو كيف عمل هو من أجل
هذا السلام ؟

ولا يحتاج الجواب الى اكثر من مراجعة تاريخ بدء الاسلام :
فإن النبي صلى الله عليه وآله دعا الناس الى الإيمان بالله والعمل الصالح طيلة ثلاث
عشرة سنة ، بسلام ولين ، قائلاً : (قولوا : لا إله إلا الله ، تفلحوا)
وتلقى من المشركين ومن اليهم كل أنواع الأذى والاضطهاد ، فسموه :
ساحراً ، وكاهناً ، ومجنوناً ، ومحباً للسيطرة وشاعراً ، ومفسداً ، وبصقوا
في وجهه ، ولوثوا جسمه الشريف بسلى الشاة ، وألقوه على وجهه على الأرض

(١) عبادات الاسلام : الجهاد .

وداسوا ظهره ، وكسروا رأسه بالقوس ، ورضخوه بالحجارة ، وضربوا عليه وعلى أودائه الحصر الاجتماعي والاقتصادي ، فطلقوا بنساته لتثقل عائلته وهجروه بالكلام ، وقاطعوه وأحبابه ، من المناكحة والمجالسة وما إليها ، وأرادوا قتله مرة ، ومرة ، ومرة ، ومرة ... وأبعدوه عن وطنه ، وذاقوه ألوان الأذى وصنوف العذاب ، هذا مع الغض عما لقيه المسلمون من الأذى المرير .

كل ذلك ، وهو يقول : (اللهم اهد قومي ، فإنهم لا يعلمون) .

ويسألهم ، ولا يتعرض اليهم ، بأقل قدر من المقابلة بالمثل ، حتى أنه كان يابى أن يدعو عليهم ! بل كان يدعو لهم !

ثم لما كثرت اضطهادهم ، فر بنفسه وزمرة من المسلمين إلى المدينة (يثرب) وذلك بدء (الهجرة) .

وحق حين ذاك لم يتركوا إذاه وأذى المسلمين القاطنين في مكة ، وأذى من أراد أن يلتحق به ، حتى بذته (زينب) وأذى من هاجر إلى الحبشة فراراً من اضطهادهم .

وفوق كل ذلك : جهزوا الجيوش لمحاربتهم ، ولحقوه بالمدينة لمقاتلته ، فاضطر حينذاك للدفاع ، فقامت بينهم وبينه سلسلة من الحروب ، كان النبي ﷺ في كلها مدافعاً ، وكانوا هم مهاجمين ومع كل هذه الأمور ، كان يعاملهم بالحسنى ، ويكتفي بأقل قدر ضروري من الدفاع ، مع أنهم كانوا لا يتورعون عن كل ما في مقدورهم من ألوان الهجوم والإساءة .

وله ﷺ في ثنايا التاريخ ، قضايا عجيبة ، يقف الانسان أمامها مجلال وخشوع ، كي ينظر إلى هذا النبي العظيم الذي ليس أحد ادعى إلى السلام ، وارحب صدرأ ، واكبر نفساً ، وأفضل اخلاقاً ، واحسن سيرة - بالنسبة إلى أعدائه - ، منه !

وأما ان النبي ﷺ كان مدافعاً في حروبه لا مهاجماً ، فيدل على ذلك أقل إمام بالتاريخ :

حرب بدر :

لما اشتد اضطهاد أهل مكة للمسلمين - بعد هجرة النبي ﷺ وكانوا يسومونهم ألوان العذاب ، وصنوف الاضطهاد ، ومنعومهم عن الهجرة ، وعاملوهم بضراوة وقسوة ، هددهم النبي ﷺ بالتعرض لسبيل تجارتهم الى الشام ، كي تلجئهم الضرورة الاقتصادية الى الكف عن ابداء المسلمين ، ولما عرف رئيس قافلة المشركين (ابو سفيان) ذلك ، استنجد بقريش ، فزجوا بعمدة كاملة من الخيل والسيوف والدروع ، وهم زهاء الف رجل ، والمسلمون ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، على أضعف عدة ، والتقى الفريقان ، في موضع يسمى (بدرأ) ، فانتصر المسلمون ، وهزم المشركون بعد ان أمر منهم جمع ، وقتل جمع .

حرب أحد :

وتجمعت قريش ، مرة ثانية ، بعدة عديدة ، وأرادوا غزو المدينة ، فاستقبلهم النبي ﷺ في موضع يقال له (أحد) ، وتقاتل الفريقان ، وانتصر المسلمون ، ثم انهزموا ، ثم انتصروا ، وانهزم المشركون .

غزوة بني قينقاع :

وأول ما فعل النبي ﷺ حين قدومه الى المدينة ، ان تعاهد مع اليهود المحيطين بالمدينة ، ليأمن شرهم ، وهم : بنو النضير وبنو قريضة ، وبنو قينقاع ، فعاهدوا النبي ﷺ على السلام وأمانة الجوار ، وأن لا يكيدوا المسلمين ... لكن بنو قينقاع غدروا بعد وقعة بدر ، وكانوا يكاتبون المشركين ويكيدون بالمسلمين ، فغزاهم النبي ﷺ وانتصر عليهم ، فطلبوا الجلاء نجاة بأنفسهم ، فسمح لهم النبي بذلك .

جلاء بني النضير :

وبعد غدر بني قينقاع ، وظهور علامات الغدر من سائر اليهود ، قصد النبي ﷺ بني النضير ، لتأكيد العهد وأخذ الميثاق ، فأبى بنو النضير ذلك - إرادة للكيد وإقامة للحرب - فحاصرهم النبي على إعطاء العهد ، فاختاروا الجلاء من بلادهم فسمح لهم بذلك ، حفظاً للسلام وحقناً للدماء .

حرب الأحزاب :

وتهيأت قريش لحرب ثالثة على النبي ﷺ فجمعت جموعها وتحزبت احزابها ، وسعت الى هذا التجمع جماعة من يهود بني النضير ، الذين اختاروا النزول في (خيبر) بعد جلائهم ، فقصدوا المدينة بجيش عظيم ، وفي اثناء الطريق طلبوا من (بني قريضة) الغدر بالمسلمين ونقض عهد النبي ﷺ ففعلوا ذلك ، وقد فعلوا أقبح الغدر ، فجاءت الأحزاب ، وحاربهم المسلمون ، وخرجوا من المعركة منتصرين ، وهزم المشركون .

غزوة بني قريضة :

ولما انهزمت الأحزاب ، لوى النبي عنانه الى الغدرة (بني قريضة) فجعل بنو قريضة حكمهم إلى (سعد بن معاذ) حليفهم قبل الاسلام ، ظناً منهم أنه يتساهل معهم ، فحكم سعد بقتلهم ولو انهم اختاروا الجلاء كبني قينقاع ، وبني النضير ، لأجابهم النبي ﷺ إلى ذلك ، ولكن (رب حافر قبره بظلفه) .

حرب بني المصطلق :

ثم استعد بنو المصطلق لحرب النبي ، فلم يهلبهم ﷺ حتى يكثروا الفساد ، بل خرج لحربهم ، وانتصر عليهم .

صلح الحديبية :

وفي السنة السادسة من الهجرة عزم النبي ﷺ الحج ، فمنعه اهل مكة ، وأرادوا قتاله ، وطلبوا من النبي الرجوع ، فلبى طلبهم ، وصالح معهم ، حباً للسلام ، فنحر البدن وأخرج من الاحرام ، وقفل راجعاً .

حرب خيبر :

ولما فرغ ﷺ من صلح الحديبية ، لوى عنانه نحو اهل خيبر ، الذين كادوا به ، وسعوا لحرب الأحزاب - المتقدم - فحاصروهم ، فطلب بعضهم الجلاء ، فسمح لهم ، وحاربه الباقون فانصر عليهم .

فتح مكة :

وبعد صلح الحديبية ، تعدت اهل مكة بأحلافهم ، على جانب الرسول ﷺ وأحلافه ، فخرج رسول الله إلى مكة ، فخاف أهل مكة منه ﷺ فاستسلموا ، وهو بدوره عفى عنهم وقال لهم كلمته العظيمة : (اذهبوا فأنتم الطلقاء) .

حرب هوازن :

وحين سمعت (هوازن) بانتصار النبي ﷺ على أهل مكة ، خافت جانبه ، وجمعت جموعها العديدة ، لاستئصال شأفته . فحاربهم النبي ، وانتصر عليهم .. وبعد ذلك لطف بهم ورد أسراهم ، وهم نحو ستة آلاف .

حرباً مؤتة وتبوك :

ثم دعا الرسول ﷺ الروميين الى الاسلام فأهانوه واستخفوا به ، وقتلوا رسلاً اعتداءً وتجبراً . ومن المعلوم لدى الأمم ان الرسول لا يقتله إلا

للمعتدي الطاغى . ثم استعد الروم وأتباعهم لعداء النبي ﷺ ، فاستعد هو لدفاعهم ورد كيدهم ... وانتصر عليهم آخر الأمر .

هذا موجز من حروب النبي ﷺ وغزواته .. وكلمها البالغة نيفاً وثمانين كانت دفاعية ، ومع ذلك كان يأخذ فيها جانب السلام والعدل ، حتى أن من المدهش : أن يكون القتلى من الطرفين : طرف النبي ﷺ وطرف أعدائه ، في جميع هذه الحروب والغزوات والسرايا ، ما يقارب ألفاً وأربعمائة !

ثم هل تعلم أن هؤلاء القتلى لم يكونوا أكثر من قتلى حرب واحدة ، كانت تقع في زمن الجاهلية ؟ . ولأجل أي شيء لأمر مضحك عجيب ، كما لا يخفى على من راجع تاريخ الجاهلية !

هذا هو بدء الجهاد الإسلامي ، فهل ترى فيه ما ينافي السلام انه لتوطيد السلام واستقرار الأمن ؟

وهكذا كان يحمي الإسلام السلام ، ولو أخذ اليوم بالزمام لكان للعالم وجه آخر ، وكان للسلام معنى حقيقي ، لا السلام الستاليني والهتلري ومن إليهما .. ولا نجاة للعالم - باسم السلام - وإنما النجاة في معناه وحقيقته ، ولا يوجدان إلا في الإسلام .. والإسلام فقط .

القضاء

يظل الاسلام القضاء بظل من البساطة والعدل والحق ، بحيث لا يذكر التاريخ مثيلاً له في هذه الناحية ، والقوانين المعاصرة بما لها من سعة وشمول (هكذا !) لا تلحق بعشر معشار ما للاسلام من مزايا حول القضاء .

وليس ذاك بدعاً من الاسلام ، إنه تماشي مع طبيعة البسيطة السمحة العادلة ، وليس القضاء إلا شأناً من شؤون الحياة ، التي تستوعبها الأنظمة الاسلامية ، بحيث لا تقادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .

والبساطة والعدل من ألزم ما يجب أن يتوفر في القضاء ، إذ الالتواء والفضيحة وما اليهما ... تسبب اضطراب المتخصصين ، فكيف يمكنهم الادلاء بما في نفوسهم من الاضطدام والنزاع؟ والجور لو وجد سبيلاً الى النظام أو الحكم ، اختفى العدل تماماً وترجحت كفة الظالم أبداً ، وبطلت الحقوق ، فإن القضاء بطبعه عمل صعب ، ولذا كثيراً ما يجد الباطل مجاله الفسيح في المحكة والحكام ، فيما اذا كانوا نزيهين ، فكيف اذا كان القانون جائراً أو الحاكم زائفاً ؟

ولذا يحرص الاسلام الحرص كله حول بساطة المحكة ، وعدل الحاكم . ولنشير الى بعض الأنظمة الاسلامية حول القضاء ، لنرى كيف أتخذ الاسلام للتدابير اللازمة لطهارة هذا الجهاز المهم ، الذي يحتاج اليه أصحاب

الخيام ، كما يحتاج اليه سكنة القصر الأبيض وقصر كرملين ... في القرن العشرين .

فيشترط الاسلام باديء بدء : أن يكون القاضي عادلاً ، بمعنى أن يكبرن له (ملكة) : حالة نفسية تورث على عدم الانحراف عل منهج الحق قيد شعرة ... وإلا فما يؤمن المترافعين ، أن لا يزيغ القاضي عن الحق ، ويحكم حسب الهوى ، ويضع الحقوق غير موضعها .

يقول الله تعالى [إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها ، واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل] .
وقال تعالى : [يا داود ، إنا جعلناك خليفة في الأمر ، فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى] .

وقال تعالى : [إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق ، لتحكم بين الناس بما أراك الله] .

وبعد ذلك : يوجب الاسلام على الناس الترافع الى الحكام العدل ، ويحرم عليهم الترافع الى الجائر ، حتى تُسد أبواب الظلم ، وتُفتح أبواب العدل .

قال أبو بصير : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : قول الله عز وجل : [ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، وتدلوا بها الى الحكام] ، فقال : يا أبا بصير ، إن الله عز وجل قد علم أن في الأمة حكاماً يجورون ، أما انه لم يعن حكام أهل العدل ، ولكنه عنى حكام أهل الجور ، يا أبا محمد ، إنه لو كان لك من رجل حق ، فدعوته الى حكام أهل العدل ، فأبى عليك إلا أن يرافعك الى حكام أهل الجور ، ليقضوا له ، لكان ممن حاكم الى الطاغوت ، وهو قول الله عز وجل : [ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك ، وما أنزل من قبلك ، يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت] .

وقال سالم بن مكرم : قال الصادق عليه السلام : (إياكم أن يحاكم بعضكم بعضاً الى أهل الجور) .

وقال عبدالله بن سنان : قال أبو عبدالله (ع) : (ايما مؤمن قدم مؤمناً في خصومة الى قاض او سلطان جائر ، ففضى عليه بغير حكم الله ، فقد شرکه في الإثم) .

وقد رفع الاسلام مرتبة القضاء ، حتى جعلها من اختصاص الأنبياء والأوصياء ، تنويهاً بمعظمتهم وإشارة الى خطورته .

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، لشريح : (يا شريح قد جلست مجلساً لا يجلسه إلا نبي ، او وصي نبي ، او شقي) .

وروى سليمان بن خالد عن أبي عبدالله عليه السلام قال : (اتقوا الحكومة ، فإن الحكومة انما هي الإمام ، العالم بالقضاء ، العادل في المسلمين ، النبي او وصي نبي) .

كما ان الاسلام اوجب على القاضي ان يكون عالماً بما يصدر منه ، وانه على طبق الحق ، حتى انه لو حكم بالحق ، وهو لا يعلم فهو مأزور ، لأنه حكم بما لا يعلم ، وجدير به ان يقع في باطل لو تجرأ على هكذا احكام .

قال الصادق عليه السلام : (القضاء أربعة : ثلاثة في النار ، وواحد في الجنة :

- ١ - رجل قضى يحور وهو يعلم ، فهو في النار .
- ٢ - ورجل قضى يحور ، وهو لا يعلم ، فهو في النار .
- ٣ - ورجل قضى بالحق ، وهو لا يعلم ، فهو في النار .
- ٤ - ورجل قضى بالحق ، وهو يعلم ، فهو في الجنة) .

وهنا سؤال يفرض نفسه ، وهو انه كيف يمكن التحصيل على عدد كثير من الحكام ، من ذوي العدالة والصلاح ؟ فإن كل بلد - اليوم - يحتاج الى عدة حكام ، ومن الممكن أن نقول : ان عشرة ملايين من الأفراد يحتاجون

الى ما يقرب من الف حاكم وقاض ، وهو عدد غير يسير ، فمن أين يحصل لنا مثل هذا العدد من التزيين الذين يعدلون عن علم ودراية ؟

والجواب :

أولاً : أن الانظمة الاسلامية - بما لها من فضل في بساطة الحكم - توجب الغنى عن كثرة الحكام والقضاة ، بل ان قاضياً واحداً كاف لأن يفصل خصومات مليون وأكثر ، على ما يأتي الاماع الى ذلك .

وثانياً : ان الحصول على عدد كثير من العدول ، الذين لا يؤثر بهم الهوى ، في ظل التربية الاسلامية أمر هيّن جداً ، فإن الاسلام ، بما يضع من المناهج ، لتربية الفرد والمجتمع ، تربية صحيحة إنسانية ، يقلب المجتمع من النفعيين إلى حقيقيين ، لا يرون الا الحق ، ولا يعملون الا بالعدل ... ومن هنا ترى كثيراً من الفقهاء اشترطوا العدالة في امور ، قد يستغرب الشخص اشراطها فيها ، لكن النظر الى المجتمع الاسلامي يبده الاستغراب ، فهم قد اشترطوا العدالة في الوصي ، وآخذ الزكاة ، ومن يراد أن يدفع اليه ماله من الصغر الذين بلغوا حد الرشده ، ونحو هؤلاء !

ومن التدابير التي اتخذها الإسلام ، لوقاية الحكام والمهاكم عن الجنوح الى الباطل ، والحكم بالهوى : التدابير المالية ، بكلا شقيها السلبي والإيجابي : أما السلبي ، فقد حرم الإسلام الرشوة ، بجميع صورها ، وبكل أساميتها : من هدية ، أو رشوة ، أو أجر ، وبالغ في التحريم ، صيانة للحكام عن الميل الى جانب الراشي ، فتهدر الحقوق ، ويأخذ الباطل مكان الحق .

روى سماعة عن الصادق عليه السلام قال: (الرشى في الحكم هو الكفر بالله)،

وروى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (هدية الامراء غلول) .

وروى أصبغ بن نباتة ، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : (أيما وال احتجب عن حوائج الناس ، احتجب الله عنه يوم القيامة ^(١) وإن أخذ هدية كان غلولاً) .

وفي حديث عن الإمام عليه السلام قال : (كل شيء غل من الإمام فهو سحت ، والسحت أنواع كثيرة ، منها ما أصبت من عمال الولاة الظلمة ، ومنها أجور القضاة ، وأجور الفواجر ، وثمان الخمر والنبيد المسكر) . فأجر القاضي في نظر الإسلام ، كأجر الزانية !

وكما يحرم الإسلام أخذ الرشوة ، وما إليها ، كذلك يحرم إعطاء الرشوة ، فإنه من التعاون على الإثم الذي قال فيه تعالى : [ولا تعاونوا على الإثم والعدوان] .

في الحديث : (لعن رسول الله الراشي والمرتشي) .

وربما يزعم بعض الحكماء ان الرشوة المحرمة إنما هي التي يأخذها على الباطل ، أما إذا أخذ على الحق ، فليست من الرشوة ، وما احسن الدين والدفيا إذا اجتمعا ، فهو بعمل واحد يوفر على ماليته ، كما يعطي الحق إلى صاحبه ! لكن ... الإسلام يشجب هؤلاء بكلمته الحكيمة :

قال الإمام الصادق عليه السلام : (من أكل السحت : الرشوة في الحكم . قيل : يا بن رسول الله ، وإن حكم بالحق ؟ قال : وان حكم بالحق ، قال : فأما الحكم بالباطل فهو كفر ، كما قال الله عز وجل : [ومن لم لم يحكم بما أنزل الله ، فأولئك هم الكافرون] .

(١) حجه عن رحمة .

هذه هي الرشوة وما إليها ... في نظر الاسلام ، أما في نظر الكفر — السائد في كثير من البلاد الإسلامية — فالرشوة أطيب من كل حلال ؛ وقد قال لي أحد القضاة ، بكل صراحة : (الحلال ما حل بالكف) وقد يدهش الانسان لهذه التأكيدات من الإسلام حول تحريم الرشوة .. ولكن يتبدد دهشه ، إذا ألقى نظرة فاحصة إلى المحاكم في البلاد التي مشت فيها الرشوة ، فإنه يكاد يذهل من المستوى الدنيء الذي وصل إليه الحكم :

ان حكماً يعطل النكاح ، ويفرق بين زوجين لعشرة دنانير .

ويأخذ الدار من صاحبها ويعطيها لراش بمائة دينار .

ويرجع المسروق صفر اليدين ، بعدما أخذ السارق ودفعه الى المحكمة ، بمبلغ يلائم السرقة .

ويبطل حق المقتول ، وينجى القاتل ، بمبالغ قليلة أو كثيرة .

و .. و .. لحري أن يسمى فوضى .. لا حكماً ، وهل تدري أي شيء مهد السبيل لهذه الجرائم من الحكام ، التي هي أشنع من جرائم نفس المجرمين ؟ انها الرشوة فقط ، وبعد ذلك هل يبقى من شك ، في أن الرشوة من أعظم المحرمات ؟ وهل لرفع الرشوة عن المحاكم علاج بغير الإسلام ، الذي يوجد في المسلم طاقة هائلة من القول بالحق ، والحكم بالعدل .

ان الحاكم اذا لم يراقب الله مراقبة تملأ بين جوانحه ، ولم يره شهيداً عليه في كل حكم وقضاء ، يجازيه بكل شر اذا لم يعدل فهل يردعه شيء عن أخذ الرشوة ، وابطال الحقوق ؟ يخبينا جماعة : أن نعم ، ان هناك رادعاً آخر ، وما هو ؟ انه الضمير ، فقل لهم : هل تجدون هذا الضمير بين كل الف حاكم في حاكم واحد ؟ أنا لا أريد جرح كل حاكم ، ففيهم أناس نزيهون ، ولكن ... ما أقلهم ؟ ! والمجتمع بحاجة الى نزاهة كل حاكم ، لا نزاهة عدد معدود من الحكام .

هذه الناحية السلبية ، التي اتخذها الإسلام ، وقاية للمحاكم عن الانزلاق الى حضيض الباطل .



أما الناحية الايجابية ، فقد أوجب الإسلام رزق القاضي من بيت المال ، ولم يكتف بارتزاقه فقط ، بل جعل له من الحق ، ما يكفي كل حاجاته ، حتى لا تلجئه الضرورة ، الى اتخاذ مسالك ملتوية ، لسد فراغ راتبه المقرر له ، وبعد ذلك ، ان مدّ عينه الى أموال الناس ، ينزل الإسلام به عقوبة صارمة ، لأنه فسد وأفسد .

روى أمير المؤمنين عليه السلام : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد اليه في أمر القضاة ، وبعدما ذكر صلى الله عليه وسلم له صفاتهم ، قال صلى الله عليه وسلم : « ... ثم أكثر تعاهد أمره وقضاياه ، وأبسط عليه من البذل ما يستغني به عن الطمع ، ويقل به حاجته الى الناس . »

وفي عهد أمير المؤمنين الى مالك الاشر ، حين ولاء مصر : (... واعلم أن الرعية طبقات ، منها جنود الله ، ومنها كتاب العامة والخاصة ، ومنها قضاة العدول ... وكل قد سمى الله له سهمه ، ووضع على حده وفريضته .. ولكل حق على الوالي بقدر ما يصلحه .. واختار للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الأمور ... وأكثر تعاهد قضائه ، وأفسح له في البذل ما يزيح علته ، وتقل معه حاجته الى الناس ، واعطه من المنزلة لديك ، ما لا يطمع فيه غيره) .

وقال عليه السلام : (من السحت ثمن الميتة .. والرشوة في الحكم ، وأجر القاضي الا قاض يجرى عليه من بيت المال ..) .

وقال عليه السلام : (لا بد من قاض ، ورزق للقاضي) .

الى غيرها ...

وهكذا يعالج الاسلام زيغ الكلام ، ويلمس نقطة الضعف ثم يبادر بالوقاية ،
والعلاج ، حفظاً للحقوق ، وصيانة للقضاء .

ولو أخطأ القاضي - وهو بشر غير معصوم يخطئ ويصيب - فلا يجعل
الاسلام تبعه الخطأ على المترافعين - كما هو العادة اليوم - اذ أي جرم لمن
ترافع ؟ ولم يحمل ذنب غيره ؟ والله تعالى يقول : (ولا تزر وازرة وزر
أخرى) .

كما لا يجعل تبعه الخطأ على القاضي ، فإنه اجتهد وحكم بما ارقأه ، ثم
من أين يدفع هذه التبعة ، إن كانت مالا او ما اشبه ؟
بل التبعة على بيت المال ، الذي اعد للمصالح العامة ، وهذا من اظهر
مصاديق المصالح .

روى أصبغ بن نباتة : قال : قضى امير المؤمنين عليه السلام : (ان ما أخطأت
القضاة في دم او قطع ، فهو على بيت مال المسلمين) .
وهذه خطوة اخرى ، في القضاء الاسلامي ، لتزاهة القضاة وعدم هدر
الحقوق .

وبعد ذلك اتخذ الاسلام تدبيراً آخر ، لاعدل للقضاء ، وجريه وفق الحق
والواقع ، وهو لزوم عدالة الشهود ، فالشاهد اذا كان عدلاً ، يخاف الله تعالى ،
ولا يفعل خلاف مرضاته ، لا بد وان يتورع عن الشهادة بالباطل ، لرشوة ،
او صداقة ، او قرابة ، او ما اليها ...

أما اليوم ، والشهود - ما اكثرهم ! - ولو كان شاهداً حركته للشهادة

حرام معدودة ، او صداقة طفيفة ، او ما اشبه... فتري الحقوق مهدورة ، والقضاء متأرجحاً بين الحق والباطل ، يخطيء ألقاً ، و يصيب واحداً .

وكثيراً ما يرى مراجعوا المحاكم ، اسراباً من الناس المتبعثرين هنا وهناك ، ولو سئل : ماذا يريدون ؟ كان الجواب : يريدون الشهادة ... واية شهادة؟ شهادة الدرام .

حتى أن بعض الحكام النزيهين ، يتحير : كيف ينقذ الحق من هذه الشهادات المستعمدة لتمضيد الباطل؟ ولا أنسى أن حاكماً حكماً بإخراج هؤلاء من دائرة المحكمة ، ولكن ... ماذا يفيد هذا العمل الفردي ؟ ما دام الأصل منحرفاً ، فليس كل حاكم نزيه ، ولا كل نزيه يقدر على مثل هذا العمل . فالنتيجة إذاً : هدر الحقوق ، وزينغ القضاء ، واستبداد الباطل .

وانظر الى الاسلام ، كيف اتخذ التدابير لصيانة الحقوق ؟

روى الامام العسكري عليه السلام ، عن آبائه ، عن امير المؤمنين عليه السلام ، قال : « كان رسول الله ﷺ اذا تخاصم اليه رجلان ، قال للمدعي : ألك حجة : فإن أقام بينة يرضاها ويعرفها ، أنفذ الحكم على المدعى عليه ، وإن لم يكن له بينة ، حلف المدعى عليه بالله : ما لهذا قِبل ذلك الذي ادعاه ، ولا شيء منه » .

وإذا جاء بشهود لا يعرفهم بخير ولا شر ، قال للشهود : أين قبائلكما ؟ فيصفان . أين سوقكما ؟ فيصفان . أين منزلكما ؟ فيصفان ثم يقيم الخصوم والشهود بين يديه ، ثم يأمر فيكتب اسامي المدعي والمدعى عليه والشهود ، ويصف ما شهدوا به ، ثم يدفع تلك الى رجل من اصحابه الخيار ، ثم مثل ذلك الى رجل آخر ، من خيار اصحابه .

ثم يقول : ليذهب كل واحد منكما من حيث لا يشعر الآخر الى قبائلهما ، واسواقهما ، ومحالهما ، والربض الذي ينزلانه ، فيسأل عنهما ؟

فيذهبان ، ويسألان ؟ فإن قالوا خيراً ، وذكروا فضلاً ، رجعا الى رسول الله ﷺ فأخبراه ... أحضر القوم الذي اثنوا عليهما ، وأحضر الشهود :

فقال للقوم المثنين عليهما : هذا فلان بن فلان ، وهذا فلان بن فلان ، أتعرفهما ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : ان فلاناً وفلاناً جاءني عنكم فيما بيننا يحميل وذكر صالح : انكما كذا قالاً ؟ فإن قالوا : نعم ، قضى حينئذ بشهادتهما على المدعى عليه .

فإن رجعا بخبر سيء ، وثناء قبيح ، دعا بهم ، فيقول : أتعرفون فلاناً وفلاناً ؟ فيقولون : نعم ، فإذا ثبت عنده ذلك لم يهتك ستر الشاهدين ، ولا عابهما ولا وبخهما ، ولكن ... يدعو الخصوم الى الصلح ، فلا يزال بهم حتى يصلحوا ، لئلا يفتضح الشهود ، ويستتر عليهم .

وكان رؤوفاً رحيماً عطوفاً على امته .

فإن كان الشهود من اخلاط الناس ، غريباء لا يعرفون ، ولا قبيلة لها ولا سوق ولا دار أقبل على المدعى عليه فقال : ما تقول فيهما ؟ فإن قال : ما عرفنا إلا خيراً ، غير انهما قد غلطا فيما شهدا علي ، انفذ شهادتهما . وإن جرحهما وطعن عليهما ، أصلح بين الخصم وخصمه ، وأحلف المدعى عليه ، وقطع الخصومة بينهما .

وفي حديث : (إن استمزاج الحقوق بأربعة وجوه : بشهادة رجلين عدلين ، فإن لم يكونا رجلين ، فرجل وامرأتان ، فإن لم تكن امرأتان ، فرجل ويمين المدعي ، فإن لم يكن شاهد فاليمين على المدعى عليه) .

أما الشاهد ، فالإسلام يؤكد له كل تأكيد ، بأن يتحمل الشهادة ، إذا طلب لتحملها ، ثم يحرم عليه كتمان الشهادة التي عرفها ، ويبالغ في جريمة

شهادة الزور ، وشهادة ما لا علم له به صيانة للحقوق أن تهدر ، وحفظاً
للشهادة أن تزيف .

أما اليوم : فكل من أحب أن يتحمل الشهادة تحملها ، ومن لم يحب
لم يتحملها !

وكل من أراد كتم الشهادة !

وكل شخص يقيم الشهادة ، وإن لم يكن عرف الأمر ؟

وهكذا تضيع الحقوق ، وبأخذ الباطل مكان الحق ، وتضج الحقيقة إلى
الله تعالى ، بين مدع كاذب ، ومحكمة باطلة ، وحاكم جائر ، وشاهد فاسق ،
وحكم زائف .

وما زلت أذكر : أن رجلاً - بمحضري - طلب شهادة من صديق له ،
في رقنية دار ... فسأل الصديق منه عن الكيفية ؟ لعدم سابق علمه به ،
ولما استوعب الأمر ، أقام الشهادة تبرعاً !

أما الشهادة في ظل الإسلام ، فلها شأن غير هذا الشأن .

قال سماعة : قال الإمام الصادق عليه السلام ، « في قول الله عز وجل :
[ولا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا] : لا ينبغي لأحد إذا دعي إلى شهادة ،
ليشهد عليها ، أن يقول : لا أشهد لكم ، .

وروى يزيد بن سليط ، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام
قال : (وإن سئلت عن الشهادة فأدها ، فإن الله يقول : [إن الله يأمركم
أن تؤدروا الأمانات إلى أهلها] وقال : [ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده
من الله] .

أما شهادة الزور ، فما أعظمها في نظر الإسلام ، وإن صغرهما القرب
والشرق ...

قال رسول الله ﷺ : « ان شاهد الزور لا تزول قدمه يوم القيامة حتى
توجب له النار . »

وروى عبدالله بن سنان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : (شاهد الزور لا يقوم بين يدي الحاكم ، حتى يتبوء مقعده من النار) .

وروى صالح بن ميثم ، عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : (ما من رجل يشهد بشهادة زور ، على مال رجل مسلم ليقطعه ، الا كتب الله له مكانه صكاً الى النار) .

ولا يتوهم : ان هذا يختص بشهادة المسلم ، بل شهادة الزور محرمة حتى على غير المسلم .

اسمع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« من شهد شهادة زور على مسلم أو ذمي أو من كان من الناس ، علق بلسانه يوم القيامة ، وهو مع المنافقين ، في الدرك الاسفل من النار » .

وقد قرر الاسلام ، على شاهد الزور ، حداً قاصماً ، لئلا يتبناه أحد .

روى جعفر عن أبيه عليهما السلام : (ان علياً عليه السلام كان اذا أخذ شاهد زور ، فإن كان غريباً بعث به الى حبيته ، وان كان سوقياً بعث به الى سوقه ، فطيف به ، ثم يحبس أياماً ، ثم يخلي سبيله) .

وروى عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : (ان شهود الزور يجلدون جلدأ ، ليس له وقت ذلك الى الامام ، ويطاف بهم حتى تعرفهم الناس ، وتلا قوله تعالى : [ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً ، وأولئك هم الفاسقون ، الا الذين تابوا] قلت : بهم تعرف توبته ؟ قال : يكذب نفسه على رؤوس الاشهاد حيث يضرب ، وليستغفر ربه عز وجل ، فإذا هو فعل ذلك ، فثم ظهرت توبته) .

هذا هو القضاء الاسلامي ، الذي لم يسبق له في تاريخ الدنيا ، مثيل ، ولم يأت الشرق والغرب بمثله ، في تحري الحق ، واقامة العدل ، وما في قضائهم من محاسن ، فإنما هو مأخوذ من الاسلام ، كما أن ما فيها من مساويء

- وهي كثيرة - فالاسلام يتبرأ منها ، ولا علاج لتطهير جهاز القضاء ، الا بالرجوع الى قوانين الاسلام واحكام القرآن ... [ومن احسن من الله حكماً]؟؟!

بالاضافة الى ان هذا القضاء السائد اليوم في ربوع الأرض انما هو شبكة محكمة لاقتناص الدراهم ، واهدار الحقوق ، واضاعة الأوقات ، واتعاب الحكام والمحامين والشهود والمدعي والمدعى عليه ... فرسوم الدعوى ، وأجور المحامين ، ورشي القضاة ، وتملق ذوي الوجاهات بالهدية وما إليها ... تلف للأموال بغير مبرر ! وارتياد المحاكم وبيوت المحامين والوقوف في ساحة المحكمة ونحوها ... اضاعة للأوقات ! ومراجعة الحكام للقوانين المتضاربة وحيرتهم وحيرة المحامين والشهود ، بين الحق والباطل ، والقانون والواقع ، والرشوة والحقيقة ... وما اشبه ... أتعاب بغير فائدة .

وبعد ذلك كله ، يغلب الباطل ، ويُهدَر الحق ، وتضع الحقيقة ...
أليس هكذا يا أصحاب الضمائر ؟

الدين والدنيا

كون الاسلام ديناً ودنيا له بحث عريض .
وهو أول مبدأ عرفه التاريخ ، وآخر مبدأ كذلك ، يجمع بين هاتين
الناحيتين .

فكل دين سبق الاسلام ، عرف في المجتمع بأنه : دين فقط ، أما
الدنيا ، فلا ...

وكل مبدأ تأخر في القرون الأخيرة ، كان دنيا فقط ، أما الدين ، فلا .
ولو سألت اليهودية والنصرانية ، والبوذية ، والكنفوشيوسية ،
والهندوكية والصينية ... وغيرها : ماذا تعني ديانتكم ؟ لأجابوك : انها
أنظمة روحية ، وعلاقة ايمانية ، بين القلب والاله ، ولو كانت هناك بعض
دساتير الحياة ، فهي تطفل وتبع .

ولو سألت أنظمة افلاطون وسقراط ، وماركس وهتلر ، وموسوليني
وكبراء واضعي القوانين : ماذا تقصدون من مناهجكم ؟ لأجابوك : انها
قوانين لترفيه الحياة ، وتوطيد دعائمها ، اما الدين والروح فلا نقصدهما ، ولو
كانت هناك بعض مناهج الروح ، فإنما هي سلبية - كالماركسية - او تبعية -
لا يعبأ بها ابداً .

وهذه حقيقة اعترف بها كلا او بعضاً ، حتى خصوم الاسلام .

يقول جرجي زيدان ، في تاريخ التمدن الإسلامي : « الخلافة ضرب من الملك خاص بالاسلام لم يكن في سواه من قبل ، وهي من قبيل السلطة الملكية المطلقة ، ولكنها تمتاز عن سلطة القياصرة والامبراطورين والأكاسرة ، ان الخلافة تشمل السلطتين : الدينية والدينية ، فتحمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي ، في مصالحهم الأخروية والدينية الراجعة اليها . وأما تلك فتتصرف في حمل الكافة على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدينية » .

وهذه الصفة سمة بارزة في الاسلام ، حتى ترى أن كل منهج من مناهجه ، وكل حكم من احكامه ، مزيجاً من الدين والدنيا ، سواء كانت الجهة الغالبة التي وضع الحكم لأجلها ، ديناً ، أم كانت الجهة الغالبة دنياً .

فالصلاة مثلاً : مع كون الجهة الغالبة فيها الدين ، ترى الفوائد الدنيوية فيها على أكمل وجه ، حتى لو انها وضعت لفائدة الدنيا لم يكن فيها اغراق او قصور .

والزكاة مثلاً : مع كونها وضعت للمصالح الدنيوية - فإنها حتى مالي كما هو معلوم - لا يفوتها شيء من الأغراض الأخروية ، حتى انها لو وضعت لمصالح الآخرة ، لما كانت شيئاً وضع في غير موضعه .

وأراني بحاجة الى نقل جملة اخرى من كلام جرجي زيدان حتى تسمع ذلك من ألسنة غير مسلمة .

يقول : (... واعمال الدولة محصورة في النبي ، وتشمل السياسة والادارة والدين ، ففرضت الصلاة والزكاة وغيرهما من الفروض ، التي تعد من قبيل الدين ، ولا تباحث فيها الا من حيث دخلها في تأسيس الدولة) ، أما الصلاة في الجماعة ففائدتها في الدنيا : الاتحاد والطاعة للامام ، وأما الزكاة فإنها قوام الدولة ، وأساس مصالحها ، فهي اصل بيت المال الذي تعتبر عنه بنظارة المالية .

ولا يخفى أن للدول نظمات مختلفة ، وفيها الملكي والجمهوري والمطلق والمقيد ، ولكل دولة قوانين تختلف عما للأخرى مما لا يحصره وصف ، ولكنها ترجع كلها إلى امرين أساسين ، تشترك فيهما جميعاً : (المال والجند) وما من دولة مهما كان نوع نظامها إلا وفيها الجندية والمالية ، إذ لا قوام لها بدونها ، وربما كانت الحاجة اليهما في أوائل الدولة أشد مما بعدها . والمسلمون هم الجند واتحادهم بالصلاة والركوع والمؤاخاة هو نظام الجند ، والزكاة عبارة عن المال اللازم لبقاء الجند .

فأساس الدولة الاسلامية ، هذه الآية :

[وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، واركعوا مع الراكعين] .

والزكاة توطد عرى الاتحاد ، وهو أساس الاسلام ، بأن يؤخذ من أغنياء المسلمين مما يزيد من أموالهم ، فيعطى الفقراء منهم ، فيؤخذ زكاة ويعطى صدقة ، ويمثل ذلك جلياً قول النبي لمعاذ لما بعثه إلى اليمن ، إذ قال له :

« انك تأتي قوماً اهل كتاب ، فادعهم إلى شهادة : ان لا إله الا الله وان محمداً رسول الله ، فإن هم أطاعوا لذلك ، فاعلمهم ان الله قد فرض عليكم : خمس صلوات في اليوم والليلة ، فإن هم أطاعوا لذلك ، فاعلمهم أن الله فرض عليهم صدقة ، تؤخذ من اغنيائهم فتد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لذلك ، فأياك وكرائم اموالهم ، واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » .

وفي فرض الزكاة على الأغنياء واعطائها للفقراء حكمة عالية ، لأنها تسترضي الفقراء ، وهم الجمهور الاكبر ، وخصوصاً في عصور الجاهلية أيام الاستبداد والاستئثار ، فجاء الاسلام لنصرة الضعيف ، والمساواة بينه وبين القوي . ولذلك كان الناقون على النبي ﷺ من كبار القوم الذين ساءهم أن يشاركوا فقراءهم بأموالهم وان يكونوا اخوة لهم .

وكذا غير الصلاة والزكاة ، من سائر أحكام الاسلام ، عبادة كانت ، ام
معاملة ، أم عقداً ، ام ايقاعاً ، ام قصاصاً... ام غيرها ...



وقد أجزل الكتاب والسنة ، في بيان النسبة المزدوجة الاسلامية في آيات
وروايات ، بالاضافة الى التصريح او التلميح اليها ، في كل حكم حكم ،
وفي مناسبة ومناسبات...

يقول الله تعالى : [فمن الناس من يقول : ربنا آتتنا في الدنيا وما له
في الآخرة من خلاق . ومنهم من يقول : ربنا آتتنا في الدنيا حسنة وقرنا
عذاب النار . أولئك لهم نصيب مما كسبوا] .

ويقول : [قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من
الرزق ؟ قل : هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة] .
ويقول : [وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من
الدنيا ، وأحسن كما احسن الله اليك] .

ويقول : [كلوا من رزق ربكم ، واشكروا له ، بلدة طيبة ورب
غفور] .

ويقول : [فأناهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة] .
ويقول : [الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لهم البشري في الحياة الدنيا
وفي الآخرة] .

وغيرها... وغيرها .

وقال الامام الحسن (ع) : (اعمل لدنياك كأنك تعيش ابداً ، واعمل
لاخرتك كأنك تموت غداً) .

وعن الباقر (ع) . (فعون العون الدنيا هلى الآخرة) .

وروى الصدوق عن الامام (ع) : ليس منا من ترك دنياه لاخرته ،
ولا آخرته لدنياه .

وعن أبي جعفر (ع) : (من كسل عن طهوره وصلاته فليس فيه خير لأمر آخرته ، ومن كسل عما يصلح به أمر معيشته فليس فيه خير لأمر دنياه) .

وروى محمد بن مسلم عن أبي جعفر (ع) أنه قال ، (إني لأبغض الرجل - أو : أبغض للرجل - أن يكون كسلاناً من أمر دنياه ، ومن كسل عن أمر دنياه فهو عن أمر آخرته أكسل) .

وروى محمد بن مسلم عن الصادق عليه السلام ، قال : (إن في حكمة آل داود : ينبغي للمسلم العاقل ألا يرى ضاغطاً إلا في ثلاث : حرسه لمعاش ، أو تزود لمعاد ، أو لذة في غير ذات محرم) . إلى غيرها... من أحاديث كثيرة .

وقد كان كبراء الاسلام ، من رسول الله صلى الله عليه وآله ... إلى علي عليه السلام ، إلى سائر الأئمة (ع) ، أمثلة حية لهذا الجمع بين الدنيا والآخرة ، فكانوا يصلون ويصومون ويتهجدون ويقرؤون القرآن ويعبدون ، على نحو مدهش ، لا يتحملة حتى الزهاد والمعباد ! ومن طرف آخر ، كانوا يعملون ويزرعون ويتجرون ويأكلون الطيب ، ويلبسون الفاخر ، ويركبون الفاره ، ويتزوجون ثيبات وأبكاراً ، ويقتنون الضياع والعقار والدور والدواب .

لا تشغلهم الدنيا عن الآخرة ، ولا الآخرة عن الدنيا .

فهم أفضل مثل ، لقوله تعالى :

[آتينا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة] .

ومما ينسب إلى علي أمير المؤمنين عليه السلام قوله :

(وآخر قد فاز بكتيها قد جمع الدنيا مع الآخرة) .

والاسلام بهذه الخطوة الحكيمة ، أي جمعه بين الدين والدنيا وفر للكون
- لا للانسان فقط - تقدماً ونظاماً باهراً . ذ

ولنأخذ الانسان مثلاً لذلك :

إنه يحتاج الى :

١ - إشباع العقل .

٢ - إرواء العاطفة .

٣ - تنمية الجسم .

فالمادي منها كان اسمه : ديمقراطياً ، أم شيوعياً ، أم رأسمالياً ، أم نازياً ،
أم فاشستياً ، أم وجودياً ، أم غيرهم... إنما يقوم بالدور الثالث أولاً وبالذات ،
ويتعداه الى الدور الثاني ، لكن مع زيبغ والمخرف ... فهو يتطلب جسماً
صحيحاً ، وثروة كافية ، وجمالاً رائعاً ، وثقافة مادية... فحسب ... وهل
هناك مطلب آخر للمادي ؟ كلا ! والعاطفة لا بد وان ترتوي من هذه المنابع
المادية .

أما الإعتناء بالعاطفة بالذات ، فليس له اي اثر في قاموس الماديين .
واما اشباع العقل والروح ، فإنهم ينكرونها... فلا معنى لاشباعهما !
ولذا لا بد للعاطفة والروح ان يتسكعا ، ويخبطا في الأجواء الخائفة خبط
عشواء .

إن الانسان كما يحتاج الى الطعام ، فإذا لم يجد الطيب ، لا بد وان يتناول
الخبث .

كذلك العاطفة ، لا بد لها ان تشبع ، فإذا لم تجد مطلبها ، لا بد وان
ترتوي من الآسن الآجن .

وهكذا الروح ، انها تتطلب الحقيقة ، فإذا سلت الأبواب امامها ،
احتشت بالخيال والباطل .

وتوضيحاً لذلك نقول :

ان الشخص لا بد وان يعتقد مبدأ ومعاد وافراد - وهذه هي الجانب العقلي والروحي .

والماديون يعتقدون بالطبيعة مبدأ ، والإنعدام اخيراً ، وزعماء ظنوم وطنيين ، او ادباء واضرايهم ، وبتخيرونهم تخبيراً .

وكذلك الفرد ، لا بد له من حب وألفة واخلاء وميول - وهذه هي الجانب العاطفي - .

والماديون يضعون حبيهم في كف فتاة عشقوها ، أو العكس وولائهم لوطن يمدونه في الخيال ، وألفتهم لجماعة يقربهم وايها لسان او ثقافة او ما اليهما .. وهذه الميول والعشراء انما يهتم بهما المادي ، توفيراً للرغبات الجسمية ، وبذلك يكون النصيب الأوفر من الاهتمام منصباً على الفرائز الجسمية .

وفي هاتين النقطتين ، يمتاز المادي عن الذي جمع بين المادة والروح .

فالجامع بين الجهتين :

يعتني بالعقل والعاطفة اعتناؤه بالجسم ، ولذا يكون معتقده ببرهان ، وعطفه بمنطق .

أما تحشية الذهن بمقائد خيالية ، واملأ العاطفة بميول زائفة فمعنى ذلك شل هاتين القوتين المودعتين في الانسان !

واذا أردنا ان نحلل الفارق بين الجامعي والمادي ، رأينا : ان المادي شل ثلثي قواه ..

فاسأل منه : ما هذه الطبيعة التي تعتقد بها مبدأ ؟ وهل انها قادرة عالمة حكيمة ؟ ... وثم : هل هذه الأكوان من فعل جاهل عاجز أصم أعمى ؟ .

واسأل منه : هل هذه المظالم التي يأتي بها المجرمون ، تذهب مباءاً بلا

مكافآت ؟ وهل الحسنات التي يأتي بها المصلحون تذهب سدى بلا جزاء ..؟
و ثم : هل من بدأ بحكمة لا يثيب المطيع ولا يعاقب العاصي ؟
واسأل منه : هل هذه الزعماء والأفراد الذين اتخذتهم قدوة ومحل
تقديس ، يستحقون ذلك ؟

وهذا هو الفارق الأول بين الجامعي والمادي :

فالجامعي : يمتد بباله عالم قدير حكيم ، خلق الأشياء عن ارادة
واختيار ، ويعتقد بمعاد يجازي فيه المحسن بالثواب ، والمعاصي بالعقاب ،
ويعتقد بأنبياء وأوصياء جمعوا من الفضائل أكبر قدر ممكن ، وتنزهوا عن
كل رذيلة ، وكل هذه المعتقدات منطقية مائة في مائة ، حيناً لا يقوم للمادي
- في هذه الناحية - أي دليل وبرهان .

إذا فالجامعي يشبع عقله بغذاء صالح يلائم الحق والواقع ، بينما المادي
أفلس في هذا الميدان - اشباعاً لرغبات العقل - الى التسكع ، وتحشية
الذهن بالأوهام والخياليات .
هذا بالنسبة إلى الطاقة العقلية .



أما الطاقة الروحية - وهي الفرق الثاني بين الجامعي والمادي -
فاسأل المادي :

هل حبيك أفتاة تاملك في المدرسة أو المصنع ، منطقي ؟ وهل ولاؤك
للوطن الموهوم ، بل الوطن البشري الأكبر ، قائم على برهان ؟ وهكذا ؟
وهذا هو الفارق الثاني بين الجامعي والمادي :

فالجامعي يشبع عاطفته ، بميول عادلة ، يحب زوجته وأهله بدل حب
فتاة ، فإن الأول بناء للحياة ، والثاني هدم لها ، وتخصيص ولاءه بالوطن

البشري العام ، يجب لمن لم يجمعه وإياه جامع قريب ما يجب لمن جمعه وإياه
جلد أو ثقافة أو هواية .

وهذا بالنسبة الى الطاقة العاطفية .

ويتلخص الفارق بين الجامعي - ونعني به المسلم - وبين المادي :

ان الجامعي يولي اهتمامه بالعقل والعاطفة والجسم كلا بالاستقلال فينتقي
الغذاء الروحي للعقل ، والميول المستقيمة للعاطفة ، والملاذ الصحية للجسم ..
أما المادي فهو يهتم كل الاهتمام بالجسم ... ولا عليه بعد ذلك أن يمتليء عقله
بالحشيش والنفايات ، وتميل عاطفته نحو المزابيل والدمن .

وهنا فارق ثالث ، وهو الفارق في الملاذ الجسمية :

فالمادي يلبثهم الملاذ التهاماً ، كالإبل الهيم إذا وردت الماء لا تميز بين الآسن
والآجن وبين العذب والفرات .. والجامعي يعبُّ الملاذ عباً ، على قدر وحذر .
وهنا يقف المادي صفر اليدين ، حتى من اشباع الجسم ، لأنه يقع في بؤرة
الغذارات والأمراض والإفلاس .. إذ الخمر والبغاء والقمار مثلاً ... توجب
ذلك الثالوث الرهيب ... بينما يرجع الجامعي بثروة طائلة من المطالب العقلية ،
والميول العاطفية ، والملاذ الجسمية .

فالمادي خسر الككل !

والجامعي ربح الككل !

وحيث انتهى دور المقارنة بين المادي والجامعي ، فصل المرتبة إلى المقارنة
بين الروحي - والروحيون معتنقوا سائر الأديان باستثناء الاسلام -
وبين الجامعي .

والثاني - كما عرفت - يحظى بتوازن القوى والطاقات ، فكل من عقله
وعاطفته وجسمه قد حصل على غذائه الصحيح الكافي .. بينما الروحي
أضرب عن الجسم والعاطفة ، فخسر قوتين بخط مستقيم : وروحه لا يمتليء
إلا بما لم يقم عليه منطق ، فيخسر الطاقة الثالثة .

فقد خسر الطاقات الثلاث ايضاً ، كالمادي !

وهنا سؤال يفرض نفسه ، وهو :

ان الماديين قد ملأوا شرق الأرض وغربها .. أما الروحيون فهل لهم
من مصداق ؟

والجواب : قد كان لهم مصداق ، وهم الرهبان من النصارى والسادو من
الهنود .. ومن اليهم .. لكنهم قليلون جداً ، اليوم ، حيث تبخرت
معتقداتهم في زحام المدنية الحديثة ، وحيث رأوا انهم قد أفلسوا حق من
أعز ما كانوا اقتنوه في أدمغتهم وسلوكهم .. ضربوا مبادئهم عرض الحائط ،
وأخذوا يركضون وراء الشهوات الدنيا - كالماديين - بل أصبحوا ماديين
بكل قواهم ، وإن احتفظ بعضهم بالإسم فقط من مبادئهم الموروثة .

وهكذا ربح الاسلام الدين والدنيا ، وخسر غيره : مادياً كان ام
روحياً - كليهما .

وقد حاول الماديون أن يتهموا الإسلام : بأنه روحي لا يتدخل في شؤون
الحياة ، وأرادوا بذلك أن يستغلوا مرافق الحياة لأنفسهم ويحملوا من أنفسهم
قادة البشر ، لكنهم باؤوا بالفشل ، وكيف يمكن حجب الشمس عن الابصار
بالضوضاء ؟

كما حاول الروحيون : أن يصموا الاسلام بالمادية ، وانه إنما جاء للسيطرة
والاستغلال ، وانه خال من المعنويات والروحيات .. ولكن الدعوة الاسلامية
بقرآنها وسنتها وعمل كبرائها فضحت مزاعمهم ، فباؤوا بالخسران .

ولسنا في هذا المجال بصدد رد التهم التي وجهت إلى الإسلام وإنما كنا
بصدد بيان :

ان الدين الصحيح ..
والدنيا المرفهة .

إنما هما في ظل الاسلام فقط . لا في ظل الانظمة الارضية ولا ظل الكتب المنسوبة الى السماء .



وإذا أغمضنا النظر عن معتقدات الاسلام ، لنشرح جانبيه الآخرين الروحي والمادي يكاد العجز يأخذ سبيله بما نحن بصدده من جعل كل واحد منهما في قائمة مستقلة ، فإن هاتين الناحيتين قد اشتبكنا اشتباكاً وثيقاً ، حتى ان أقرب الامور المادية يلاحظ فيها الجانِب الروحي المهم .. وبالعكس .

فالصلاة الروحية الطابع ، تلاحظ فيها سمات المادية .
والزكاة المادية السمات ، منطوية على الروحيات الفائقة .
وهكذا ...

ولذا نرى أنفسنا مضطرين إلى اتباع ما قوي من أحد الجانبين ، في بيان القائمتين .

ففي قائمة الروحيات :

القرآن ، والدعاء ، والسجود ، والصلاة ، والقنوت ، والركوع ، والحج ، والعمرة ، والصيام ، والذكر ، والمسجد ، والمشهد ، والابتهاال ، والصدق ، والأمانة ، والوفاء ، وحب الخير ، والتواضع ، وحسن الخلق ، والشجاعة ، والعدالة .. وغيرها .. وغيرها .

وفي قائمة الماديات :

الزكاة ، والخمس ، والصدقة ، والاطعام ، والضيافة ، والنظافة ، والبيع ، والرهن ، والزراعة ، وتربية المواشي ، واقتناء الدواجن ، وبناء الدور والمستشفيات ، وإحياء موات الأرضين ، والصناعة ، والحرفة ، والنكاح والارث ، والحدود ، والسلطة ، والقضاء ، والاجارة ، والسفر ، والاطعمة والأشربة ، وإخراج المعادن وغيرها وغيرها .

وبالجملة :

ليس هناك شأن من شؤون الحياة ، ولا شأن من شؤون الروح .
إلا بينه الاسلام ، إما بالتنصيص أو بالعموم .

وكتب الأخبار ، والتفسير ، والتاريخ ، والفقه ، ملاء ببيان جوانب
الاسلام ولكن الحملات الصليبية التي امتدت ذيلها الى اليوم ، حالت دون
استجلاء حقائق الاسلام ، فقصرت عنها الأيدي وانتهز المستعمرون هذه
الفرصة ، فأخذوا يقزرون الأفكار بالكتب والمجلات - وما اليها ،
كما استغلوا غفلة المسلمين فطفقوا يشحنون الأدمغة ، بما شاؤوا من الاتهام على
الاسلام ، ونسبته الى النقص والرجعية والجمود ، وانه لا يلائم العصر ، ولا
يفي بحاجات الشعوب المتحضرة ، والأمم المتعدنة .

وهكذا تقلص : الاسلام عن المجتمعات بعاملين :

١ - قصور حملته .

٢ - هجوم أعدائه .

ولكن طبيعة الاسلام الوثابة ، ومبادئه التقدمية ، ما ان تراكت
عليها الجهالات ، وأخفتها الشهوات ، ألا وان رمت بها (إلى حيث ألفت
رحلها أم قشع) ثم يتجلى الاسلام كالشمس في رابعة النهار ، وما هذه
الهجمات التي تشن الفارة على الاسلام من الشرق أو الغرب ، من الكتابيين أو
الملاحدة ، الا كسحابة صيف ، فحالمها كما قال الشاعر : (سحابة صيف
عن قريب تفشعت) .

وكم رأى الاسلام مثل هذه المناسي ، في تاريخه الطويل :

ففتنة صاحب الزنج ، وحوادث المغول ، وظهور القرامطة ، وحروب
الصليبيين ، وغيرها ، وغيرها ... كلها ذهبت وبقي الاسلام .
وهكذا يخرج من هذا الصراع المادي ، ظافراً منتصراً [إنا نحن نزلنا
الذكر وإنا له حافظون] .

الغشاط

الطاقات التي يتمتع الانسان في حياته بها أربعة :

١ - الطاقة الذهنية .

٢ - الطاقة البدنية .

٣ - الطاقة الزمانية .

٤ - الطاقة المالية .

ويرتبط بكل طاقة من هذه الطاقات ، سلسلة من الأمور الكونية :

فالطاقة الذهنية : يتعلق بها العلم والصفات النفسية ، من غير فرق بين أنواع العلوم وأقسام الصفات ، فالنحو ، والمنطق ، والقرآن والسنة ، والحساب والهندسة ، والفيزياء وعلم الفلك ، والعدل والأمانة ، والشجاعة ، والسخاء ، والاباء والغيرة ... كلها تتجمع عند الطاقة الذهنية .

والطاقة البدنية : تدير الحركات الحسية ، من لامة ، وذائقة ، وشامة ، وباصرة وسامعة ... فالحركة والسكون ، والتجارة والزراعة ، وتعميد الطرق وبناء المساكن والمصانع ، وحفر المناجم وإخراج المعادن ... كلها تنبثق عن الطاقة البدنية .

والطاقة الزمانية : تمدد الطاقتين الاوليين بالوقود ، فكل ثقافة وصفة ، وكل حركة وجري ، تتدرج في مراقبي الكمال حتى تصل الى ذروتها المنشودة ، ولولا هذه الطاقة لم يتم للكون عماد .

والطاقة المالية : تنظم مختلف نشاطات الحياة ، فلولاها لم توزع العلوم توزيعاً منظماً ، ولم تقسم الحاجات تقسيماً متوازناً . وأخيراً شلّت قوى كثيرة من القوى الكونية ، بما فيها الانسان .

وهذه الطاقات في ظل الإسلام تتمتع بازدهار وحرية لم يعرفها التاريخ قبل الاسلام ، ولا يجدها الشخص في دنيا اليوم ، لا في بلاد الأجنبي الذين لا يدينون بالاسلام ، ولا في البلاد الاسلامية التي تزح تحت نير الاستعمار . ونعني بالازدهار تمتع الطاقة بكاملها اللائق بها . كما نعني بالحرية انطلاق الطاقة من دون أن يكتبها شيء .



لقد جعل الله الكون بحيث يتطلب التعاون والاستطلاع والحركة : فقد بعثر الثروة والحاجيات فيه هنا وهناك ، فمناجم الذهب والفضة والماس في محل ، ومعادن النفط والقيير في مكان ومنابط التوابل والمطاط والعطور في أرض ، وغابات الحيوان المختلف والأخشاب المتنوع في ناحية ، وهكذا ... ثم جعل في الكون أسراراً أخفاها عن الأذهان ، وجعل لبعضها مفاتيح ، ورتب كشف بعضها على اكتشاف بعض .. ثم خلق الانسان مختلف الذكاء والفتنة ، ومتفاوت الصفات والأخلاق ... وبعد ذلك : أنزل الشرائع والكتب على انبياء متفرقين في البلاد ، دعوا الناس الى الصلاح والعلم والتعاون والخير والسعادة ... وما اليها .

وهذه الامور كقائمة للتعاون والاستطلاع ، فمن عنده شيء احتاج الى تصديره ، ومن يعوزه شيء احتاج الى استيراده ... وهذا يحتاج الى بث علمه ، كما ان ذلك يحتاج الى التعلم .. وهكذا وهكذا ... وعلى هذا لا يجد الانسان مجالاً للتدابير ، ولا بد من التعاون ، لسد حاجته وإصدار فائضه .

ولذا كان العلم متشابكاً بعضه مع بعض ، محتاجاً كل جزء منه إلى جزء آخر .

وإنما يتم هذا التعاون والائتلاف بانطلاق الطاقات الكامنة في الانسان وازدهارها

وتتميماً لهذه الغاية النبيلة، جعل الاسلام - وهو دين الله المختار لعباده - النشاطات في سعة وانطلاق ، بحدود التعاون والصلاح العام .

فالطاقة الذهنية : يتعاملها الاسلام : يجعل العلم حراً لمن أراد بل يدعو إلى العلم بكل قواه ، من دون أن يضع له شرطاً او حداً ، إلا انه يقيدته بالحكمة : فطلب العلم فريضة على كل مسلم ، لكنه حر في الكيفية والكمية ، كما ان العلم الضار محرم في الشريعة واستعمال العلم للدمار من أقبح الأعمال الاجرامية ، كما ان الفضيلة وهي من الطاقة الذهنية ايضاً : واجب في حدود ، ومندوب في حدود .. وبهذه النقطة الأربع يفترق الاسلام عن أرقى المبادي وأعدل القوانين !

- ١ - فتحصيل العلم واجب ، لانطلاق الطاقة الذهنية إلى آفاق بعيدة .
- ٢ - والانسان مختار في كيفية تحصيله ، ومقدار ما يحصله ، تكبت الحرية .
- ٣ - والعلم للضار محرم ، فلا يجوز استعمال العلم في الدمار .
- ٤ - والفضيلة ، كالصدق والأمانة والشهادة بالحق .. وما إليها واجبة ، ومقدار منها مندوبة .

أما العالم ، فبين من يجعل التعلم اجبارياً ، بدون إعطاء الحرية لحدوده وكيفيته ، كبعض البلاد اليوم .. وبين من يجعل التعلم اختيارياً ، فمن شاء تعلم ، ومن شاء بقي أمياً .. أما العلم الضار فتعاطيه كالعلم النافع . وإلا لما ولدت القنابل المدمرة . وأما الفضيلة فلا شأن للقانون والحكومات بها ، إلا بمقدار الاحتياج إليها في السياسات او الاجتماعيات .

فهل ان الاسلام يرفع الطاقة الذهنية أفضل ، ويجعل لها من الحدود والمقاييس أجل .. أم غيره ؟

والطاقة البدنية : ينظمها تنظيماً رائعاً ، لا تجرد في القوانين والمبادئ والأديان مثيلاً له ، ان ذلك رابع المستحيلات .

فالاسلام يمنح الانسان كل حرية ... في الحركة والجري واستعمال قواه ، وصرف نشاطاته من دون أي قيد أو شرط - سوى الصلاح والعدل - .
١ - فلانسان الحرية في اختيار الأماكن التي يقطنها ، والسفر إلى كل جهة والإتجار بكل شيء .

٢ - كما له أن يستعمل حواسه الخمس في كل ما أراد .

٣ - ولكن ... ليس له أن لا يعمل ويلقي كله على الناس أو يضيع من يعول .

٤ - كما ليس له أن يعمل بما يضر نفسه أو يضر الآخرين ، أو يخرج من الحدود المشروعة التي وضعت طبق الصلاح والحكمة .

أما القوانين والمبادئ ، فتكبت الحريات ، فالمكان الذي يريد استيطانه يجنسية وهوية ، والسفر بإجازة ، والاتجار بقدر ، والقلم والكلام برقابة ، وإلقاء الكل وقضييع من لا يعول لا مانع منهما - إلا بندرة - كما ان الاستغلال والاحتكار والربا ، وتعاطي المضرات .. وما إليها ، من غير مانع ، وبعد هذا : فهل الاسلام نظم الطاقة خير تنظيم ، أم المبادئ والقوانين الوضعية ؟
والطاقة المالية :

يعتني الاسلام بها خير اعتناء :

١ - فللكل أحد أن يستفيد من خيرات العالم ، بجيازة الأرض واخراج المعادن ، وشق المناجم ، بكل حرية .

٢ - كما انه مختار في كل معاملة مع كل أحد .

٣ - وعليه أن يدفع مقداراً للمصالح العامة .

٤ - ولا يضر نفسه والآخرين ، ولا يخالف القوانين الاسلامية .
أما المبادئ ، فتحدد الاستفادة من هذه الطاقة تحديداً ، يكاد يقبر
الثروة في صناديق ، ويفلس ملايين من البشر عن كل ثروة فتزم الاستفادة.
من الخيرات ، بزمام من القوانين ، حتى انك لو أردت حيازة مقبرتك من
الأرض ، لزم عليك دفع رسوم واعطاء رشوات ، ثم ان الامتيازات تكبت
حريات كثيرة ، وهكذا قوانين جائرة للعاملات .. وما يؤخذ باسم المصالح
العامه ينهب ، ويصرف في مصالح خاصة .. وبعد ذلك فلك أن تضر
وتجحف ولك أن تسمح وتسخو .. لا شأن للقوانين بهذه الناحية .
إذا : فهل اعتناء الاسلام بالطاقة المالية خير ، ام اعتناء القوانين
والمبادئ ؟ .

والطاقة الزمانية :

يضع الاسلام لصرفها انظمة وداياتير ، حتى لا تصرف هباءً ولا تستعمل
في غير الصلاح . مثلاً : صرف هذه الطاقة بالبطالة والترهل ، في الحفلات
الحمرء .. وما اليها .. محظور ، كما لا يبدد الاسلام هذه الطاقة ، في ساحات
المحاكم ، ومكاتب المحامين ، ودور أصحاب الوجاهة ، لانقاذ الحقوق من
المغتصبين... وهكذا ... فإن الاسلام وضع دساتير لحسم الخصومات وما
اليها ، بكل سرعة وبساطة .. وهكذا .. وكذلك عدم صرف هذه الطاقة
للكد على العيال ، وإصلاح ذات البين ، والسعي في الحوائج .. وما اليها ..
مرغوب عنه في الاسلام .

وفي كل ذلك تخالف القوانين الوضعية والمبادئ وما اليها .. الاسلام
- كما هو واضح - فهل الاسلام وجهه الطاقة الزمانية خير توجيه أم غيره ؟
هذا نزر يسير من الكلام حول الطاقة والنشاط .. وإنه كيف يصرّفها
الاسلام في الخير والصلاح دون غيره .. نكتفي بهذا المقدار في هذا الكتاب ..

الحيوان والنبات

الاسلام يعطف على كل ذي روح ، انساناً كان ام حيواناً ، ام نباتاً ، عطفاً خاصاً ، ويحوظهم بمعنايته ورعيته ، ويكلامهم بفضله ورحمته .
اما الانسان فعطف الاسلام عليه واضح لا غبار عليه ، وقد تقدم شطر منه .

واما الحيوان والنبات ... فالاسلام يوصي بهما خيراً ويؤكد تعاهدهما بما يزدهر معه الحياة، وتتقدم معه الأحباء ، بالاضافة الى ان ذلك من مقتضيات تحنن الاسلام ورحمته الشاملة لكل حي وإن كانت حياته فاقدة للحس والحركة .
أما الحيوان : فهو في ظل الاسلام في رفاه وراحة ، واعتناء وخدمة ، ولم لا يكون كذلك ؟ أليس هو يحس ويتألم ، ويحوج ويعطش ، ويدرك بعض الامور ؟

وقد بلغ من عطف الاسلام بالحيوان : انه جعل النفقة عليه كالصدقة في الثواب ، وندب الى العناية به عناية تامة .

روى الصدوق (قده) عن رسول الله ﷺ ، قال : (الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة ، والمنفق عليها في سبيل الله كالباسط يده بالصدقة لا يقبضها) .

وروى الحسن بن الحسين العلوي ، قال : قال ابو الحسن (ع) : (من حروة الرجل ان يكون دوابه سمناً) .

وروى اسماعيل بن ابي زياد ، عن الصادق عن آبائه عليهم السلام ، قال : قال رسول الله ﷺ : (للدابة على صاحبها خصال : يبدأ بعلقها اذا نزل ، ويعرض عليها بالماء اذا مر به ، ولا يضرب وجهها فإنها تسبح بحمد ربها ، ولا يقف على ظهرها إلا في سبيل الله ، ولا يحملها فوق طاقتها ، ولا يكلفها من المشي إلا ما تطيق) .

والانسان يكاد يدهش من هذه التعاليم الرحيمة - وإن كان لا يدهش ، اذا كان التعلم من الاسلام الرؤوف العطوف - واذا قيس مثل هذا التعلم ، بما يفعله الانسان المتمدن (هكذا !) في القرن العشرين ، بالنسبة الى إنسان حثله ، من القسوة والفظاظة ، تجلّت له روعة الاسلام ، وأيقن حقاً انه دين الكون ، الذي لا استقامة له إلا به .

في الأخلاق والآداب، العدد الثالث من السنة الثانية ، (ص ٥٢) :
(لا يزال البيض يصيدون الزوج القاطنين في الآجام والغابات بالرصاص) .

ويقول غاندي : (إن حكام البلاد والمستعمرين عموماً ، يعاملوننا كالبهائم ، لأن الهنود في فقرهم كأوساخ آسيا ، أو كأرانب كثيرة العدد ، عديمة القيمة ، حتى ان احد خطباء الانكليز في دوربان قال : (إنه يأسف لعدم تمكنه من اصطياد هؤلاء الهنود وقتلهم ، كما يصطاد الأرانب ويقتلها) (١) .

ليس هذا فحسب ، بل يكره الاسلام ، وسم وجوه الدواب ولعنها ... وأكثر من ذلك : انه يكره ضرب الدابة - على الاطلاق - وربما هدد الضارب بالقصاص يوم القيامة .

(١) أنظر (غاندي) أعلام الحرية ، عدد ١١ ص ٤٨ - ٤٩) .

روى الامام الصادق ، عن آباءه عليهم السلام قال : (نهى رسول الله ﷺ عن ضرب وجوه البهائم ، ونهى عن قتل النمل ، ونهى عن الوسم في وجوه البهائم) .

وقال الامام أمير المؤمنين عليه السلام في الدواب : (لا تضربوا الوجوه ، ولا تلعنوها فان الله عز وجل لعن لاعنها) !

قال علي : (حججت مع علي بن الحسين عليهما السلام ، فالتأثت عليه الناقة في سيرها فأشار اليها بالقضيب ، ثم قال : آه ... لولا القصاص ! ورد عليه يده عنها) .

هذا حال ضرب الحيوان ! وأكثر من ذلك : أن الاسلام يكره أن يقال لها كلمة بذيئة ولو لم تكن سباً . قال رسول الله ﷺ : (اذا عثرت الدابة تحت الرجل ، فقال لها : تعست ، تقول : تعس أعصانا للرب) .

ومن عطف الاسلام على الدابة ، انه نهى عن ركوب ثلاثة عليها ، لأن ذلك يؤذيها ، كما انه أمر بتنظيفها وتنظيف محلها ، وجعل من الصدقة إطعامها وسقيها .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : قال رسول الله ﷺ : (لا يرتد ثلاثه على دابة ، فان احدم ملعون) .

وروى عبدالله بن سنان ، عن أبي عبدالله (ع) ، قال : قال رسول الله ﷺ : (نظفوا مراتبها ، وامسحوا رغامها) .

وروى معلى بن خنيس ، عن أبي عبدالله الصادق (ع) في حديث : (انه خرج ومعه جراب من خبز ، فأثينا ظلة بني ساعدة ، فاذا نحن بقوم نيام ، فجعل يبدس الرغيف والرغيفين ، حتى أتى على آخرهم ، ثم انصرفنا ، فقلت : جعلت فداك يعرف هؤلاء الحق ؟ فقال : لو عرفوه بالدقة ، والدقة الملح .

ثم قال : ان عيسى بن مريم عليهما السلام ، لما مر على شاطئ البحر ،

رمى بقرص من قوته في الماء، فقال له بعض الحواريين : يا روح الله وكلمته، لم فعلت هذا ؟ وإنما هو شيء من قوتك ! فقال: فعلت هذا ، لدابة تأكله من دواب الماء ، وثوابه عند الله عظيم) .

وروى ضريس بن عبد الملك ، عن أبي جعفر (ع) قال : (ان الله تعالى يحب ابراد الكبد الحراء ، ومن سقى كبداً حراء ، من بهيمة او غيرها، أظله الله في ظل عرشه ، يوم لا ظل إلا ظله) .

وفي الحقيقة: ان ديناً يهتم بالحيوان الصامت هذا الإهتمام؛ حتى انه يكره سبه ، ويجعل لسقيه وإطعامه أجراً ... لعظيم ... وهل يجد الشخص ، في القوانين الوضعية، والمبادئ الأرضية، والأديان المزيفة ، مثل هذه الانسانية الرقيقة ، التي تكاد تسيل شفافية وعضوبة ؟

نعم : تجد في القوانين الوضعية « أن الانسان - لا الحيوان - بمنزلة آلة بسيطة في العمل ! وما قيمة آلة بسيطة ؟ ان كان هذا حال الانسان ، فما ترى قيمة الحيوان ؟

وتجد فيها : ان قتل ثلاثة ارباع العالم شيء هين !

وتجد فيها : ان قتل مليونين لأجل سيطرة (ديفول) أمر بسيط .

وتجد ... وتجد ...

فهل يبقى من شك، في اصلحية الاسلام للقيادة العالمية، من هذه القيادات؟ وأليس من يعطف على الحيوان اولى بالزعامة ممن لا يعطف على الإنسان؟

ولا بد هنا ان نقف قليلاً، امام تشريع الاسلام ذبح الحيوان فإنه قساوة بالنسبة اليه - على ما زعمه المعري وبعض حكماء الهند - أليست المذاهب النباتية اصلح من هذا التشريع ؟

ولكن ... لنا ان نقول في رد هذه المزعة :

هل يتمكن المعري ومن اليه ان يقطعوا بأن موت الحيوان اخف وطأة عليه من ذبحه ؟

ان قالوا : نعم ، سألتناهم ثانياً ، من اين هذا القطع ؟ وما هو الدليل ؟ وان قالوا : لا ، فلعل الاسلام إنما عرف اسهلية الذبح من الموت ، ولذا شرع الذبح ، وفيه خير للانسان ، وللحيوان معاً ، اما الانسان فلأنه يتمتع بلحومها وشحومها ... واما الحيوان ، فلأنه ينقذ من عذاب اكبر - وهو الموت - بتمذيب اخف وهو الذبح ؟

وهنا سؤال يفرض نفسه ، وهو : فليكن الانسان كذلك ، فلماذا لا يجوز قتله ؟

والجواب واضح جداً :

إن الحيوان ايس له إدراك الانسان ، وليس له اختيار الانسان ، وليس له عمران الأرض ودفع الحياة الى الأمام. فهو باختياره وإدراكه ، يريد إيقاع هذا الألم عن نفسه ، ولو كان تفادياً عن ألم اشد - فرضاً - بالإضافة الى ان بقاءه سبب لتقدم الحياة ، وازدهار العمران ... كل ذلك بخلاف الحيوان ، فليس له إدراك واختيار ، وبذبحه تتقدم الحياة .
فالفارق بينهما كبير ... وكبير جداً .

ولنا ان نتساءل - اصحاب النبات - اخيراً : أليس النبات روح ؟ فما المبرر لإزهاق روحه؟ وهل تقيمون دليلاً على ان الروح الذي يعتز به النبات ، اقل خطراً عنده من الروح الذي يعتز به الحيوان ؟ وأليس هناك حكماء يتحرجون حتى عن إيذاء النبات وسلب روحه ؟ فالجواب الذي تردون به احتجاج اصحاب النبات : هو الجواب عن احتجاجكم انتم اصحاب الحيوان .

نعم لقد ندب الاسلام الى آداب - حول ذبح الحيوان واصطياده - تقليداً للأذية مهما امكن ، وتحريماً لراحة الحيوان ، وتخفيفاً من شعوره بالألم الكثير ... وهذه المندوبات خاصة بالاسلام فلا تجسد مثلها في اي دين او مبدأ او قانون .

فمن ذلك : انه كره ان يذبح حيوان في منظر آخر وشرطه أن يكون الذبح بالحديد لكونه اسرع ، وندب الى إرسال الحيوان بعد الذبح لحقة التزع ، وان تكون الشفرة حادة ... وغيرها ... كما كره الاصطياد بالليل ، وإيذاء الحيوان بأن يعرّقب ، وقتل الحيوان عبثاً ... الى غير ذلك .

روى إبراهيم ، عن الصادق (ع) ، انه قال قال امير المؤمنين : (لا تذبح الشاة عند الشاة ، ولا الجزور عند الجزور ، وهو ينظر اليه) .

وقال محمد بن مسلم ، سألت ابا جعفر (ع) ، عن الذبيحة بالليطة (قشر القناة وكل شيء له صلابة ومتانة المؤلف) وبالمروة ؟ قال : (لا ذكاة إلا بجديدة) .

وسأل حمران بن اعين ابا عبدالله (ع) ، عن الذبح ، فقال : (اذا ذبحت فارسل ، ولا تكتف ولا تقلب السكين لتدخلها تحت الحلقوم وتقطعه الى فوق ، والإرسال للطير خاصة وإن كان شيء من الغنم ، فأمسك صوفه او شعره ، ولا تمسكن يداً ولا رجلاً) .

وروى جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام ، ان رسول الله ﷺ قال : (من ذبح ذبيحة فليعد شفرته ، وليرح ذبيحته) .

وقال الإمام الصادق (ع) : (اذا اردت ان تذبح ذبيحة ، فلا تمذب البهيمة ، احد الشفرة ، واستقبل القبلة ، ولا تنزعها حتى تموت) .

وقال الامام الباقر عليه السلام : (يرفق بالذبيحة ، ولا يعنف بها قبل الذبح ولا بعده ، وكره أن يضرب عرقوب الشاة بالسكين) .

إلى غير ذلك .
وهنا أحكام آخر تتعلق بإيذاء الحيوان ، تكشف عن مدى اهتمام الاسلام
براحة الحيوان ، وأن لا يمس بسوء منها أمكن .

روى عبد الرحمن عن الصادق عليه السلام ، قال : قال رسول الله ﷺ :
(لا تأتوا الفراخ في اعشاشها ، ولا الطير في منامه حتى يصبح ، فقال له
رجل : ما منامه يا رسول الله ؟ قال : الليل منامه ، فلا تطرقه في منامه ،
حتى يصبح ، ولا تأتوا الفراخ في عشه ، حتى يرش ويطير) .

وروى عمار بن موسى عن الصادق عليه السلام ، قال : (خره الخطاف
لا بأس به ، هو بما يؤكل لحمه ، ولكن كره أكله ، لأنه استجار بك ،
وأوى في منزلك ، وكل طير يستجير بك فاجره) .

وروى ابو زياد ، عن جعفر عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال : قال
رسول الله ﷺ : (إذا حزنت على أحدكم دابته - يعني : إذا قامت في ارض
العدو - فليذبحها ولا يعرقها) .

واسمع الى هذين الحديثين ، لتعرف مدى عطف الاسلام على الحيوان
وان الاسلام يجعل قاتل الحيوان - عبثاً - عرضة للعقوبة كما يكره أن يذبح
حيواناً ينتظر من الانسان الخير والرحمة وبهذا المقدار يلاحظ الاسلام
مشاعر الحيوان .

روي القضاعي عن رسول الله ﷺ قال : (من قتل عصفوراً عبثاً ،
جاء يوم القيامة وله صراخ حول العرش : يقول رب ، سئل هذا ، قيم قتلي
من غير منفعة ؟) .

قال محمد بن الفضيل للامام الرضا (ع) : كان عندي كبش سنة
لاضحى به ، فلما اخذته واضبعته ، نظرت إلى فرحته ورققت له ، ثم إنني
ذبحته ؟ قال (ع) : (ما كنت أحب لك ان تفعل ، لا تربين شيئاً من هذا
ثم تذبحه) .

هذا موجز عن احوال الحيوان ، في ظل الاسلام ، وانه كيف اعتنى به
عناية لا يماثلها اي مبدأ او دين ... ولنذكر طرفاً من (النبات) في ظل
الاسلام .

والنبات اخو الانسان الأصغر ، بينما الحيوان اخوه الأوسط ، فكل هؤلاء
الاخوة ذوات روح ونمو ، وإن اختلفت الأرواح فروح الانسان يزوده بالنمو
والحس والإدراك ، وروح الحيوان يزوده بالأولين فقط ، وروح النبات يزوده
بالتنمو فقط .

وانا أن نقول : الانسان ذو أرواح ثلاثة ، والحيوان روحان ، والنبات
روح واحدة .

وإذ يكون للنبات روح فقد حث الاسلام على رعايته حثاً بليغاً .

روى أمير المؤمنين عن النبي ﷺ ، انه قيل له : (يا رسول الله ، فأبي
المال خير ؟ الى أن قال : (الراسخات في الوحل ، المطعمات في الجهل ، نعم
المال النخل) .

وعن رسول الله ﷺ ، أنه قال : (ما من مسلم يغرس غرساً ، أو يزرع
زرعاً ، فبأكل منه انسان أو طير أو بهيمة ، إلا كانت له به صدقة) .
وروى أبو أيوب الأنصاري ، عن النبي ﷺ ، أنه قال : (من غرس
غرساً ، فأثمر ، أعطاه الله من الاجر قدر ما يخرج من الثمر) .

وروى ابن ابي جمهور - في درر اللآلئ - عن النبي ﷺ ، أنه قال : (إن
قامت الساعة وفي يد أحدكم الفسيلة ، فإن استطاع ان لا تقوم الساعة حتى
يقرسها ، فليقرسها) .

وروى جعفر بن أحمد ، عن الصادق عليه السلام ، أنه قال : (ما في الأعمال
شيء أحب الى الله تعالى من الزراعة) .

ولم كل هذه التأكيدات ؟ لأن الزراعة إحياء وعمل .. والاسلام يحب إحياء كل ذي روح ولو كان نباتاً ، كما يحب العمل ، ولا غرابة بعد ذلك في حديثي ابن أبي جهور وابن احمد .

ثم انظر إلى عطف الاسلام نحو النبات وهل ترى بعد ذلك من مزيد ؟
روى ابو سعيد الخدري ، عن النبي ﷺ - في حديث - قال : (من سقى طلحة او سدره فكأنما سقى مؤمناً من ظمأ) .

وروى ابن مضارب عن الصادق ، (ع) ، قال : (لا تقطعوا الثمار ، فيصب الله عليكم العذاب صباً) ... لكن العلماء حملوا هذا الحديث على الكراهة ، جمعاً بينه وبين غيره ، مما يدل على الجواز .

وروى عمار بن موسى عن ابي عبدالله (ع) ، قال (مكروه قطع النخل) ومن احترام الاسلام للنبات : انه جعله - في الحرم - بأمن ، كما جعل الحيوان في الحرم كذلك .

روى حريز عن ابي عبد الله (ع) ، قال . كل شيء ينبت في الحرم ، فهو حرام على الناس اجمعين .
إلى غير ذلك

هذه نبذة من احوال الحيوان والنبات في ظل الاسلام .
فهل تجد نحو ذلك في اي دين او شريعة ، او مبدأ او قانون ؟ .
اما المبادئ والقوانين ، فدع عنك ذكرها ، انها وجدت لاستغلال الناس واستعبادهم واستئثار البلاد واستعمارها ، وقد رأيت نموذجاً منها - فيما سبق - كالقوانين التي تبيح قتل مليونين ! وقتل ستة ملايين . ! وقتل وتشريد اثنين وعشرين مليوناً ! ! وغيرها .. وغيرها .

واما الأديان . فلننقل إليك نص (الكتاب المقدس ا) الذي هو مرجع اليهود والنصارى اشهر اديان العالم ، حتى تعرف الفرق بين الاسلام ، وبين سائر الأديان - ولا اقصد دين الله ، فإنه لطيف بعباده بل ديناً يقولون عنه انه دين سماوي ، واليك النص :

انظر :

(التثنية) (الاصحاح العشرون) (من الآية الثالثة عشرة) .

(وإذا دفعها الرب الهك إلى يدك ، فاضرب جميع ذكورها بجد السيف ،
وأما النساء والأطفال والبهائم ، وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغتنمها
لنفسك ، وتأكل غنيمة اعدائك التي اعطاك الرب الهك ، هكذا تفعل بجميع
المدن البعيدة منك جداً ، التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا ، واما مدن
هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب الهك نصيباً ، فلا تستبق منها نسمة ما ،
بل تحرمها تحريماً الحثيين ، والأموريين ، والكنعانيين ، والفرزيين ، والحويين
واليبوسيين) .

النكاح

الزوجان نواة البشرية ، فلا يتكون الانسان إلا من زوج وزوجة ، إلا أن يشاء الله غير ذلك كما في بدء الخلق : آدم وحواء عليهما السلام ، وكما في الرسول العظيم : المسيح عليه السلام . والنواة اذا لم تجد الرعاية الكافية ، لم تثمر الثمر الشهي ، وكذلك الزوجان ، فإنه اذا لم تتوفر لهما أسباب الحياة ، يكون الاجتماع نكبة ، أفضل منها حياة الوحش ، أما الأولاد وازدهار الحياة بالتعاون ، فيكون حينذاك من أساطير القصاصين .

والاسلام يعرض الحصر كله في إسماعد الزوجين كموضوع وكوسيلة ، فالسعادة للبشر هي المطلب الأول لكل بشر ... ثم سعادة الزوجين وسيلة لحياة الأولاد في رغد وهناء . ولذا يقرر الاسلام ابتداء التكافؤ بين الزوج والزوجة ، ومرجعها الى الروحية أكثر من المادية : فيلزم ان يكون الزوجان متقاربين في العقائد ، حتى ان المسلم لا ينكح مشركة ، والمشركة لا تنكح مسلماً .

قال تعالى : [ولا تنكحوا المشركات ، حتى يؤمنن ، ولأمة مؤمنة خير من مشركة ، ولو أعجبتكم ، ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ، ولعبد مؤمن خير من مشرك ، ولو أعجبكم ، أولئك يدعون إلى النار ، والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه ، ويبين آياته للناس ، لعلهم يتذكرون] .

أما اذا نكح المسلم مشركة ، أو العكس ، فإن الحياة تصبح نكدأ ،
والعيش مستحيلاً ، لأنه كيف ينسجم من يعتقد بمبدأ مع جميع مقوماته ولوازمه ،
مع من يخالفه في جميع تلك المعتقدات - اللهم إلا ان ينسلخ احدهما عن
مبادئه ، وينخرط في مبدأ الآخر - ولذا ترى الأمم الى يوم الناس هذا يصيغون
قوانين وأنظمة لهذه الغاية ، وكان بعض الدول وضعت قوانين لعدم الاعتراف
بهذه الناحية ، فاسفرت القوانين عن احد امرين : إما جمع الزوجين على صعيد
(اللادينية) وهو صعيد موحد ايضاً ، وإما ولادة مشاكل حمة نكدت حياة
الزوجين فانجرت الى الطلاق والشقاق ! .

وبعد اشتراط التكافؤ العقيدي ، يضع الاسلام قوانين للتكافؤ الخلقي
والمادي .

قال علي بن مهزيار : كتب علي بن اسباط الى أبي جعفر عليه السلام ، في امر
بناته ، وانه لا يجحد احداً مثله ، فكتب اليه ابو جعفر (ع) : فهمت ما
ذكرت من امر بناتك ، وانك لا تجحد احداً مثلك ، فلا تنظر في ذلك رحمة
الله ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : (إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه
فزوجوه ، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) .

وقال الحسين بن بشار الواسطي : كتبت الى ابي جعفر (ع) أسأله عن
النكاح ؟ فكتب الي : (من خطب اليكم فرضيتم دينه وامانته فزوجوه ، إلا
تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)

وروى محمد بن الفضيل عن ابي عبد الله الصادق (ع) قال : (الكفو :
ان يكون عفيفاً ، وعنده يسار) .

كما ان الاسلام ينفي الفروق القبلية والاقليمية وما اليهما ، فالمسلم كفو
المسلم ، مهما كانت صبغة احدهما ، وإن كان الزوج او الزوجة ، دنيئاً في نفسه ،
او سافلاً في حربه .

عن امير المؤمنين علي (ع) ، قال : قال رسول الله (ص) : (إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه ، قلت : يا رسول الله ، وإن كان دنياً في نفسه ؟ قال : إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه ، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) .

خلق حسن ، وعقيدة صحيحة ، ويسار ... فهل بعد هذه شيء ؟ أما ان الزوج من اي قبيلة ! او هل يحمل شهادة ؟ او من كان ابوه ؟ او ما اشبه ... فأمور لا دخل لها في الحياة والعيش ... ولهذا العلة نفسها ينهي الاسلام عن تزويج سيء الخلق او مشوه الخلق ، او الأحمق او المجنون او شارب الخمر ، فإن الزواج ينقلب حينئذ عذاباً ، والعيش صعباً .

قال الحسين بن بشار الواسطي : كتبت الى ابي الحسن الرضا (ع) : (إن لي قرابة قد خطب إلي وفي خلقه سوء ؟ قال : لا تزوجه إن كان سيء الخلق) .

وعن الصادق (ع) ، قال : قال امير المؤمنين : (إياكم ونكاح الزنج ، فإنهم خلق مشوه) .

وعن ابي عبد الله (ع) ، قال : قال امير المؤمنين (ع) : (إياكم وتزويج الحقاء فإن صحبتها بلاء ، وولدها ضياع) .

وعن محمد بن مسلم ، عن ابي جعفر (ع) ، قال : (سأله بعض أصحابنا عن الرجل المسلم ، تعجبه المرأة الحسناء ابصالح له ان يتزوجها وهي مجنونة ؟ قال : لا) .

وعن ابي عبد الله (ع) ، قال : قال رسول الله (ص) : (شارب الخمر لا يزوج اذا خطب) . وقال الصادق (ع) : (من زوَّج كريمته من شارب الخمر ، فقد قطع رحمتها) .

وبهذه الكيفية يضع الاسلام أول لبنة حياة سعيدة : زوجان عاقلان كاملان... والزوج ذو يسار وليس بسبيء الخلق ولا مشوه الخلق ولا شارب الخمر، حتى يعربد ويؤذي اهله ، وأحياناً يفعل ما لا يحمد عقباه ، مما يعرفه الجميع .

وهذا هو الميزان الوسط للحياة الزوجية الرفيعة ، اما ان تكون الزوجة جميلة او ثرية ، او يكون الزوج ذا شهادة مدرسية او من بيت رفيع ، او ذا ثروة واسعة ، فإنها لا تحقق الحياة السعيدة ، ولذا نرى أناساً في هذه الأزمنة يبتغون هذه الامور، واذا بالزواج اخذ في القلة ! واذا حصل الشخص على ما يريد ، يصبح العيش بعد ايام قلائل من اصعب الامور .

وهذا ليس معناه ان الاسلام ، لا يعرف الجمال ، او يمنع عن تزويج الفقير ... بل بالعكس فالجمال عند الاسلام محبوب (ان الله جميل يحب الجمال) ، ففي الحديث عن الصادق (ع) قال : (المرأة الجميلة تقطع البلغم ...) ، وفي حديث آخر قال (ع) قال : (اذا اراد احدكم ان يتزوج فليسال عن شعرها ، كما يسأل عن وجهها ، فان الشعر احد الجمالين) . وفي الفقير يقول القرآن الحكيم : [وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامانكم ، ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ، والله واسع عليم] . وإنما يضع الاسلام الخطوط الأصلية للزواج السعيد وهو ما توفر فيه حسن العقيدة والحق والعمل والوجه ، وعدم قلة العقل واليسار، وفي ظل مثل هذا الزواج يمكن للزوجين ان يعيشا في هناء ورفاه ... اما في ظل الثروة والشهادة والجمال والوظيفة وما اشبه ... فأجدر بالحياة ان تكون نكدأ ، والعيش ان يكون تمسأ .

ولو قارن الشخص بين الزواج الذي كان يتم في ظل الاسلام ، قبل نصف قرن مثلاً ، وبين الزواج الذي يتم في هذا اليوم لرأى الفرق جلياً والبون شاسعاً ، فكل عشر زيجات لا بد وان يقع فيها خمس قضايا طلاق ، مع

ارتفاع في النسبة او المحطاط كلما كان الزواج اقرب الى المدينة الغربية ...
او إلى المبادئ الاسلامية .



وليس كل سبب لنكد العيش في هذه الأزمنة منوطاً بعدم انتقاء الزوجين ،
وإنما يرجع شطر كبير منه إلى عدم كون المعاشرة بين الزوجين على الطريقة
الاسلامية ، إذ لا يكتفي الاسلام بالرباط الحسن - كما سبق شطر منه -
وإنما يرعى الاسلام الزوجين بعد الزواج رعاية دقيقة ، حتى يسعدا في
حياتهما الجديدة ، ولهذا الغاية يشرع قوانين ويضع أنظمة ، يجمعها قوله
تعالى : [فإمساك بمعروف او تسريح بإحسان] .

فالعادلة يلزم مراعاتها بين الأزواج لمن له زوجات : (فانكحوا ما
طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة) .
ونحش المرأة عن الخلاعة والاستهتار والتبرج ، لئلا يطمع فيها طامع ،
ولا تطمع هي في رجل آخر ، واجب محتم : [ولا تبرجن تبرج الجاهلية
الأولى] [وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ، ولا
يبدين زينتهن إلا لبعولتهن] .

عن أبي عبدالله (ع) ، في رسالة أمير المؤمنين (ع) إلى الحسن (ع) :
(لا تملك المرأة من الأمر ما يجاوز نفسها ، فإن ذلك أنعم لحالها ، وأرخص
لبالها وأدوم لجمالها ، فإن المرأة ريحانة ، وليست بقهرمانه ، ولا تعد
بكرامتها نفسها ، واغضض بصرها بسترها واكفها بحجابك ، ولا تطمعها
أن تشفع لغيرها ، فيميل من تشفعت له عليك معها ، وابق من نفسك بقية ،
فإن إمساكك عنهن وهن يرين انك ذو اقتدار ، خير من أن يرين حالك
على انكسار) .

أما تزيين الزوجة بما يجلب النظر ، والخروج معها سافرة متبرجة الى الشوارع والملاهي ، والسينما والمجامع .. أو ارسالها إلى المدارس والمعاهد ، فان ذلك ليس معناه إلا إيجاد نكد مستمر في الحياة الزوجية ، فانها لو رأت أترابها احسن ثروة ، او اكثر زينة : لطلبت من الزوج ذلك ، وليس كل إنسان يقدر على استجابة شهوات النساء ، فلا بد وأن ينكد العيش ، بالإضافة إلى ما يجره مثل هذه الأعمال من المشاكل الجنسية ، التي كثيراً ما تذهب بشرف العائلة وتاموسها إلى الأبد ، وهذا ما وقع فيه المجتمع المتمدن !

وأقل تصفح للعوائل المتحضرة ، كافٍ للوقوف على مدى النكد الذي يسود العوائل في الناس هذا ، ولذا يزداد الطلاق كثرة يوماً بعد يوم .. بالعكس من النكاح الذي يقل يوماً بعد يوم .



وبعد العدالة والتحصن ، يأتي دور النفقات وحسن المعاشرة .

فالاسلام يوجب على الرجل القيام بنفقات المرأة ، من مآكل وملابس ومسكن .. حسب العرف والوسط ، لا إسراف ولا تقتير . قال اسحاق ابن عمار : قلت لأبي عبد الله (ع) : (ما حق المرأة على زوجها الذي إذا فعله كان محسناً ؟ قال (ع) : يشبعها ويكسوها ، وان جهلت غفر لها) . وقال يونس بن عمار : زوجني ابو عبد الله (ع) جارية لابنه اسماعيل ، فقال : (أحسن اليها ، قلت : وما الاحسان ؟ قال : اشبع بطنها وأكس جثتها ، ثم قال : اذهبى وسطك الله ما له) . وروى محمد بن مسلم عن أبي عبد الله الصادق (ع) قال : قال رسول الله (ص) : أوصاني جبرائيل بالمرأة ، حتى ظننت لا ينبغي طلاقها إلا من فاحشة مبينة .

وأما حسن العشرة ، فالاسلام يحرص عليه بالنسبة إلى عامة الناس (وقولوا للناس حسناً) فكيف بالزوجين ؟ . عن أمير المؤمنين (ع) :

(.. فإن المرأة ريعانة ، وليست بقهرمانة ، فدارها على كل حال ،
واحسن الصحبة لها ليصفو عيشك) .

وقال الإمام الصادق (ع) : (رحم الله عبداً أحسن فيما بينه وبين
زوجته ، فإن الله عز وجل قد ملكه ناصيتها ، وجعله القيم عليها) .

وقال (ص) : (عيال الرجل أسراؤه ، وأحب العباد إلى الله عز وجل
أحسنهم صنعاً إلى أسرائه) .

أما سوء الخلق مع الزوجة ، أو ضربها .. فما يحذر الإسلام عنه أشد
تحذير ، ولقد تعجب نبي الإسلام (ص) عن من يضرب زوجته ثم يعاشرها
معاشرة الأزواج ! قال (ص) : (أ يضرب أحدكم المرأة ثم يظل معانقها ؟)
كيف والإسلام لا يرضى أن يبیت الرجل عند غير أهله ، فقد قال
رسول الله : (هلك بذی المروة أن يبیت الرجل عن منزله بالمصر الذي
فيه أهله !) .

هذا .. وعشرات المئات من الأحاديث الأخر .. في طرف المرأة .



أما في طرف الرجل ، فالإسلام يضع لرفاهه حدوداً وقوانين فمن
الصادق (ع) : قضى رسول الله على فاطمة (ع) بخدمتها ما دون الباب ،
وقضى على علي (ع) بما خلفه (١) .

وعنه (ع) ، قال : (.. أيما امرأة خدمت زوجها سبعة أيام ، أغلق
الله عنها سبعة أبواب النار وفتح لها ثمانية أبواب الجنة تدخل من أيها شاءت) ،
وقال (ع) : (ما من امرأة تسقي زوجها شربة من ماء إلا كان خيراً لها
من عبادة سنة : صيام نهارها ، وقيام ليلها) .

(١) يعني ان على الرجل إدارة الحياة الخارجية وعلى المرأة إدارة الشؤون المنزلية ...

وقال (ع) : (أيما امرأة باتت وزوجها عليها ساخط في حق ، لم يتقبل
حناها صلاة ، حق يرضى عنها) إلى غير ذلك .

وبمثل هذه الأنظمة والداستير حصن الاسلام الزواج والزوجين من
الانهيار ، نكاح صحيح ، وعشرة كريمة ... ونفع مثل هذا الزواج وهذه
العشرة مزدوجة ، إذ كما يعيش الزوجان في ظل رعداً مرفهاً ، كذلك يقدم
سائر الناس من العزاب على الزواج ، بخلاف العكس ، فإنه لو رأى الفتى
او الفتاة ، أن اترابهم وقعدوا في حجم مقيم من جراء الاقتران ، فرآوا من
النكاح اميالاً ، وبالأخص اذا هباً لها المجتمع الاستمتاع الخالي عن الكلفة
والمسؤوليات ، بفتح المواخير ، والملاهي ، والسينمات ، والمدارس والمساح
المختلطة ، فلماذا إذن ... يقاسي الفتى مشقات الزواج ، وهو يقدر على
اشباع نهمته من الشارع والملهى ؟ . انه اذاً لجنون ! وكذلك الفتاة .

ولذا نرى في المجتمع الغربي تقل نسبة النكاح ، حتى وصلت الى ستة
في الألف ، وبالعكس زادت نسبة الطلاق ، حتى وصلت الى خمس وسبعين
في المائة ! .

والاسلام فقط ، بإمكانه ارجاع النكاح السعيد الى المجتمع أما الانظمة
الغربية والشرقية فلا تزيد الأمر إلا صعوبة واعضالاً .

العائلة

تتكوّن العائلة من أب وأم وأولاد واصهار واحفاد .. والعائلة في ظل الاسلام فقط ، تسعد وتعيش في رفاه وبلهنية بما وضعه الدين من قوانين لسعادتها ، فهو أول ما يهتم بانتقاء زوجة صالحة لثلا يسري إلى الولد ما بها من خلق سيء ، اذا كانت الزوجة غير صالحة .

قال الامام الصادق (ع) : قال النبي (ص) : (اختاروا لنُطَفِكُمْ ..) وفي حديث آخر قال (ص) : (انكحوا الأكفاء وانكحوا فيهم ، واختاروا لنطفكم) .

أما اذا اختار الانسان امرأة سيئة الخلق ، او مريضة الجسم او دنيسة الأصل كولد الزنا ، فإنها لا بد وان تسري الى الولد ، ولذا يحرص الاسلام على اختيار الزوجة . قال ابراهيم الكرخي لأبي عبد الله (ع) : ان صاحبتي هلكت وكانت لي موافقة وقد هممت أن أتزوج ؟ . فقال لي : (انظر أين تضع نفسك ومن تشركه في مالك ، وتطلعه على دينك وسرك ، فان كنت لا بد فاعلا ، فبكرأ تنسب إلى الخير ، وإلى حسن الخلق ..) .

ثم بعد ذلك يأتي دور الرضاعة - بالغض عن ادب المباشرة والمحل والولادة - وهنا يضع الاسلام قوانين للرضاع ، حتى ينشأ الولد صحيح الجسم ، سليم العقل ، مكتمل القوى ، فيكره استرضاع اليهودية والمجوسية

والنصرانية وولد الزنا ، وإن كان لا بد فلتسني اليهودية والنصرانية عن
أكل لحم الخنزير وشرب الخمر .

سأل علي بن جعفر عن أخيه موسى (ع) : عن الرجل هل يصلح له
أن يسترضع اليهودية والنصرانية ، وهن يشربن الخمر ؟ قال : (امنعوهن
عن شرب الخمر ما ارضعن لكم) . وفي حديث آخر : (وتمنعها من شرب
الخمر ، وما لا يحل ، مثل لحم الخنزير) .

بل أكثر من ذلك : أن لا يكون في المرضعة مرض عقلي او جسمي ،
روى الامام الرضا عن آبائه عليهم السلام ، قال : قال رسول الله (ص) :
لا تسترضعوا الحقاء ، ولا العمشاء ، فان اللبن يعدي .

وقال أمير المؤمنين (ع) : (تخيروا للرضاع ، كما تخيرون للنكاح ،
فان الرضاع يغير الطباع) :

ولا هذا فحسب ، بل يستحب أن يسترضع الانسان لولده امرأة حسناء ،
حتى ينشأ نظراً جميلاً !! قال محمد بن مروان ، قال لي أبو جعفر (ع) :
(استرضع لولدك بلبن الحسان ، وإياك والقبحاء ، فان اللبن قد يعدي) .
وفي حديث آخر ، قال الامام (ع) - لزواره - : (عليكم بالوضاء من
الظثورة ، فان اللبن يعدي) .

ثم بعد ذلك ، يأتي دور التسمية والتربية والتعليم ، والزواج الحسن :
قال الصادق (ع) : قال رسول الله (ص) : استحسنوا اسماءكم ،
فانكم تدعون بها يوم القيامة .

وروى موسى بن بكير عن أبي الحسن (ع) قال : (أول ما يبر
للرجل ولده : أن يسميه باسم حسن ، فليحسن احدكم اسم ولده) .
وقد كان من مهام النبي (ص) : (أن يغير الاسماء القبيحة) على ما
يرويه الامام الصادق عن آبائه عليهم السلام .

أتى رجل إلى رسول الله (ص) وقال : يا رسول الله ، ما حق ابني هذا ؟
قال : (تحسن اسمه وأدبه ، وتضعه موضعاً حسناً) . وفي وصية النبي (ص)
لعلي (ع) : (يا علي ، حق الولد على والده : ان يحسن اسمه وأدبه ويضعه
موضعاً صالحاً ، وحق الوالد على ولده : أن لا يسميه باسمه ، ولا يمشي بين
يديه ، ولا يجلس أمامه ، ولا يدخل معه الحمام) .

وقال أمير المؤمنين (ع) : (احمل صبيك حق يأتي عليه ست سنين ،
ثم أدبه في الكتاب ست سنين ..) وقال (ع) : قال رسول الله (ص) :
علموا أولادكم السباحة والرمية ، وقال (ع) : لان يؤدب أحدكم ولده ،
خير له من أن يتصدق بنصف صاع كل يوم ، وقال (ع) : (اكرموا
أولادكم ، وأحسنوا أديهم ، يغفر لكم) وقال (ع) : (من حق الولد
على والده ثلاثة : يحسن اسمه ، ويعلمه الكتابة ، ويؤوجه إذا بلغ) .

وإذا نشأ الولد هكذا ، فإنه لا بد وأن يبرّ أبويه ، ويحسن عشرة
اخوانه واهله ، وبذلك يظلل على العائلة رفاه ومودة وهدوء واطمئنان ،
فينتفع الوالدان بولدهما ، كما ينتفع الولد بوالديه ، أما المدنية الحديثة التي
تكفر بكل هذه القيم ، فيسود في ظلها على العوائل تفسخ اخلاقي ، وانحراف
سلوكي ، وبغض وشحناء عوض الحب والود ، ولا يحتاج هذا إلى دليل أزيد ،
من أن ننظر إلى عائلتين احدهما ملتزمة بموازين الإسلام ، في الزواج والرضاع
والتربية ، واخرجهما متمدنة بالمدنية الغربية ! ومثل هاتين العائلتين كثيرة
الوجود في البلاد الإسلامية ، التي سيطر عليها الكفار المستعمرون ، ففجروا
من معالمها ما قدروا ! فترى الأولى تعيش في النعم ، والاخرى تشقى
في الجحيم !

وليس ما ذكرناه من آداب الأولاد - الإسلامية ، هي السبب الوحيد
للسعادة ، فإن هناك اموراً اخرى مؤثرة في التربية كالبديهة والمحيط والمدرسة ،

وما إليها ، مما عاجلها الإسلام معالجة حسنة ، كما أن من الأسباب ، الارشادات
الاسلامية حول برّ الوالدين وصلة الأرحام ، والقيام بحقوق الأولاد .

قال معمر بن خلاد ، قلت لأبي الحسن الرضا (ع) ادعوا لوالدي اذا
كانا لا يعرفان الحق .؟ قال : (ادع لهما وتصدق عنهما ، وإن كانا حين
لا يعرفان الحق ، فدارهما فان رسول الله (ص) ، قال : ان الله يبعثني
بالرحمة ، لا بالعقوق ، وقال ابو جعفر (ع) : (ثلاث لم يجعل الله فيهن
رخصة اداء الأمانة للبر والفاجر والوفاء بالعهد للبر والفاجر وبر الوالدين
برين كانا أو فاجرين) وروى محمد بن مروان عن الصادق (ع) قال : (إن
رجلا أتى النبي (ص) فقال ! أوصيني : قال : لا تشرك بالله ، وان حرقت
بالنار وعذبت الا وقلبك مطمئن بالإيمان ، ووالديك فاطمهما وبرهما حين
كانا أو ميتين ، وان امراك ان تخرج من اهلك ومالك فافعل ، فان ذلك
من الايمان) الى غير ذلك .

وفي باب صلة الأرحام ، التي هي العروة الثالثة من عرى السعادة
الاجتماعية ، والتي تتجلى اول ما تتجلى في العائلة المكونة من اخوان
وأخوات ، واعمام وعمات ، واجداد وجدات ، واخوات وخالات ،
واقرباء واحفاد ، يقول القرآن الحكيم : [فاتقوا الله الذي تسائلون به ،
والأرحام ، ان الله كان عليكم رقيباً] ، وقال رسول الله (ص) : (لا تقطع
رحمك ، وان قطعتمك) ، وقال أمير المؤمنين (ع) : (اذا قطعوا
الأرحام ، جعلت الاموال في ايدي الاشرار) ، وقال الصادق (ع) :
(اتقوا الخالقة فإنها تميم الرجال) قال الراوي حذيفة بن منصور : قلت :
وما الخالقة ؟ قال (ع) : (قطيعة الرحم) .

وأما القيام بحقوق الأولاد ، فهو كقيام الأولاد بحقوق الابوين ، قال
رسول الله (ص) : (يلزم الوالدين من العقوق لولدهما ، ما يلزم لهما من
عقوقهما) ، وبر الولد في نظر الاسلام يتلو في الرتبة بر الوالدين ، قال رجل

للصادق (ع) : من أبر ؟ قال : والديك ، قال : قد مضيا ، قال :
بر ولدك . وروى الصدوق عن الصادق (ع) انه قال : (بر الرجل يولده ،
بره بوالديه ، وقال (ع) : (ان الله ليرحم العبد لشدة حبه لولده) أما
الولد اذا كان صغيراً فبره أكد ، زوى أبو عبد الله (ع) عن النبي (ص)
انه قال : (أحبوا الصبيان ، وارحموم ، واذا وعدتموهم شيئاً ، ففوا لهم ،
فإنهم لا يرون الا انكم ترزقونهم) ، وروى كليب الصيداوي ، قال :
قال لي أبو الحسن (ع) : (اذا وعدتم الصبيان ، ففوا لهم ، فإنهم يرون
انكم الذين ترزقونهم ، ان الله عز وجل ليس يغضب لشيء كغضبه للنساء
والصبيان) .

وهكذا يربي العائلة الاسلام ، ويرعى الوالدين والأولاد والأرحام ،
حتى يسودها الأمن والرفاه ، والسعادة والخير .. وهكذا تنشأ العائلة في
ظل الاسلام .

أما في ظل الكفر : فزوجان لا يتلاثمان ، وأولاد لا يقام بحقوقهم :
فهم من بيت مليء بالمهاترات .. الى روضة اللهو واللعب .. الى مدرسة يكتنفها
كل فكر هدام وإثم والحاد .. ثم تفسخ عائلي ، وانهار اجتماعي !

المتقاربون

تشابك مصالح افراد المجتمع ، بعضهم مع بعض .. ولكن بعضهم اقرب الى الآخر ، من سائر الناس : كالأصدقاء والجيران والشركاء ، والصحب ، ومن اليهم .. وهؤلاء في ظل الاسلام يجبرون في سعادة واخاء ، ومودة وإلفة ، إذ يضع الاسلام قوانين وأنظمة للمبادلة الحسنة بين كل عشير وعشيرته وكل جار وجاره .. وهكذا . وبذلك يتوفر لكل متقارب مع آخر نصيبه من الحب والرفاه ، في ظل اخوة اسلامية ، ومودة انسانية ، وبذلك ترتفع سائر المشاكل التي تقص بها المدن والأرياف من جراء عدم زمالة حسنة .

واقبل نظرة الى المجتمعات التي سادت عليها الروح الغربية كافية لتصديق ذلك ، فترى كل جار يؤذي جاره ، وكل صديق يستغيب صديقه وكل شريك يعادي شريكه .. وهكذا .. وهكذا .. ومن راجع المحاكم هذه الأيام لرأى ان اغلب المنازعات تدور حول المتقاربين على آخر ، إما الفلاح على الملاك او العكس او احد الشركاء على الآخر ، او الجار على جاره ، او صاحب على صاحبه .

والاسلام بآدء ذي بدء يقرر مناهج عامة للمعاشرة لترقيق المواطف ، وإثارة كوامن الضائر نحو الخير والصلاح ، يقول الامام الصادق (ع) - معاوية بن عمار - : (وطن نفسك على حسن الصحابة لمن صحبت :

في حسن خلقك ، وكف لسانك ، واكظم غيظك ، واقل لغوك ، وتغرس عفوك ، وتسخو نفسك) .

وقال ابو الربيع الشامي ، دخلت على أبي عبدالله (ع) والبيت غاص بأهله .. فقال : (يا شيعة آل محمد ، اعلوا انه ليس منا ، من لم يملك نفسه عند غضبه ، ومن لم يحسن صحبة من صحبه ، ومخالفة من خالفه ، ومرافقة من رافقه ، ومجاورة من جاوره ، ومخالفة من مالحه ..) . فالاسلام يجب حسن المخالفة للمخالف ، لا التمدي والتفريط ، كما هو شأن العداوات البشرية واذا كان الاسلام ينظر النظرة الانسانية الى الأعداء ، فكيف بالاخلاء والأصدقاء ؟ .

والصحبة - كما يدل اللفظ - عامة تشمل جميع انواع المقاربة بالشركة كانت او الجوار او السفر او ما اليها ، حتى ان من مشى مع الانسان أربعين خطوة ، فهو في نظر الاسلام صاحب ، يسأل عنه يوم القيامة ، قال مفضل ابن عمر : (دخلت على أبي عبدالله (ع) ، فقال : من صحبك ؟ فقلت : رجل من اخواني ، قال : فما فعل .؟ قلت : منذ دخلت لم اعرف مكانه ، فقال لي : أما علمت ان من صحب مؤمناً أربعين خطوة سأله الله عنه يوم القيامة . !؟) .

والاسلام لا يرضى بمجرد المخالطة المجردة ، التي لا يكون معها ود وتجاذب ، وانما يريد حسن المعاشرة والمقاربة ، حتى تزيد الصلة ، وتستحكم الالفة ، حتى ان امير المؤمنين (ع) ينصح قائلاً : (خالطوا الناس مخالطة ، إن متم بكوا عليكم وإن غبتم حنوا اليكم) وهكذا يسود المتقاربين - في ظل الإسلام - حب وألفة وصدقة .. لا معاشرة جافة ، فضلاً عن التضارب والتهاور .. الذين يسودان العشراء في ظل الكفر .

وبعد وضع الخطوط العامة لرفاه المصطحبين ، بقرّر الاسلام انظمة لكل قسم من المنتقارين.. فالجار يوصي به الاسلام بكل تأكيد ، روى معاوية بن عمار عن أبي عبدالله (ع) قال : قال رسول الله ﷺ : (حسن الجوار يعمّر الديار ، وينسى في الأعمار) وقال إبراهيم بن أبي رجاء ، قال الصادق (ع) : (حسن الجوار يزيد في الرزق) .

وليس معنى حسن الجوار كف الأذى فقط ، او حسن الملاقاة والبشر ، بل أكثر من ذلك ، عن عبدالله الوصافي ، عن أبي جعفر (ع) قال قال رسول الله (ص) : (ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع ، قال : وما من أهل قرية ببیت فيهم جائع ينظر الله اليهم يوم القيامة) .

أما كف الأذى عن الجيران ، فهو اول خطوة يأمر بها الاسلام ، روى طلحة بن زيد عن الصادق (ع) ، انه روى عن ابيه الباقر (ع) ، قال : (قرأت في كتاب علي (ع) ان رسول الله (ص) كتب بين المهاجرين والأنصار ومن لحق بهم من أهل يثرب : ان الجار كالنفس ، غير مضار ولا آثم وحرمة الجار على الجار كحرمة امه) . وعن زرارة عن الصادق (ع) : (إن رسول الله اعطى فاطمة كتاباً ، فإذا فيها : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره ..) وعن الحسين بن زيد عن الصادق عن آباءه عن علي عليهم السلام : ان رسول الله (ص) قال : (من آذى جاره حرم الله عليه ربح الجنة ، ومأواه جهنم وبئس المصير ، ومن ضيّع حق جاره فليس منا ، وما زال جبرئيل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه) .

وليس الجار عند الاسلام الى دار او دارين او ثلاث كما عند العرب ، بل الاسلام يريد توسيع دائرة الالفة والأخوة ، والتعاون والإحسان ، عن عكرمة عن ابي عبدالله (ع) : (... ان رسول الله افاه رجل ، فقال : اني اشتريت داراً من بني فلان ، وان اقرب جيراني مني جواراً من لا ارجو خيره ، ولا آمن شره ، قال : فأمر رسول الله (ص) علياً وسلمان وأبا ذر

— ونسيت آخر وأظنه المقداد — أن ينادوا في المسجد بأعلى أصواتهم بأنه لا إيمان لمن لم يؤمن بحاره بوائقه ، فنادوا بها ثلاثاً ، ثم أومى بيده الى كل اربعين داراً : من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله) ، وقال معاوية ابن عمار للصادق عليه السلام : جعلت فداك ، ما حد الجار ؟ قال : (اربعين داراً من كل جانب) .

أما الصاحب ، ولو في السفر ، فيقرر له الاسلام حقوقاً متبادلة ، حتى يعيشا في صحبتها — ولو كانت قصيرة — في حب وولاء ، عن علي بن الحسين عليهما السلام ، قال : (قال رسول الله ﷺ يوماً لجلسائه : قدرون ما المعجز ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، فقال : المعجز ثلاثة : ان يبدر أحدكم بطعام يصنعه لصاحبه ، فيخلفه ولا يأتيه . والثانية ان يصحب الرجل منكم الرجل او يحالسه ، يحب أن يعلم من هو ؟ من ابن هو ؟ فيفارقه قبل أن يعلم ذلك . والثالثة : أمر النساء ، يدنو أحدكم من اهله فيقضي حاجته ، وهي لم تقض حاجتها) ، وعن الصادق عن أبيه عليهما السلام ، قال : (قال رسول الله (ص) : ثلاثة من الجفاء : ان يصحب الرجل الرجل فلا يسأله عن اسمه وكنيته ، وان يدعى الرجل الى الطعام فلا يجيب ، او يجيب فلا يأكل ، ومواقعة الرجل اهله قبل الملاعبة) .

ويؤكد الاسلام على الرفق بالصاحب ، حتى ان اكثرهما حباً لصاحبه هو الافضل في نظر الاسلام . روى السكوني عن الصادق (ع) ، قال : قال رسول الله (ص) : (ما اصطحب اثنان إلا كان اعظمهما أجراً وأحبهما الى الله عز وجل : ارفقهما بصاحبه) بل واكثر من ذلك : روى مسعدة بن صدقة ، عن أبي عبد الله (ع) عن آبائه عليهم السلام : (ان أمير المؤمنين (ع) صاحب رجلاً ذمياً فقال له الذمي : ابن تريد يا عبدالله ؟ قال : اريد الكوفة ، فلما عدل الطريق بالذمي عدل معه أمير المؤمنين (ع) .. فقال له الذمي : لم عدلت معي ؟ فقال له أمير المؤمنين : هذا من تمام حسن الصحبة : ان

يشيع الرجل صاحبه فنيئة اذا فازقه ، وكذلك امرنا نبينا ..
فاسلم الذمي) .

وفوق ذلك كله : إن الاسلام يحب العدالة بين الأصحاب ، حتى في النظر ،
عن جميل بن دراج عن ابي عبدالله (ع) ، قال : (كان رسول الله (ص)
يقسم لحظاته بين اصحابه فينظر إلى ذا وينظر الى ذا بالسوية ، قال : ولم
يبسط رسول الله رجليه بين اصحابه قط ، وإن كان ليصافحه الرجل ،
فما يترك رسول الله يده من يده حتى يكون هو التارك ، فلما فطنوا لذلك ،
كان الرجل إذا صافحه ، مال بيده فزعاها من يده) .

فهل رأيت انظمة مثل هذه الانظمة ؟ او اخلاقاً مثل هذه الأخلاق ؟
أو هل سمعت بأن ديناً او مبدأ ، يبيء هذا الجو الأخوي الفاضل للناس ؟
نعم : الغرب والشرق يهشان الجو ! ولكن .. الجو العدائي النفعي الانتهازي
الاناني .. ألقِ بنظرك إلى زعمائهما ، ثم إلى الشعوب التي قظلمهم انظمة
الزعماء وقوانينهم ، وتكتنفهم الأجواء الموبوءة المتشعبة بالكبر والغرور
والرذائل .

ومن المؤسف أن عدوى الغرب سرى الى بعض المجتمعات الاسلامية ،
فتحجرت الأرواح بالمادية ، ونضب معين الأخلاق في النفوس ، ولا علاج إلا
برجوع الاسلام إلى كافة مرافق الحياة .

وأخيراً : يقرر الاسلام حقوقاً عامة ، لتوطيد دعائم المجتمع على التعاون
والحب والخير ، حيث تسود الاخوة الصادقة والصدقة العميقة ، قال
الحارثي : قلت لأبي عبدالله (ع) : ما حق المؤمن على المؤمن ؟ قال :

(من حق المؤمن على المؤمن المودة له في صدره ،

والمواساة له في ماله ،

والخلف له في اهله ،

والنصرة له على من ظلمه ..

وإن كان نافلة في المسلمين ، وكان غائباً ، أخذ له بنصيبه ،

وإذا مات الزيارة له إلى قبره ،

وأن لا يظلمه ،

وأن لا يفتشه ،

وأن لا يخونه ،

وأن لا يخذله ،

وأن لا يكذبه ،

وأن لا يقول له : أف ، وإذا قال له : أف فليس بينهما ولاية ،

وإذا قال له : أنت عدوي ، فقد كفر أحدهما !

وإذا اتهمه اثماً الإيمان في قلبه ، كما يثأث الملح في الماء) .

يكفر أحدهما إذا قال : (أنت عدوي) ، ولمّ ذا ؟ لأن المسلم لا يعادي

مسلماً ، وإنما يعادي المسلم كافراً أو الكافر مسلماً وهكذا يأمر الإسلام ،

أما الضرب والفحش والنميمة والغيبة ، والتجسس والسعي إلى الظالم ..

فليست من الإسلام ، وإنما هي من أخلاق الكفار ! .

المعاملات

تمحضت المادية الغربية - التي انتشرت حتى طبقت الأجواء ، فلم يبق صقع إلا وعمه ظلامها باستثناء مناطق معدودة تشع فيها أنوار الاسلام ، كما تشع الحياض في الليل المظلم - لجانب الجسد والمادة ، فليس للروح في العالم المتمدن مجال .

كما اختلفت النهج الدينية السائدة - حالاً - غير الاسلامية من مسيحية ، وبوذية ، وكنفو شيوسية ، وزرادشتية ، بجانب الروح ، فلا ترى لأنظمة الحياة المادية فيها إلا تنفأ ضئيلة ، لا تسمن ولا تغني من جوع .
بقي الاسلام ... فإنه النظام الوحيد الذي يعني بالروح والجسد .

وليس المقصد تفصيل هذه الناحية ، والمقارنة بين الاسلام وغيره ... ، إنما المقصود بيان ان من نواحي الاسلام الجهة ناحية المعاملات ، التي هي من شؤون المادة ، فقد قرر الاسلام لتأمين المعاملات بين الناس ، وحفظها من الزيغ والانحراف ، والافراط والتفريط ، ووقايتها من نشوب الخلاف بين المتعاملين قواعد وأنظمة في كثرة هائلة ! ربما لا يكذب القائل اذ قال : إن القوانين المدنية ! (هكذا) السائدة اليوم على وجه الأرض لا تبلغ شأوها ، لا في الصحة والإنقان ، فإنها في القوانين خبر لا عين ، بل حتى في الكثرة والوفرة .

فمثلاً : إن بلغت الأحكام والأنظمة التي قررها الاسلام لتنظيم البيع والشراء ... عشرة آلاف حكم وقانون... لا تبلغ القوانين الأرضية الموضوعة لهذه الناحية المعاملية هذا العدد ! أما الصحة والإتقان فيكفي في المقايضة أقل نظرة الى الأحكام الاسلامية ، حيث كانت سائدة على المعاملات ، ثم مقايستها بالأحكام الأرضية السائدة اليوم ، حتى نرى البون الشاسع بين تلك وهذه ، ففي ظل الاولى ، ندرت الخيانة والغش والاحتكار والاستغلال والاستثمار والربا ... و... و... حتى بلغت المعدوم ، بالعكس من الثانية ، حيث تجدد في ظلها اللافح كل المحرف واستغلال وخيانة .

وقد بلغت الأحكام الاسلامية حول المعاملات حداً مهولاً من الدقة وعمق النظر وجودة التنسيق ، بالإضافة الى أنها أخذت توجه المجتمع الى الوجهة الصحيحة ، بالعكس من القوانين الأرضية ، التي هي لا تكاد تكون إلا نظماً غايتها تقويم المجتمع بما عليه من عرف وعادة ، نعم : منذ نصف قرن أو أكثر انتبهت الدول الكبرى الى هذه الناحية المهمة من التشريعات الاسلامية ، فأخذت تضع القوانين لتوجيه المجتمع .

ولنقتطف جملاً من كتاب (التشريع الجنائي الاسلامي) حول بعض تشريعات الدين ، بتصرف ، للمثال على ما زودت به المعاملات الاسلامية — قبل أربعة عشر قرناً — من الدقة والإتقان والتوجيه ، اقتبست منها القوانين منذ زمان قريب ، وأدركت ما فيها من التنظيم الرائع ، والشأو العالي ، وذلك حول آية الدين : [يا أيها الذين آمنوا اذا قداينتم بدين [الخ ... البقرة آية ٢٨٢ التي هي أطول آية في القرآن الكريم .

ونص الآية يشمل عدداً من المبادئ التشريعية والنظريات الفقهية ، وسابين أهمها فيما يلي :

١ - نظرية الاثبات بالكتابة : فرضت الشريعة الاسلامية الكتابة وسيلة لإثبات الدين المؤجل ، سواء كبرت قيمة الدين أو صغرت ، وذلك قوله

تعالى: [يا أيها الذين آمنوا ، اذا قدامتكم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه] ، وقوله : [ولا تساموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً الى أجله] . ويدخل تحت لفظ الدين كل التزام أيا كان نوعه ، لأن الالتزام ليس إلا ديناً في ذمة الملتزم للملتزم له ، فيدخل تحت لفظ الدين القرض والرهن والبيع بثمن مؤجل والتعهد بعمل وغير ذلك ... وظاهر من النص الذي فرض الكتابة أنه نص عام ومرن الى حد بعيد وأنه يصلح للتطبيق اليوم ، كما كان صالحاً من ثلاثة عشر قرناً ، وكما سيكون صالحاً للمستقبل البعيد ، وهذه إحدى مميزات الشريعة التي هيأتها لتكون غير قابلة للتعديل والتبديل .

وقد كانت العرب يوم نزول الآية أميين (فيهم سبعة عشر كاتباً فقط !) ولو كانت الشريعة كالقانون تأتي على قدر حاجة الناس ، لما جاء بها شيء خاص بإثبات الالتزامات ، أو لجاء بها ما يتفق وأمية العرب ، فرضت الشريعة الاسلامية الكتابة بين الأميين ، لتحملهم على ان يتعلموا ، فتوسع مداركهم ، وتثقف عقولهم ويصبحوا أهلاً لمنافسة الأمم الاخرى ، وهذه أغراض اجتماعية وسياسية بحتة ، أما الغرض القانوني ، فهو حفظ الحقوق وإقامة الشهادات والابتعاد عن الريب والشكوك ، وقد بدأت الدول تأخذ بالناحية القانونية من النظرية في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر (الميلادي) حين اشترط القانون الفرنسي - الذي أخذت عنه القوانين الاوربية - ان يكون الدين مكتوباً اذا زاد عن مقدار معين ، لكن شراح القانون رأوا ان نظرية الكتابة في كل صغير وكبير أفضل ، فأخذت بعض دول أوربا برأيهم .

٢ - نظرية إثبات الدين التجاري : فقد استثنت الآية التجارة من الكتابة بقوله : (إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم ، فليس عليكم جناح ان لا تكتبوها) والعلّة ان الصفقات التجارية تقتضي السرعة ، وهي اكثر عدداً وتكراراً وتنوعاً ، فاشتراط الكتابة فيها يؤدي الى الحرج ،

وهذه النظرية هي النظرية السائدة اليوم في القوانين الوضعية الحديثة ، وإنها أحدث ما وصل اليه القانون الوضعي في عصرنا الحاضر .

٣ - نظرية حق الملتزم في إتمام للعقد : فقد أوجبت الشريعة أن يبلي العقد الذي عليه الحق : [وليممل الذي عليه الحق] ، وذلك حماية لأضعف الطرفين ، إذ صاحب الدين أو صاحب العمل ربما يجعل شروطاً قاسية على العامل والمدين ، وهما تحت ضغط الحاجة ... ومن جراء جهلها ، يقعان تحت وطأة هاتيك الشروط ، فالعقد الذي يلبه القوي يعطي لصاحب العمل كل الحقوق ويرتب على العامل أو المستهلك كل التبعات ... وقد جعلت القوانين لحل هذه المشكلة شروطاً تحمي المستهلك من المنتج ... وهكذا .. ولكن المشكلة بعد باقية ، وقد حلها الاسلام ، يجعل الإتمام للملتزم ، والآن في أوروبا يحاول العمال ومن اليهم تطبيق هذا النظام ، تخلصاً من هذه المشكلة التي يرضحون تحتها .

٤ - نظرية تحريم الامتناع عن تحمل الشهادة ، وقد قرر الاسلام تحريم شهادة الزور ، وكتمان الشهادة ، والقوانين الوضعية اليوم تأخذ بها النظرية ... وهناك احكام اخرى في آية الدين لم نذكرها اختصاراً .

ومن ذلك تعلم ان القوانين الوضعية اخذت غالب نظريات الاسلام حول الدين .

وليعلم المسلمون ان سبب تأخرنا وانحطاطنا هو اننا لم نطبق الشريعة تطبيقاً عادلاً ولا كاملاً ... واذا كان سبب تأخرنا هو إهمال الشريعة وترك أحكامها ، فلن يجدينا الأخذ بالقوانين شيئاً ، بل سيزيدنا تأخراً على تأخر ، وانحطاطاً على انحطاط ، وإنما علاجنا المجددي هو القضاء على سبب التأخر والعودة لأحكام الشريعة .

والاسلام بما أنه دين ودنيا ، يحرص على التعامل ، لازدهار الحياة ، وعمارة الأرض وتقوية الصلات ، وورقي مستوى المعيشة ويتفرع على ذلك

توسع العلوم ، ونفي الفقر والمرض والانحراف الخلقي ، ومحو الجرائم حيثئذ ، حيث ان الاسلام يربط كل ذلك بتقوى الله ، ولذا نرى التجارة في ظل الدولة الاسلامية مزدهرة ازدهاراً لا مثيل لها ، حتى في هذه الاعصر التي كثرت الوسائل النقلية والمواصلات ، ولا نعني بذلك الازدهار الكمي ، فان العالم اليوم أنشط في التجارة بواسطة سهولة المواصلات ... بل الكمي الكيفي ، والتجارة اليوم تفقد الأمر الثاني ، مما سبب القلق في التجار والتوتر العصبي ، بالفض عن تعاطي الربا ، وارتكاب الاحتكار ، واستنزاف دماء الفقراء ... وما أشبه ... ولا يرجع التوازن الى التجارة العالمية إلا بالعودة الى أحكام الاسلام ، وتطبيق أنظمتها على الاخذ والمطاء ، والبيع والشراء .

وقد حث الاسلام على التجارة والزراعة ، وجعل انظمة وقوانين لسائر المعاملات - بالمعنى الاعم - من العارية والاجارة ، والوكالة ، والوقف ، والسكن ، والعمري ، والحبس ، والهبة ، والسبق ، والرماية ، والوصية ، والوديعة ، والمزارعة ، والمساقاة ، والمضاربة ، والشركة ، والصلح ، والضمان ، والحجر ، والرهن ، والتفليس ، والجمالة ، والشفعة ، وإحياء الموات ، واللقطة ... وغيرها ... وغيرها ...

روى ابو قرة ، عن الصادق عليه السلام : (أن أمير المؤمنين عليه السلام قال للموالي : إتجروا بارك الله لكم ، فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول : الرزق عشرة أجزاء : تسعة أجزاء في التجارة ، وواحد في غيرها) .

وعن علي أمير المؤمنين (ع) قال : (تعرضوا للتجارات ، فان لكم فيها غنى ، عما في أيدي الناس ، وإن الله عز وجل يحب المحترف الأمين ، للمغبون غير محمود ولا مأجور) .

وروى الزعفراني عن ابي عبد الله (ع) قال : (من طلب التجارة

استغنى من الناس . قلت : (وإن كان معيلاً ؟ قال : وإن كان معيلاً ، تسعة
أعشار الرزق في التجارة) .

وروى هشام ، قال : (كان ابو الحسن (ع) يقول لمضادف : اغدُ الى
عزك ، يعني السوق) .

قال اسباط بن سالم : (سأل ابو عبدالله (ع) يوماً وأنا عنده ، عن
معاذ بياع الكرابيس ؟ فقيل : ترك التجارة ، فقال (ع) : عمل الشيطان !
من ترك التجارة ذهب ثلثا عقله ! أما علم ان رسول الله ﷺ ، قدمت غير من
الشام ، فاشترى منها واتجر ، فربح فيها ما قضى دينه !؟) .

وفي حديث ، قال الصادق (ع) : (التجارة تزيد في العقل ، وترك
التجارة منبهة للعقل) . وقال (ع) : (أيعجز أحدكم أن يكون مثل
النملة ؟ فان النملة تجر الى جحرها) !

بل أكثر من هذه: إن الاسلام لا يرى موضعاً للدعاء - الدعاء الذي ورد
فيه : [قل ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم] - لمن يطلب الرزق من غير
عمل ، قال أيوب : كنا جلوساً عند أبي عبدالله (ع) ، إذ أقبل علاء بن
كامل : فجلس أمام أبي عبدالله (ع) ، فقال : ادع الله ان يرزقني في دعة !
قال لا أدعو لك ، اطلب كما امرك الله عز وجل) . وقال كليب الصيداوي :
قلت لأبي عبدالله (ع) : ادع الله لي في الرزق ، فقد التائت علي اموري !
فأجابني مسرعاً : (لا ، اخرج فاطلب) .

وقد تحلى كبراء الاسلام وقادة الأعظم بالتجارة وطلب الرزق ، ليقتدي
بهم المسلمون :

فقد كان رسول ﷺ - مدة من حياته - راعياً للمواشي ، كما كان مدة
من حياته تاجراً .

وكان علي أمير المؤمنين (ع) يزرع ، ويكرري ، ويحفر الآبار ، ويستقى بالاجرة .

وكذلك جماعة آخرون من الأئمة عليهم السلام - كما حفظ التاريخ - .

روى عبدالله بن الحجاج ، عن أبي عبدالله (ع) ، قال : (إن محمد بن المنكدر كان يقول : ما كنت أظن ان علي بن الحسين يدع خلفاً افضل منه ، حتى رأيت ابنه محمد بن علي ، فأردت ان اعظه ، فوعظني ، فقال له اصحابه : بأي شيء وعظك ؟ فقال : خرجت الى بعض نواحي المدينة في ساعة حارة ، فلقاني ابو جعفر محمد بن علي (ع) ، وكان رجلاً بادنًا ثقيلاً ، وهو متكئ على غلامين اسودين ، أو موليين ، فقلت في نفسي : سبحان الله ! شيخ من اشياخ قريش ، في هذه الساعة على مثل هذه الحالة في طلب الدنيا !! اما انه لأعظنه ، فدنوت منه فسلمت عليه ، فرد عليّ بنهر (بنهر) وهو يتصبب عرقاً ، فقلت : اصلحك الله ، شيخ من اشياخ قريش ، في هذه الساعة على هذه الحالة في طلب الدنيا !! أ رأيت لو جاء اجلك وانت على هذه الحال ؟ فقال : لو جاءني الموت وأنا على هذه الحال جاءني وانا في طاعة من طاعات الله عز وجل ، اكفي بها نفسي و عيالي عنك وعن الناس ، وإنما كنت اخاف لو جاءني الموت وانا على معصية من معاصي الله ، فقلت : صدقت ، يرحمك الله ، أردت ان أعظك فوعظتني) .

وروى عبد الأعلى ، قال : (استقبلت ابا عبدالله (ع) في بعض طرق المدينة ، في يوم صائف شديد الحر ، فقلت : (جعلت فداك ، حالك عند الله عز وجل ، وقرابتك من رسول الله ، واذت تجهد نفسك في مثل هذا اليوم ؟ فقال : يا عبد الأعلى ، خرجت في طلب الرزق لأستغني به عن مثلك) .

وروى علي بن ابي حمزة ، عن ابي الحسن (ع) ، فقال : (انه (ع) كان يعمل في ارض له ، قد استنقعت قدماء في المرق ، فقلت : جعلت فداك ،

ابن الرجال ؟ فقال : يا علي ، قد عمل باليد من هو خير مني ومن ابي في ارضه ، فقات : ومن هو ؟ فقال : رسول الله وامير المؤمنين وآبائي كلهم ، كانوا قد عملوا بأيديهم ، وهو من عمل النبيين والمرسلين ، والأوصياء والصالحين .

هؤلاء هم كبراء الاسلام ، وواضعوا احجاره الاولى ، يحبذون العمل والتجارة ، ويعملون بأنفسهم ... ليعلم المسلمون ان الاسلام يأمر بالعمل ويحب العمل ، ويكره تارك العمل ... وهكذا يزدهر العمل في ظل الاسلام . وينشط المسلم في التجارة والصناعة والزراعة ، إن التزم بدساتير الاسلام ومناهج القرآن .

ثم الاسلام يقرر الحريات - بما في الكلمة من سعة - لأنواع التجارة والزراعة والصناعة وما إليها ، فلا تقيد هذه الامور بأي قيد ، إلا قيود اخلاقية اجتماعية ، تعود على المجتمع والأفراد بالنفع ، ولهاذين القايدين يقرر الاسلام .

اولاً : حرية العمل ، فالمسلم مسلط على ماله ، يصرفه كيف شاء انى شاء ، لا يقيد زمان ولا مكان ولا جهة خاصة وليس على ارباحه وأعماله وتجارته أي قيد حكومي ، فلا جمارك ترفع في وجهه ولا موانع تمنعه عن استيراد بضاعة ، أو إصدار بضاعة ، ولا رسوم ولا مكوس ولا حدود ولا قيود ، ولا مقدار لما يريد استيراده أو اصداره . ولا يحتاج الى إجازة من الدولة ، ولا تملق من ذري السلطة . وهكذا... وهكذا... وفي الزراعة والعمارة... لا قيود ولا رسوم ، ولا ... ولا ... بل من أحياناً أرضاً فهي له ، سواء أحيائها بالعمارة أو البناء أو ما بينهما ، بل بالعكس فالاسلام يشجع على الزراعة والعمارة ... كما لا قيود على استخراج المعادن أو الفوس ، أو الصناعة ، أو الانتفاع بالبر أو البحر أو الجو .

نعم : على الأرباح المحس ، وعلى الفلوات والانعام والنقدين الزكاة ..
فحسب ! وتاريخ الاسلام الطويل شاهد صدق ذلك ، وقد خرج بعض الخلفاء
الأمويين على أنظمة الاسلام من هذه النسخة ، فحدد التجارة ، تحديداً
بسيطاً ، ولما استولى عمر بن عبد العزيز على عرش الخلافة ، رفض فيما رفض
من البدع ، هذه البدعة ، فرجعت التجارة خرة ، على حسب ما يدل عليه
نصوص الاسلام كتاباً وسنة .

وثانياً : أن لا تكون التجارة بجرمة ، كالربا ، والاحتكار ، واخذ
الامتياز من شخص ولو كان صاحب السلطة ، فيما لم يقرر له الاسلام ذلك ،
وأكل المال الباطل ، والاكتساب بالأعيان المحرمة ، كالخمر والخنزير
والمضرات .. ونحو ذلك ، فان الاسلام يحرم هذه الامور . وليس هذا في
الحقيقة تحديداً لحرية للتجارة والصناعة وما اليهما .. بل معناها الانطلاق
في حدود المصلحة ، وهذه المحظورات امور معينة معلومة ، لا تزيد ولا
تنقص فليس لأحد الزيادة في المحرمات ، ولا النقيصة فيها .. فمثلاً : ان
الخمر حرام ، من يوم قرر الاسلام حرمتها الى يومنا هذا وبعد يومنا هذا ،
ولا يحللها احتياج الدولة الى الماليات .. وهكذا .. وهكذا .

ومن ميزات المعاملات الاسلامية التي تفردها - بل جعل الخطوط لأجل
التحفظ عليها - : البساطة المعاملية ، فان الاسلام يحرص الحرص على سهولة
المعاملة كبيرة كانت أم صغيرة ، وذلك توفيراً على الطاقات الزمانية والبدنية
والمالية .. وما اليها للمتعاملين ، بل وغيرهم ! . وقد رأى آباؤنا وأسلافهم ،
كيف كانت المعاملة متممة بطابع البساطة ، في ظل الاسلام ، فقد كان
بائع الدار ومشتريها ، أو البستان أو الحمام أو الدكان أو ما اليها .. يذهبان
إلى رجل عالم ، ويتعاملان بهذه الألفاظ القلائل : (بعثك الدار المعينة بمبلغ
كذا .. قبلت) وهكذا .. وتكتب الوثيقة ويشهد العالم وشاهد آخر ..
كل ذلك في مدة نصف ساعة أو أقل - وهذه الطاقة الزمانية - .. أما

الطاقة الجسدية ، فهي مشي إلى بيت العالم مسيرة عشرة دقائق - مثلا -
وبهذا المقدار يصرف من النشاط الجسدي .. وأما الطاقة المالية ، فهي ما
يعادل عشرة فلوس ثمن القرطاس ، أضف إليه اجرة الكاتب - ان لم يعرف
الطرفان الكتابة - وهي خمسون فلساً على اكثر تقدير .

وأما الغل والغش ، فقد كانا نادرين ، ندرة العنقاء !

وهكذا الوقف . والاجارة . والجمالة . والمزارعة . والمساقاة وغيرها .

وإذا وقعت المنازعة .. فهل للمدعي شاهدان ، او ورقة المعاملة ؟

فالحق معه ! والا فالمنكر يحلف ، وله الحق .. وكفى .

أما في ظل الاستعمار ، فالمعاملة من أشكال الامور وأعقدها حيث تبدد
من المتعاملين ، وأفراد الدوائر والشهود وغيرهم ، طاقات هائلة : زمانية
وجسدية ، ومالية .. ولا نحتاج الى بسط الكلام حول ذلك ، فمن باع او
اشترى او وقف او رهن ، او .. او .. يعرف صدق ما ذكرناه تماماً .

وإذا وقعت منازعة - فالعياذ بالله - من الالف والدوران ، بين المحاكم

والمهامين وشهود الزور والرشوة والتميز والاستئناف و .. و ..

وأما الغصب والنهب ، والغل والغش .. فحدث عنها ولا حرج ، أليس

طريق الرشوة مفتوحاً ؟ . أليس جيوب المهامين والحكام تتسادي هل من

مزيد ؟ أليس شهود (ربيع دينار !) يتقربون الى المال بإحشاق باطل أو

ابطال حق ؟ . أليس ضعف الوازع الديني في النفوس ، فلا يعرفون

إلا المادة ؟ .

ومعاملات الاسلام بمد هذا وذاك ، تمتاز بالعمومية ، بمعنى ان الاسلام

لا يقيد المعاملة بالحدود الاقليمية وما أشبه .. بل المعاملة حرة عامة لكل

من أراد - باستثناء الكافر الحربي - فالمسلم كغير المسلم .. واهل هذا القطر

كاهل سائر الاقطار .. وذو الاملاك كالفقير .. كلهم يحق لهم ابتياع الدار

والمقار وما أشبه ، أما هذا أجنبي ، وذاك لا يدين بالاسلام ، والثالث له
أملاك كثيرة فلا يحل له الابتياح ، ونحو هذه المشاكل ، فلا يعرفها الاسلام
بتاتاً .

أما في ظل الاستعمار : فكل هذه الامور ، وأضعافها موجودة .

والسر أن الاسلام يريد دفع الحياة الى الامام ، ويريد رقي الارض
بالممران ، ويريد رفاه أبناء آدم وحواء ، من كل جنس ولون وقطر وصبغة ،
ولذا يضع القوانين والأنظمة لهذه الغاية . أما المستعمر فيزيد خراب الارض ،
وفقر الناس ، وجلب الثروة الى جيبه فقط وجعل الناس شيعاً وأحزاباً ،
ويجب ان يستعلي على الناس ، فلذا يضع القوانين الموصلة الى غاياته الخبيثة .

الى غير ذلك ... من الاحكام التي وضعها الاسلام ، لازدهار المعاملة
- وقد كانت المعاملات كذلك طيبة ثلاثة عشر قرناً ، إبان الحكم الاسلامي ،
والآن منذ نصف قرن حيث سيطرت القوانين الاستعمارية في لُهب الكافر
الاجنبي ، برزح البشر - في معاملاتهم ، كسائر الشؤون - تحت أنيار
وأغلال .

يقول القرآن الحكيم - بصدد المعاملة - :

[إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم] .

ويقول : [أحل الله البيع وحرم الربا] .

ويقول : [أوفوا بالعقود] .

ويقول : [خلق لكم ما في الارض جميعاً] .

ويقول ... ويقول ... وتقول السنة ... وتقول ...

المروة

موضوع كثر الكلام حولها .
وغالب الكتاب الاسلاميين - الداعين الى الفضيلة والعفاف - يقارنون
بين حال المرأة قبل الاسلام ، وحال المرأة في ظل الاسلام .
وهي مقارنة صحيحة .. لكن الكلام لا ينتهي عند هذا الحد .
وإننا بحاجة الى الفرق بين المرأة في المجتمع الاسلامي ، وبين المرأة
في المجتمع الغربي .
ولا نريد الإسهاب في هذا الموضوع ، وإنما نريد عرض طرف من المرأة
في المجتمعين ، لنرى هل تتوفر راحة المرأة جسدياً وفكرياً ، وضحتها
وثقافتها ، ونظافة سمعتها ، وإشباع غرائزها ، وطهارة المجتمع الذي تعيش
فيه .. في ظل الاسلام ، أم في ظل الكفر ؟
تعيش المرأة في ظل الاسلام ، ولها من الحقوق والواجبات مثل ما على
الرجل من الحقوق والواجبات ، فهي شق له في كل شيء .. إلا بعض الامور
التي استثنت من جهة عدم المقتضي او وجود مانع ، فهي تشارك الرجل :
في الصلاة ، والصيام ، والخمس ، والزكاة ، والحج .
ولكن حيث أن لها وظائف بيتية ، بالإضافة الى خشونة الجهاد التي
لا يناسب ضعفها ودقة جهازها ، ووفرة مشاعرهما الرقيقة ، لا يحملها

الإسلام الجهاد على الإطلاق ، بل في ضرورة الضرورة فقط ، كما هو مشروع في كتب الفقه .

كما تشاركه : في الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وولاية الصالحين ، والبراءة من المجرمين - هذا بالنسبة الى العباداة - أما المعاملة - بمعناها الواسع - :

فلها : التجارة . والرهن . والضمان . والوديعة . والمزارعة . والمساقاة . والمضاربة . والشركة . والصلح . والعارية . والاجارة . والوكالة . والوقف . والهبة . والوصية . كما يجري عليها الحجر والفلس .

ولها النكاح والطلاق - اذا اشترطت - والنذر . والحلف . والعهد . والعتق . والتدبير . والمكاتبة . والاقرار . والجماعة . والصيد . والذباحة . والشفعة . واحياء الموات . واللقطة . والشهادة . والديات . والقصاص . والارث .

كما ان الطعام والشراب بالنسبة إليها ، كسائر الرجال . وغير ذلك .

نعم لها بعض احكام خاصة ، في بعض هذه الأبواب لأمر خارجة .

مثلا : في الارث لها أقل من حق الرجل ، لأن الرجل هو القائم بالنفقة ،

وعليه قبة المسكن والملبس ، وليس الطلاق بيدها على الاطلاق لان حق القيمة للرجل ، وذلك لأن ادارة البيت لا بد وان توكل الى واحد ، وحزم الرجل اكثر من المرأة ، ولذا جعلت اليه ، وفي قبال هذا الواجب جعل حق الطلاق ، لتكافى الحقوق والواجبات .

وهكذا .. وهكذا ..

وقد كانت المرأة ، في ظل الإسلام ، تعيش آمنة سعيدة مرفهة ، لها حقوقها ، وعليها واجباتها ، حتى جاء الغرب فرآها محرومة عن (حقين !)

«مدافع بكل ما أوتي من حول وطول ، لارجاع الحقين اليها ، وجند لذلك كل عميل وذنوب ، بامكانياته المنتفخة .

وما هما الحقان ؟ .

الأول : الحرية - بما في الكلمة من معنى - فلها الحرية ، في الذهاب والإياب الى المراقص والملاهي والسينمات ، والمسابع والمدارس المختلطة ، كما ان لها حق التبرج والسفور ، واتخاذ الاخدان والحضور في الحفلات «الساهرة» ، وتعاطي اللذة البريئة : النظر . والكلام المتكسر . واللامسة . والأمر الأخير !!!) واعتبار كل دعوة الى الحشمة والوقار . والحياء والعفاف . والفضيلة . والأخلاق .. دعوة رجعية ، تنافي الحرية .

الثاني : حق مزاولة النشاطات السياسية ، ككونها رئيسة الجمهورية . او وزيرة . او متصرفة . او رئيسة البلدية .. او ما اليها ... ولم حرمانها ، وهي شطر الرجل؟ أليس ذلك جموداً ، ورجوعاً الى القرون الجاهلية المظلمة ، والعصر عصر العلم والتقدم والنور ؟ !

اننا نريد ان ننتقد هذين الحقين .. ولا نريد ان نقول ان الحق الاول فساد وانهار ، لا حرية وحق .. وان الحق الثاني خداع وغش ، لعدم ملامته لنفسية المرأة العاطفية ، وان الأمم التي تدعو الى هذا الحق ، هي بنفسها تحرمها ، ولا تراها قابلة لهذا المنصب ، ولذا لم يكن (ايزنهاور) و (خروشوف) و (مكيلان) و (ديفول) ... ومن سبقهم مثل (روزفلت) و (تشرشل) و (ستالين) وغيرهم .. وغيرهم .. نساء ...

بل نريد ان نبين شيئاً واحداً : وهو ان المرأة إلى اين وصلت حالتها ، في ظل النظم الغربية ، بعدما كان لها كل تجلئة واحترام في ظل النظم الاسلامية ، لترى كيف انهارت المرأة وانهارت معها الحياة العائلية ، من جراء الدساتير الكافرة التي لا تدين بالله واليوم الآخر .

وبعد ذا نسأل حُماة الغرب : هل المرأة في ظل أنظمتكم ارفسه حالاً
ـ واهناً عيشاً واكثر سعادة ، ام في ظل الاسلام ؟

واقدم شهد المنصفون من الأجانب ، بما للاسلام من فضل على المرأة .

يقول (سيديو) : (والقرآن - وهو دستور المسلمين - رفع شأن المرأة ،
بدلاً من خفضه ، فقد جعل (محمد) حصّة البنات في الميراث تعادل نصف
حصّة اخيها ، مع ان البنات كنّ لا يرثن في زمن الجاهلية .

ومحمد - وإن جعل الرجال قوامين على النساء - بيّن ان للمرأة حق
الرعاية والحماية على زوجها (١) .

ويقول (غوستاف لوبون) : (والاسلام قد رفع حال المرأة الاجتماعي
وشأنها ، رفعاً عظيماً ، بدلاً من خفضها ، خلافاً للمزاعم المكررة على غير
هدى ، والقرآن قد منح المرأة حقوقاً إرثية احسن مما في اكثر قوانيننا
الأوروبية) .

ويقول : (وهنا نستطيع ان نكرر - إذن - قولنا : ان الاسلام الذي
رفع المرأة كثيراً ، بعيد من خفضها ، ولم يقتصر فضل الاسلام على رفع شأن
المرأة ، بل نضيف الى هذا : انه اول دين فعل مثل ذلك ، ويسهل اثبات
هذا ببياننا : ان جميع الأديان والامم التي جاءت قبل العرب اساءت الى
المرأة (٢) .

وهنا مقتطفات من كتاب (الحجاب) للمودودي ، للبرهنة على مدى
المخطاط المرأة ، في ظل الكفر والديمقراطية ، ونكتفي هنا بالنقل من دون
ذكر المصادر التي نقل الكتاب عنها .. واليك النصوص :

(١) انظر : الاسلام بين الانصاف والجهود .

(٢) انظر : الاسلام بين الانصاف والجهود .

(وجاء قوم ، فهدروا الأسباب لاكره النساء ، وتقدموا بحرفة البغاء ،
الى ان اصبحت تجارة دولية منظمة) .

(امر الاجهاض .. ليس هناك قطر من الأقطار ، الا وتقرت فيه هذه
الشيعة علناً وعلى نطاق واسع ، فهذه انكلترا يسقط فيها تسعون الف حمل
في كل سنة على اقل تقدير ، وتكون في كل مائة من المتزوجات فيها خمس
وعشرون - على الأقل - إما يباشرن الاسقاط بأيديهن ، او يستعنّ عليه
بالمختصين ، وترتفع هذه النسبة فوق هذا في غير المتزوجات ، فقد أنشئت
في بعض المدن هناك نوادٍ منظمة للاسقاط .. ويكثر في لندن عدد دور
التعريض التي تكون معظم المريضات فيها من المسقطات) .

وفي فرنسا (نشر قائد لبعض الفرق العسكرية اعلاناً للجنود التابعة له
فيه : قد بلغنا ان عامة الرجال والخياطة يشتكون من تزامم رجال البنادق
على دور البغاء الجندي .. وان مكتب القيادة لا يزال يسعى لزيادة عدد
النساء ، حتى يكفين لجميع الجنود ، ولكن قبل ان يتم ذلك نوصي رجال
البنادق ، ان لا يطيلوا مكثهم داخل تلك الدور ، ويتمجلوا بقضاء شهواتهم
ما استطاعوا) .

وفي فرنسا (ليس على من كان يريد الاتصال بآنسة من الانسات ، إلا ان
يعلم الوكالة (الوكالة البغائية) بعنوان تلك الانسة ، وبؤدي (٣٥) فرنكاً
على سبيل الاجرة البدائية ، وعلى الوكالة بعد ذلك ان تراود الانسة على
الأمر . ودلست سجلات هذه الوكالة على انه لم تكن طبقة من طبقات المجتمع
الفرنسي ، إلا وعامل كثير من أناسها هذه الوكالة ، وتمتعوا بخدماتها) .

(لم يعد الآن من الغريب الشاذ وجود العلاقات الجنسية بين الأقارب
في النسب : كالأب والبنت ، والأخ والأخت ، في بعض الأقاليم الفرنسية) .

(ولقد كان عدد النساء اللاتي كن يحترفن البغاء قبل الحرب العالمية الأولى : نصف مليون) .

وصرح « مسيو فردينان دريفوس » احد اعضاء المجلس الفرنسي منذ بضع سنوات : ان حرفة البغاء لم تعد الآن عملاً شخصياً بل قد أصبحت تجارة برأسها ، وحرقة منظمة بفضل ما تجلب وكالاتها من الأرباح الغزيرة ، فلها في هذه الأيام وكلاء يهيئون (المواد الخام) وآخرون يتجولون في البلاد ، ولها الآن اسواق منظمة ، تستورد فيها ، وتصدر منها الفتيات والصبايا كالأموال التجارية ، واكثر ما يطلب في هذه الأسواق من الأموال هو بنات دون العاشرة .

وربما تبلغ البهيمية في القائمين بها اقصى حدود الظلم والقساوة ، فيقال : ان محافظ بلدية في شرقي فرنسا ، اضطر الى التدخل في هذا الأمر ، لانجاء فتاة كانت قد فرغت في يومها من سبعة واربعين وارداً ، وكان عدد منهم بعد بالبواب يترقبون .

(وجاءت الحرب العالمية الاولى ، فابتدعت بدعة (البغاء المتطوع) علاوة على (البغاء التجاري) .. فجعلت هؤلاء النساء يتعاطين البغاء بصورة منظمة ، واصبح تشجيعهن وإعانتهم فضيلة خلقية ، عند أولي الدعارة والفجور ، وعنيت الجرائد اليومية الكبرى عناية بالغة ، باستمالة رجال العمل اليهن .. وقد نشرت جريدة واحدة في عدد واحد (١٩٩) اعلاناً عن امرهن) .

يقول بول بيورو : (إن جميع الأزواج المتزوجة في مجتمعاتنا قوم خونة متجردون من الوفاء اللازم للعشرة الزوجية) .

(وقد نجم عن هذه الموبقات الأمراض السرية الفتاكة ، فقد اعفت الحكومة الفرنسية ، في السنتين الاولين من سني الحرب العالمية الاولى خمسة

وسبعين الفاً ، لكونهم مصابين بمرض الزهري ، وابتلي بهذا المرض وخدمه
٢٤٢ جندياً في آن واحد في سكنة متوسطة) .

ويقول الدكتور الفرنسي (ليريد) : (انه يموت في فرنسا ثلاثون الف
نسمة بالزهري وما يتبعها من الامراض الكثيرة في كل سنة .

ولهذه الامور رغبت الرجال عن النكاح ، فبقيت النساء والرجال
- على حد سواء - يتعاطون البغاء ، وفسد النظام العائلي .

(فسبعة او ثمانية في الالف هو معدل الرجال والنساء الذين يتزوجون
في فرنسا اليوم) .

وكثر الطلاق كثرة مدهشة (حتى ان محكمة الحقوق بمدينة (سين)
فسخت ٢٩٤ نكاحاً في يوم واحد) .

إلى كثير .. وكثير .. من امثال هذه المآسي التي حلت على البشرية من
جراء اعطاء المرأة (هذين الحقين) ! .

فهل في ذلك خدمة للمرأة ؟ او للرجل ؟ او للمجتمع ؟ .

كلا ! فالمرأة سائبة ، لا تجد لقمة الخبز الا بالبغاء - كثيراً - وهي
مع ذلك تتعب وتنصب ، وتهان وتزدرى ، وتهدد لها كل كرامة
وحق ! .

والرجل لا يجد القلب الحنون ، والشق الرؤوف ، كما لا يجد الأم
الرؤوم لأولادها ! .

والمجتمع ، لا يجد الفتيان والفتيات الصالحين والصالحات بل يخيم في
طول البلاد وعرضها الامراض الفتاكة ، والأجسام العلية والاخلاق
السيئة ! .

وهكذا الحال في كل مجتمع اعطى للمرأة (الحرية المزعومة !) من غير فرق بين فرنسا . وأمريكا . وروسيا . وانكلترا . والسويد . والمانيا .. كما تشهد بذلك الوثائق الكثيرة .. ولم تنج من هذه المفساد إلا البلاد الاسلامية ، ولكن على قدر : قدر ما رفضت الانظمة الكافرة ، ولم تخنح للحرية المزعومة .. اما البعض الآخر فعاله حال البلاد الكافرة ، في الفساد الخلقى ، والأمراض والانهيار .

فهل المرأة في ظل الإسلام اكثر كرامة ، واحسن حالاً ، واحفظ حقاً وحرية .. أم في ظل الكفر الذي اخذ اليوم بزمام العالم ؟ . ولا نجاة للمرأة ولا للمجتمع من هذه الويلات ، الا بالتمسك بتعاليم الاسلام .

الثروة

يرى الاسلام الكون جهازاً موحداً ، والانسان هو القيم على هذا الجهاز ،
المأمور بكشف سرائره ، وإخراج كنوزه وتوجيهه إلى الأمام ، والانتفاع
بما فيه ، على نحو الحكمة والصلاح .. وكيف لا يكون كذلك وهو يمثل الله
في الأرض ؟ [وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة] والخليفة
ينوب الاصل فيما له .

وقد بعثر الله تعالى الثروات المادية والأدبية ، في أمكنة شتى من الارض
والسما والماء .. فبعض الأماكن يختص بالمعادن الذهبية والماضية - كـ بعض
نقاط أفريقيا - وبعضها يختص بالثروة النفطية كالحليج العربي ، وبعضها
يختص بالثروة السماوية كالشرق الاوسط الذي يزخر بالأنبياء العظام .. وهكذا ..
وهكذا .

والغاية من ذلك التعاون الشامل بين أفراد الانسان ، من شرق الارض
إلى غربها ، ومن شمالها الى جنوبها ، فبعض الأقطار يحتاج إلى بعضها الآخر
في الدين .. وبعضها يحتاج الى بعضها في التوابل وبعضها يحتاج الى بعضها
في العلم . او الفن .. او الصنعة .. او الثروة .

وقد أنزل الله نظاماً موحداً ، (الإسلام) لتأمين هذا التعاون ، وتأليف
أجزاء الكون في إطار من الحب والألفة والسلام .. وهذا النظام يعنى بكل

شيء من إنسان وحيوان ونبات ، وبحار وأنهار وقفار ، وسما وأرض
وجبال .. إلى غيرها .. ويعني فيما يعني بالثروة ، بحيث توزع توزيعاً عادلاً
بعدما تستخرج استخراجاً كاملاً .

أما التوزيع الجائر ، فليس يرتضيه الإسلام .. كما ان الاستخراج المتكسر
كما يفضله الدين .

أما الاستخراج ، فالإسلام يحرص الحرص كله على استخراج كنوز الله
المودعة في الكون ، بكل وسيلة .

ولم لا يحرص ؟ هل لان الله يحتاج إليها ، واستخراج الكنوز ينقص
من ثروته ؟ فافه الغني وإيجاد الثروة بين (ك ن) و (لا يزيده كثرة العطاء
إلا جوداً وكرماً) كما في دعاء الافتتاح أم لان الكنوز خلقت لغاية غير
انتفاع الانسان بها يوجب المحرافاً عن تلك الغاية ؟ . فالقرآن ينادي بصوت
عال [خلق لكم ما في الأرض جميعاً] ، [كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً]
وفي الحديث القدسي : (خلقت الاشياء لاجلك ، وخلقتك لاجلي) .

أم لان الله يبعث الغني - بذاته - ؟ فإنه هو الذي أغنى كما في القرآن
الحكيم ، وقد قال رسول الله ﷺ :

(نعم العمون على تقوى الله : الغنى^(١)) .. أم لغير هذه الأمور ؟ فما
هي ؟ . ثم إذا لم تكن الحكمة في خلق هذه الثروات ، وايداعها بطون
الأرض ، وظلمات البحار ، وطبقات الجو ، هي انتفاع الانسان ، فما الحكمة
في خلقها ؟ وهل خلقها عبث ؟ . والله يقول : [وما خلقنا السماوات
والأرض وما بينهما لاعبين] .

إذاً : فالإسلام يحرص على الثروة وعلى اقتنائها ، وعلى استخراجها

(١) الوسائل (ج ٢) باب ٢٨ من كتاب التجارة .

[قل : من حرم زينة الله التي أخرج لعباده ، والطيبات من الرزق ؟ .]
نعم يحرم الإسلام التكاليف والفساد والطفيان وما أشبه ، وهو بحث آخر .
وإليك نماذج من حرص الإسلام على استخراج الثروة :

١ - استحباب التجارة واختيارها :

روى جميل بن صالح عن أبي عبد الله (ع) : (في قول الله عز وجل :
[ربنا آتتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة] قال : رضوان الله والجنة
في الآخرة ، والسعة في الرزق والمعاش وحسن الخلق في الدنيا .

قال معلى بن خنيس : رأيتني أبو عبد الله (ع) وقد أخرجت عن السوق ،
فقال (ع) : (أغد إلى عزك) .

وروى محمد بن مسلم عن الصادق (ع) ، قال : قال أمير المؤمنين (ع) :
تعرضوا للتجارة فان فيها غنى لكم عما في أيدي الناس .

٢ - كراهة ترك التجارة :

قال حماد بن عثمان : قال أبو عبد الله (ع) (ترك التجارة ينقص
العقل) .

وقال فضيل بن يسار قال لي أبو عبد الله (ع) (أي شيء تعالج ؟
فقلت ما أعالج اليوم شيئاً ! فقال كذلك تذهب أموالكم .
واشدد عليه) .

وقال معاذ بن كثير لأبي عبد الله (ع) إني قد ايسرت ، فأدع
التجارة ؟ فقال (انك ان فعلت قل عقلك ، او نحوه) .

وعن معاذ بيتاع الأكيسة ، قال : قال لي أبو عبد الله (يا معاذ ، أضعفت
عن التجارة ، او زهدت فيها ؟ قلت ما أضعفت عنها ، ولا زهدت فيها ؟
قال فما بالك ؟ قلت : كنا ننتظر امرأ ، وذلك حين قتل الوليد ، وعدي

مال كثير ، وهو في يدي ، وليس لأحد علي شيء ، ولا أراني آكله حتى
أموت . فقال : لا تتركها ، فان تركها مذهبة للعقل ، اسع على عيالك ،
واياك أن يكونوا هم السعاة عليك) !

وقد بلغ من حث الإسلام على التجارة ، انه نديها حتى في أشد الأحوال ،
وهو حال الحرب حين يتلاقى الصفان ، قال هشام الصيداني ، قال ابو
عبدالله (ع) يا هشام ، ان رأيت الصفيين قد التقيا ، فلا تدع طلب الرزق
في ذلك اليوم^(١) .

٣ - استحباب جمع المال وطلب الغنى .

قال عمر بن جميع : سمعت أبا عبدالله (ع) يقول (لا خير فيمن
لا يحب جمع المال من حلال ، يكف به وجهه ، ويقضي به دينه ، ويصل
به رحمه) .

وقال عبد الاعلى ، قال الصادق (ع) ، (اسألوا الله الغنى في الدنيا
والعافية ، وفي الآخرة المغفرة والجنة) .

٤ - استحباب العمل باليد .

روى زيد الشحام عن الصادق (ع) ، قال (ان أمير المؤمنين (ع)
أعتق الف مملوك من كد يده) .

وعن فضيل بن أبي قررة ، عن الصادق (ع) ، قال (كان أمير
المؤمنين (ع) يضرب بالمر ويستخرج الارضين . وكان رسول الله ﷺ يمض
النوى بفيه ويغرسه) .

(١) الوسائل ، ج ٢ ، باب ٥ ، من أبواب التجارة .

وفي الحديث : (ان الله أوحى الى داود انك نعم العبد لولا انك تأكل من بيت المال ، ولا تعمل بيدك شيئاً .. وفي آخره : انه عمل الدرع وباعها واستغنى عن بيت المال) .

وعن هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : (كان امير المؤمنين عليه السلام يحتطب ويستقي ويكنس ، وكانت فاطمة تطحن وتمجن وتخبز) . وقد تقدم بعض الأحاديث في ذلك .

٥ - استحباب شراء الدار والعقار وما أشبهه :

قال زرارة قال الصادق عليه السلام : (ما يخلف الرجل بعده شيئاً أشد عليه من المال الصامت . قلت له : كيف يصنع به ؟ . قال : يجعله في الحائظ والبستان والدار) .

وعن مرازم عن ابيه ، قال : قال أبو عبدالله عليه السلام لمولاه مصادف : (اتخذ عقدة [الأرض الكثير الشجر] او ضيعة) .

٦ - استحباب طلب الدنيا على حد طلب الآخرة :

قال تعالى : [ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار ، اولئك لهم نصيب مما كسبوا] .

وروى الصدوق عن الإمام عليه السلام ، قال (ليس منا من ترك دنياه لآخرته ، ولا آخرته لدنياه) ، وقال عليه السلام (اعمل لدنياك كأنك تعيش بدأ ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً) .

٧ - استحباب الزراعة .

قال هارون الواسطي : سألت جعفر بن محمد عليه السلام عن الفلاحين فقال (هم الزارعون كنوز الله في أرضه ، وما في الأعمال شيء أحب إلى الله من الزراعة ، وما بعث الله نبياً إلا زارعاً الا ادريس (ع) فانه كان خياطاً) .

وروى سيابة عن ابي عبدالله (ع) ، قال سأله رجل ، فقال له جعلت فداك أسمع قوماً يقولون ان الزراعة مكروهة ! فقال له (ازرعوا واغرسوا ، فلا والله ما عمل الناس عملاً أحل ولا أطيب منه ..) .

وعن يزيد بن هارون ، قال سمعت أبا عبدالله (ع) يقول (الزارعون كتوز الأنام ، يزرعون طيباً اخرجهم الله عز وجل ، وهم يوم القيامة احسن الناس مقاماً ، وأقربهم منزلة ، يدعون المباركين) .

٨ - استحباب العمارة .

في حديث عن أمير المؤمنين (ع) قال (.. ان معاش الخلق خمسة الامارة والعمارة والتجارة والاجارة والصدقات واما وجه العمارة ، فقوله تعالى : [هو الذي انشأكم من الارض واستعمركم فيها] فأعلمنا سبحانه انه قد أمرنا بالعمارة ، ليكون ذلك سبباً لمعاشهم) .

٩ - جعل الأرض لمن احياها من دون بدل او اجرة .

روى عبد الرحمن عن الباقر والصادق عليهما السلام ، قالا ، (قال رسول الله ﷺ من احبب ارضاً مواتاً فهي له) .

وروى عبدالله بن سنان عن الصادق (ع) انه سئل عن رجل احبب ارضاً مواتاً ، فكبري فيها نهراً ، أو بني فيها بيوتاً ، وغرس نخلاً وشجراً ؟ فقال (ع) هي له ، وله أجر بيوتها ، وعليه فيها العشر ..) أي الزكاة .

١٠ - استحباب المضاربة .

عن محمد بن عذافر ، قال أعطى أبو عبدالله (ع) أبي ألقماً وسبعمائة دينار ، فقال له اتجر بها لي ، ثم قال أما انه ليس لي رغبة في ربحها - وإن كان الربح مرغوباً فيه - ولكن احببت أن يراني الله عز وجل

متعرضاً لفوائده ، قال فربحت له فيه مائة دينار ، ثم لقيته فقلت له
قد ربحت لك فيه مائة دينار ، قال ففرح أبو عبدالله (ع) .

إلى غير ذلك ، من صيد البر والبحر ، والغوص واخراج المعادن ، وحفر
الكنوز .. وغيرها .. وغيرها .. مما يحتاج بيانها إلى مجلد ضخم .

كل ذلك يأمر به الاسلام ، لاستحصال الثروة ، وجلب الغنى ، وطرده
الفقر ، وازهار الحضارة ، وعمارة الأرض ورفع المستوى للمعيشة .. وعلى
ضوء هذه النظرة - حول استخراج الثروة - يسهل الاسلام طرق تحصيلها ،
ولا يضع أي قيد او شرط على استحصالها :

فلا جمارك ولا مكوس .

ولا ضرائب ولا رسوم .

ولا تحديد ولا تقييد .

ولا حدود ترفع في وجوه التجار ، لان البضاعة محرمة .

ولا حاجة في الاتجار ، او حيازة الأرض ، او اقتناء الدور والمقار
والبساتين ، او استخراج المعادن ، او شق الأنهار ، او امتلاك الأجسام
والغابات ، إلى اجازة ، او تحصيل موافقة او غير ذلك .

ولم الحاجة الى هذه الامور ؟ . لأنها محرمة ؟ . ولا الحرام في الاسلام إلا
امور معدودة .. او لان الدولة تحتاج إلى المال ؟ وما تأخذ الدولة الاسلامية
أشياء خاصة .. أو للزوم تكافؤ الصادر والوارد وتوازن الاقتصاد ؟ فالحرمة
أتمن منها وانطلاق التجارة أدر ربحاً على الدولة والافراد من تقييدها ..
أم لهوية الحكام في الاسلام إلا من يطبقون نظام الاسلام ، لا من يحكمون
حسب شهواتهم [ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون] أم لغير
ذلك ، فما هو ؟

أرأيت لو أجازت الحكومة - أية حكومة كانت - الاصدار والاستيراد ، وحياسة الارضين ... وما اليها مما تقدم ... فكم يقدر تقدم العمران ، ورخص الاسعار ، ورفاه الناس ، ونجاتهم من الاغلال الموضوعة عليهم ، وعمارة الارض ! بالاضافة الى استغناء الحكومة عن جهاز كبير من أجهزة الكبت والتقييد . لا ، بل أجهزة متعددة :

جهاز الجمارك .

جهاز الضرائب .

جهاز التسوية وما اليها .

جهاز الاراضي .

وغيرها ... وغيرها ...

وبعد ذلك : فهل الثروة في ظل الاسلام حرة مزدهرة ، أم في ظل النظم القريية وما يتبعها ؟ وهل الانسان أكثر تمنعاً بخيرات الارض والسماء والبحار ... في ظل الاسلام وشريعة السماء أم في ظل الحكومات التي تطبق دساتير الأرض وقوانين البرلمانات ؟

هذه هي الثروة الاسلامية ... وهذه كيفية استخراجها .

هل هناك ثروة محرمة في الشريعة ؟ ولم التحريم ؟

سؤالان جديران بالبحث .

أما الإجابة عن السؤال الاول : نعم ... حرمت الشريعة الاسلامية أقساماً من الثروة ، نلح اليها بإيجاز .

وأما الإجابة عن السؤال الثاني : ان علة التحريم هي الضرر العام أو على خصوص المتعاطى ومن اليه .

والثروة المحرمة هي :

١ - الربا - الذي يعبر عنه اليوم بـ (الفائض) - .

والاسلام يحرمه تحريماً لا هوادة فيه ، وهل سمعت بأعظم تحذيراً من قوله تعالى : [اتقوا الله ، وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين ، فإن لم تفعلوا فإذنوا بحرب من الله ورسوله] ؟ حرب مع الله ورسوله ! والربا بكل صورته ، وبأي اسم محرم في الشريعة ... وان تقمص اسم (المصارف) أو (البنوك) ورأيت الناس يدخلون فيها أفواجا ! وهو إن بدأ ، بادىء ذي بدء ، بدأ ضيلاً ، لكنه - كما في كتاب الاقتصاد - « عصب الرأسمالية ودعامتها الراسية » لأن الربا لا يكون إلا في المجتمع المضطرب فيه الثري الذي نقوده أكثر من نفقاته وتجارته ، وفيه المحتاج الذي سدت في وجهه السبل ، فلم يجد منفذاً يرتقى منه أينما اتجه ، حتى للتجأ الى المعاملات الربوية ، بدافع الحاجة والاضطرار وإن حسن الفائز كل يوم ، لكنه كالمقدم على الانتحار ، وهكذا الربا ينمو ويزيد أضعافاً مضاعفة ، فما هي إلا سنوات وحق تتسرب ثروات هائلة من أنامل الكادحين الى مخازن المترفين .

وكم نعرف أناساً أقدموا على الديون الربوية لترميم بيوتهم ، أو مصانعهم ، ثم عصفت أزمات اقتصادية ، عاقتهم عن أداء الديون ، وتضاعف الربا عاماً بعد عام ، حتى أخذت المصانع والبيوت من أيديهم ، وضلوا يلفظون حياتهم في سلسلة من الحسرات والمعبرات !

فهذا الفائض يستمتع به صاحب المال ابتزازاً ، يتحين ساعة احتياج الناس ... إنه العرق والدماء ، يلغ فيهما بنهم وشراهة ، لا لشيء إلا لأنه صاحب المال ... والاسلام الذي يقدر العمل ويجعله السبب الأساسي للربح ، لا يعترف بهكذا أموال ... ولا يعرفها إلا سرقة قانونية ، لأن المال بنفسه لا يولد المال ، وإنما الجهد والعمل يحصلان على الفائدة ، فيجب أن تعود غلة الجهد لصاحب الجهد وأن يعود المال مفرداً لصاحب المال .

وهناك الخطر الجاثم خلف إباحة الربا هو : تهديد الوسائل لتضخم رؤوس

الأموال ، بلا جهد وكفاح في سبيله وتكاثر الفقر والفقراء ! ومعنى ذلك توزيع المجتمع طبقتين متباعدتين : طائفة من المترفين البطالين ، يعتمدون على الربا في تنمية أموالهم بلا حساب ، وفرقة الكادحين المتسولين ، يقترضون بالربا ، في العسرة ، ثم يعوزهم الأداء ، فيصبح المجتمع أشبه بكفتي الميزان تملو الطبقة المثيرة الفاجرة ، كلما يشيع الفقر ، ويزداد الفقراء ، (١) .

وإذا تفكك المجتمع بهذه الصورة ، لا بد وأن تقوم اضطرابات ... ثم اضطرابات ... ثم ثورات ... ثم حروب تزهق النفوس وتهلك الضرع والزرع ... ولا أدل على ذلك من الحركة (الماركسية) التي ولدت في المجتمعات الربوية ... كما فعلت الاضطرابات الناجمة من قسوة الربا وبؤس العمال ومن اليهم ... ذروتها - كما يدل على هذا (رأس المال) الماركسي - .

والبشرية الى اليوم منذ أكثر من نصف قرن تعاني آثار هذه النكبة الهوجاء ، التي عصفت بملايين من البشر - بدون أي ذنب - سوى أن الرأسماليين يحبون تضخم ثروتهم ، ولذا فإن الشيوعية التي قامت في روسيا ، واستغلها (لينين) توظيفاً لزعامته حرمت أول الأمر (الربا) ، ولكن بعدما استولوا على الجهاز ، اباحوه بكل صلابة ووقاحة ، فإذا بهم (شهاب الدين ...) بالنسبة الى الغرب الكافر ، وها هي الدول الضعيفة - التي امتص دماءهم الغربيون - تزرع تحت وطأة (اقوتهم) التي يأخذونها بامم (فائض) الأموال أو البضائع التي أصدروها اليهم باسم (القروض) كي تكفل بالنسبة الى هؤلاء الدول الضعيفة خاتمة المأساة فكان لسان حال هذه الدول الصغيرة :

(أكل الأبعدون لحمي ، وجاؤا . مدعو النجو . . ثم مصوا عظامي) .

(١) الوعي الاسلامي : ج ٢ .

٣ - الاحتكار :

أ - من احتكار الأرض ، فلا تعمر إلا بإذن من القوي أو الشيخ ...
أو الدولة ... أو من اليهم .

ب - واحتكار الشعب الذي يسمى بـ (الحمى) .

ج - واحتكار الاختصاص ، الذي يسمى بـ (الامتياز) .

د - واحتكار الطعام .

هـ - واحتكار الفضاء والماء .

فإن كل هذه الأقسام ، مضرّة بالصالح العام ، منافية للحريات المعقولة ،
وتقييد للثروة بدون أي مبرر ، وقد قرر الإسلام حرمة هذه الأقسام من
الاحتكار .

قال رسول الله ﷺ : (من أحبب أرضاً مواتاً فهي له) .

وفي حديث : (لا حمى إلا لله ورسوله) .

(الناس مسلطون على أموالهم) .

وفيه ويروي النبي ﷺ عن جبرائيل عليه السلام قال : (اطلعت على النار ،
فرأيت وادياً في جهنم يغلي ! فقلت : (يا مالك لمن هذا ؟ قال لثلاثة :
المحتكرين ، والمدمنين للخمر ، والقوادين) .

أما الخامس من أقسام الاحتكار ، فإنه وإن لم يرد فيه نص يشجبه -
صراحه - لعدم تعارف هذا القسم من الاحتكار في زمن الرسول والأئمة ،
إلا أن النصوص الواردة بشأن الانتفاعات عامة شاملة له ولغيره ، كهذه
النصوص :

[أحل لكم صيد البحر وطعامه ، متاعاً لكم وللسيارة ، وحرّم عليكم
صيد البر ما دمتم حرماً] أما بعد الاحرام فيجعل [وإذا حللتم فاصطادوا]
[يسألونك : ماذا أحل لهم ؟ قل أحل لكم الطيبات ...] [فامشوا في

حناكبها ، واكلوا من رزقه [] خلقت الاشياء لأجلك [الى كثير... وكثير ... من أمثالها .

٣ - الأكل بالباطل :

أ - رشوة كانت .

ب - أو غلولا .

ج - أو غصباً .

د - أو تطفيفاً .

هـ - أو استملاكاً .

و - أو ضرائب خارجة عن نطاق الاسلام .

ز - أو أكل للحقوق المقررة للاسلام ، وعدم دفعها الى اربابها .

ح - أو سرقة .

يقول الاسلام : (الراشي والمرتشي كلاهما في النار) . ويقول : [ومن يغفل يأتِ بما غل يوم القيامة] . ويقول : لا يحل لأحد ان يتصرف في مال غيره إلا بإذنه . ويقول : [ويل للمطففين] . ويقول : [ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل] . وغيرها ...

٤ - المعاملات المحرمة :

أ - من غش .

ب - من ثمن خمر .

ج - او خنزير .

د - او قيادة

هـ - او قمار .

و - او لهو .

ز - او ما اشبه هذه الامور ، مما هو مذكور في الكتب الفقهية .

فإن هذه الامور محرمة في الشريعة ، و (إن الله اذا حرم شيئاً حرم ثمنه)
- كما في الحديث - .

وإذا احصيت المحرمات في الشريعة الاسلامية ، رأيتها اموراً ضارة تفسد
الافراد والمجتمعات ، إما فساداً جسيماً كالخمر والخنزير وما اليهما ، وإما فساداً
روحياً كالربا والاحتكار وما أشبههما ... فإنها تورث البغضاء والعداوة
ونحوها ... وإما كبتاً واستغلالاً وتقييداً واضراباً ، كالحدود والجمارك
والامتيازات وما اليها ... والاسلام يريد المجتمع نشيطاً ، والفرد حرراً ،
والتجارة منطلقة ، والاجسام صحيحة ، والافكار مستقيمة ، والنفوس طرية ،
والارواح منبسطة .

اما الكبت والاستغلال ، اما الاستئثار والاستعمار ، اما العبودية والأغلال ،
اما الأجسام المريضة والعقول الآسنة والأرواح العفنة ، والمجتمع المتفكك ...
فليست من الاسلام ، وليس الاسلام منها .

هذه هي الثروة الاسلامية ، وهذه مواردها ومصادرها ، وهذه حدودها
وقيودها ... فهل ترى فيها انحرافاً عن سنن الطبيعة ؟ ام هل تراها تنافي
الحرية والانطلاق ؟ ام فيها استغلال واستئثار ؟ ام هل فيها نقص يحتاج الى
التكامل ، ام تعدد يفتقر الى التعديل ؟

كلا ، إن نظامها من عند الله [ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه
اختلافاً كثيراً] .

وليست الثروة الاسلامية ، في ظل دساتيره وقوانينه ، شيئاً غير مجرب ، حتى يشك في انها بهذه الحدود والمزايا . هل هي قابلة التطبيق ؟ ام هل يعيش المجتمع في ظلها في رفاه وسعة ؟ ... بل لقد طبقها المسلمون ، طيلة قرون ... واجيال... واجيال... فلم يجنوا منها إلا خيراً وبركة ، ورفاهاً وغنى ، وحرية وانطلاقاً .

فهل للعالم ان يرجع الى صوابه ، ويأخذ بهذا النظام ؟ ... وهل للامم ان تدين بدين الاسلام ، حتى تعود اليهم السعادة ؟ ...

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

عبادات الاسلام

تمهيد

ينقسم اصحاب المبادئ والاديان السائدة في العالم اليوم الى قسمين : قسم يهتم بالروح ويغفل عن المادة فلا يرى للملاذ الجسمية ، والمباهج البدنية ، وما يحتوي الانسان من منازة ومناظر ، اية قيمة وهذا القسم يؤول امره بالأخرة الى الفرار عن المجتمع نحو العزلة والترهب وبذلك تفسد المدنية ، وتهدم الحضارة ويتوقف الرقي وتذبل زهرة الحياة الدنيا ، وبالأخرة يختل التوازن .

وقسم يهتم بالمادة ، فلا يعبد الا اياها ، ولا يعير الروح اي اهتمام ، فهو في تعبير الحياة دائم فلا يزال يبني المدن ، ويجعل الانظمة ، ويقنن القوانين ، ويظهر اثر هذه الحضارة ، في ميادين البناء والحروب ، وبذلك يهمل امر الروح ، ويكون المجتمع حينئذ كالتورم المحمر ، الذي يعجبك جسمه ورواؤه ، لكنه يشكو آلاماً واسقاماً ، ولا يزال يستفعل الخطر حتى تتوالى الحروب وتفسد الارض ومن عليها .

وقد رأى الانسان في عهده الطويل هذين القسمين ، ولمس الويلات التي جرتها الجماعات المتطرفة على انفسها : فقد فسدت المدنية وذبلت زهرة العيش ، في عهود سيطرة الكنيسة الروحية - الروحية المخترعة - كما فسدت الحضارة ، وساور الناس الفقر والقلق والمرض ، في عهود سيطرة المادة ، التي يعبدها العالم المتمدن ! اليوم وفي كثير من القرون الماضية .

والانسان حيث كان مركباً من روح وجسد ، مشتملاً على عقل وعاطفة وجسد وجوارح ، لا يقوم اوده ولا تتوازن اطرافه ، اذا كانت القيادة المسيطرة عليه ، المسيطرة روحية وجسمية ، ويكون المبدأ الذي يدين به ناظراً الى اطراف الحياة المتشعبة ، وتكون القوانين ، عادلة تشمل نواحي الروح ، الى جنب كونها تعني بشؤون المادة .

وفي هذا فقط تنمو الملكات ، وتزدهر الحضارات وترتقي المدنيات ويأخذ كل شيء حظه من الحياة والازدهار .

والمبدأ الذي نظر الى الكون هذه النظرة المستوعبة ووضع القوانين الكافية ، وشرع الانظمة المكتملة ، ليس إلا الاسلام - والاسلام وحده - فهو اذاً سعادة الآخرة ورفاه الدنيا .

والاسلام كمعجون مفعوله اصلاح الانسان ، ليعيش آمناً مطمئناً وينتقل الى الدار الآخرة سعيداً مثاباً ، وكما تختلف اجزاء الدواء كمية وكيفية ، فكذلك الاسلام تختلف مقوماته ، فمن الصلاة ركعات ومن الصيام أيام ، ومن الحج افعال ومن الزكاة والخمس مقادير ومن البيع والرهن والنكاح والطلاق والحدود والديات حدود وكيفيات .

وبهذا المجموع المركب يسعد الانسان أما لم جعلت الصلاة سبع عشرة ركعة ؟ وما سبب كون الخمس من الخمسة واحد ؟ وما العلة في جعل الحج مرة في العمر ، والصيام في كل سنة ؟ وأي داع لكون عدة الطلاق كذا ، وحد شرب الخمر كذا ؟ وهكذا فيما لا يعلم وان علمنا الخطوط العريضة للاحكام .

وكثيراً ما يذكر بعض العلل في لسان الادلة فيظن الغر انها لو تخلفت انتفى الحكم ، ولكن ليس كذلك ، أفهل يخرج الطبيب عن كونه طبيباً اذا لم ينفع علاجه في مريض أو مرضى ؟ او هل تخرج الشمس عن كونها مضيئة

إذا انكسفت لعارض ؟ أو هل يسلب عن الانسان الحرية اذا تصرف شخص من نوعه تصرفاً سيئاً ؟

ان الامور جعلت على طبائع الاشياء وشذوذ فرد أو أفراد غير ضائر . وكذلك بعض الاحكام ، فكون الحكمة في العدة عدم اختلاط المياه مع احترام الزوج - مثلاً - لا يوجب تخلف الحكم اذا علمت الزوجة بعدم الحمل أو كان بمن لا يستحق التجارة . وهكذا . وهكذا . ثم ان الاسلام ينقسم الى خمسة اقسام : الاصول . والعبادات . والاخلاق . والمعاملات . والأحكام .

فالتوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد والجنة والنار وسؤال البشر وما اليها .. من الاصول . والصلاة والصيام ، والحج والزكاة وما اليها من العبادات .

والصدق والوفاء ، والجود والامانة ، وما اليها ، من الاخلاق والبيع والرهن . والمزارعة . والمساقاة . ونحوها . من المعاملات والحدود والقضاء والقصاص والديات . واضرابها من الاحكام .

وكما لا تكتمل الدار إلا بتمام مرافقها من غرف وسطوح ، وماء وكهرباء .. كذلك لا يكتمل الإسلام إلا بتطبيق جميع جوانبه ، على الحياة العملية : الفردية والاجتماعية أما من يصلي ولا يصوم .. او يحج ولا يزكي ، او يأخذ بالاحكام دون الاخلاق .. أو ما الى ذلك فليس من صميم الاسلام ، وإنما هو في جانب ، فلا يحمل تبعه اختلال توازن الحياة على الإسلام ، وإنما التبعة على نفسه ، حيث أخذ بناحية دون ناحية ، كمن يأخذ ببعض الدواء دون بعض وربما انعكس الامر فصار الاسلام الناقص وبالأعلى عليه وكان مثله كمن ركب طائرة غير مكتملة الاجهزة فإنها ربما سقطت بمن أقلتهم .

وإنما في هذه الكراسة نبغي أن نستعرض جانباً من جوانب الإسلام الخمسة ، وهو العبادات التي جرت العادة بتعدادها عشرة : الصلاة .

والصيام . والحج . والزكاة . والخمس . والجهاد . والأمر بالمعروف . والنهي
عن المنكر . والتولي . والتبري .

لكن لا على ضوء العلم الحديث كما هي العادة في الكتب المصرية غالباً وإنما
على ضوء الكتاب والسنة في إطار العقل غير الملتاث بشوائب التقاليد الجامدة
أو التقاليد السيالة التي مني بها الشرق الإسلامي منذ ان وضع المغرب الكافر
أقدامه في ارض الاسلام .

وما ينبغي التنبيه عليه ان ما ذكرنا من تقسيم الاسلام ليس إلا تقسيماً
سطحياً وإلا فمن الحق أن نقول : ان العبادة سارية في جميع الأحكام
الاسلامية وكذلك الاخلاق ونحوها ، فالصدق عبادة وخلق شريف والصلاة
خلق فاضل الى جنب كونها عبادة والنكاح والبيع واضرايها وان أمكن
أن يؤتى بها جوفاء بدون القربة ودون لحاظ مالها من معاني انسانية سامية
وخلق رفيع إلا ان الاسلام يجبذ فيها جميع النواحي حق فكون خلقاً
وعبادة وحكماً ومعاملة . وهكذا يشاء الاسلام .

وقد جربنا نحن المسلمين وجرب معنا غيرنا المبادئ والأديان فلم نرَ
في غير الاسلام السعادة والرفاه ولم يكن ذلك عرضاً طارئاً بل لقد امتدت
دولة المسلمين في رقعة فسيحة من الأرض ربما بلغت النصف أو الأكثر وطال
حكهمهم - بما في كثير من حكاهمهم من الخروج عن السنن - قرابة ثلاثة
عشر قرناً فلم نرَ فيه إلا الأخلاق الفاضلة والحرية بتمام معانيها والمعاني
الانسانية والحق والعدل .

أما الأديان الأخرى فيكفي أقل المام بالتاريخ لأن نطلع على مدى
ضررها على المجتمع البشري حيث كانت سائدة وهذه قرون اوربا الوسطى
حيث سيطرة الكنيسة تدل على ما كان يرسف فيه البشر من قيود واغلال

وفتك وظلم وظلمات وكذلك كثير من نواحي الشرق حيث سيطرة البوذية
والبرهمية والأوثان .. وما إليها .

وأما المبادئ فأمام أعيننا ديمقراطية هتلر وستالين وموسليني ونابليون .
كما ننظر إلى بحار الدماء والدموع ونسمع فرقعات الصواريخ والمدافع ونلمس
اطلال المدن المبعثرة في شظايا ودماء .

وكل ذلك ولم يمس على سيطرة المبادئ - على العالم - غير
نصف قرن .

وسيظل العالم يتخبط خبط عشواء حتى يستعيد قيادة الاسلام
والله المستعان .

الصلاة

الانسان بطبعه ميال الى الشهوات ، يسلس قياده لملاذ الحياة الدنيا ، وكلما ازداد عباً من الهناء الآسن ، ازداد عطشاً ونهماً ، حتى تكون حياته كحلقة مفرغة من اللذة الخسيسة ، والشرة الدني ، وربما فتح الانسان عينه بعد ما مضى من عمره خمسين سنة او اكثر ، فيرى نفسه بين حانة وخبور ومومسات وفجور ، وكذب ورياء وغش ، وظلم وارتشاء وموبقة ، فيكون حاله كالمرقظم في احوال غضة كلما اراد أن يخرج منها ، ارتكس فيها من ام رأسه .

ومثل هذه الحياة لا تستحق من التقدير إلا ما يستحق المجرم من اهانة وتعذيب . والجماد خير من هذا الحي ، فانه وان لم ينفع لكنه لم يضر ، أما من يضر نفسه ومجتمعه ، وجسمه وعقله ، فهو لثم حري بأنواع الذلة والهوان .

وهناك امراض تطراً على النفس تؤدي بها الى الهلاك كالقلق والتوتر ، والخوف والارتباك ، وما اليها ، ولا ينفع لطردها مال وجمال ، وقوة وعزة ، ولذا ترى الاقوياء الاثرياء .. اكثر ابتلاءً بهذه المخاوف .

والصلاة ، التي هي صلة بين الفرد وبين الله ، تضرب بهذين الامرين - والفساد والقلق - عرض الحائط ، فان من يقف أمام أعظم

الملوك ، واقدر القادرين ، كل يوم خمس مرات ، ثم يذكر فضله ونعمته ، ويتذكر أوامره ونواهيه ، ويرى نفسه في قبضته ، لا يكون شيء الا بأمره ، يقطع عن الفساد فلا يأثم ولا يحرم ، وبطمئن بالله فلا يقلق ولا يخاف ، ألا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، ومن يؤمن بالله يهد قلبه .

يقول الله تعالى : ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، اذ الفحشاء لا تأتي إلا من نفس غافلة ، والمنكر لا يعمل إلا لاه عن الحق والصلاة بما فيها من ذكر وقراءة ، وقنوت وخضوع تذكر بالله العظيم الذي له ملك السماوات والأرض ، وتعرض نعمه واحسانه وتوجه الى امره ونهيه وبذلك يقطع العبد عن الشهوات وينقطع عن المنكرات .

وليس المراد أن كل مصل لا يأتي بالمنكر ولا كل آت بالفحشاء لا يبطل فكم من مصل وهو منغمس في الشهوات مرتطم في اللهو والعبث بل المقصود ان الصلاة بطبيعتها الأولية مانعة عن الرذيلة وان عرضت لها عوارض تسلبها هذه الخاصية ، كالقلب الموصد والنفس السوداء .

وهكذا كما يقال : العقار الكذائي يمنع الحمى انه ليس العقار العلة الوحيدة مائة في مائة وانما طبيعة العقار هكذا اذا لم يصرفه عن طبيعته صارف ولم يحل دون مفعوله حائل .

وهكذا حال كل قضية طبيعية مثلا نقول : فلان مهندس او فلان طبيب أو الشمس مضيئة ، لا نريد أن الأول يعرف كل بناء ، والثاني يشفي كل مريض ، والشمس تضيء ولو في حال الكسوف .

إذا فالصلاة التي تؤتى بشروطها مع الخلو عن الموانع تنتج رفع الفساد بكافة أنواعه ويحرم ألوانه ، لا ان كل صلاة كذلك ، وهنا نذكر بعض ما للصلاة من خصوصيات حتى يقرب إلى الذهن ما نحن بصدده من ان الصلاة الجامعة للشرائط تنفي الفحشاء وتنهي عن المنكر .

قال الإمام الرضا عليه السلام - في جواب من سأله عن علة الصلاة - :
 « ان علة الصلاة انها اقرار بالربوبية لله عز وجل ، وخلع الانداد ، وقيام
 بين يدي الجبار جل جلاله بالذل والمسألة والخضوع والاعتراف والطلب للاقالة
 عن سالف الذنوب ووضع الوجه على الأرض كل يوم اعظماً لله عز وجل وان
 يكون ذا كراً غير ناس ولا بطر ويكون خاشعاً متذلاً ، راغباً طالباً للزيادة
 في الدين والدنيا مع ما فيه من الإيجاب والمداومة على ذكر الله عز وجل
 بالليل والنهار لئلا يذسى العبد سيده ومدبره وخالفه فيبطر ويطنى ويكون
 في ذكره لربه وقيامه بين يديه زجراً له عن المعاصي ومازماً له عن أنواع
 الفساد . »

ولنقف قليلاً عند جملة من هذه الرواية :

« اقرار بالربوبية لله عز وجل وخلع للانداد . »

اعتراف وتوحيد ومن اعترف بالله رأى نفسه تحت مراقبته فلا يطنى ولا
 يعمل كما توحى اليه شهواته ولا يفسد ولا يطنى أيطنى ويفسد وهو مخلوق
 مربوب ، له مالك يحاسبه ويعاقبه؟! ومن وحد الله فلا إله إلا هو خرج عن
 اسار الخرافة وابتعد عن نير الضلالة والحق فالجوس تعتقد بإلهين والنصارى
 تقول بألهة ثلاثة وبعض الفلاسفة تقول بقدماء خمسة ، ومشركي العرب كانت
 تعتقد بما ينوف على ثلثمائة إله وهكذا . . وهكذا . حتى بلغ عدد الآلهة عند
 الهند الأقدمين ، ثلثمائة وثلاثين مليوناً ! انه عدد جنوني ! ولكنه كان
 - بالرغم من ذلك - كما يحدثنا التاريخ . وبعد هذا ألا يكون الاعتراف
 بالاله الواحد - كما تشتمل عليه الصلاة - اعترافاً بالحق وخروجاً عن
 الخرافة والجهل ؟

« وقيام بين يدي الجبار بالذل والمسألة والخضوع . »

ان الحضور بين يدي ملك عادي لا يملك إلا بضعة أميال من الارض ولا

يحسك إلا على مئات ألوف من البشر موجب لانطباع في النفس يكتفها الى حيث اتجه ذلك الملك وقديماً قيل : « المجالسة مؤثرة » انك لو حضرت أمام حاكم يحب العدل ويعمل به فلا بد وانك تتأثر بفكرته فتطبع على حب العدل ، وبالعكس لو مثلت بين يدي أمر يظلم ويرتشي فلا بد وان تضال جريمة الظلم والارتشاء أمام عينك . فكيف تكون حالك اذا قمت بين يدي الله : الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن الجبار العليم القدير . . انه لا شك يؤثر فيك ويغير اتجاهك إلى كل خير وكل ذل ومسكنة في النفس ويؤثر هذا الأمر بدوره في الملكات النفسية فتطبعها بطابع الحق والتواضع والنظام والانقياد .

« ويكون في ذكره لربه وقيامه بين يديه زخراً له عن المعاصي ومانعاً له عن انواع الفساد » .

الإنسان لو علم انه لا بد وان يحضر عند من يعلم سريره ويرى علانيته كان ذلك رادعاً له عن ارتكاب مخالفات تسقطه في عين من يحضر عنده - هذا اذا كان من أفراد الناس - فكيف اذا كان كبيراً يرجو منه النفع ويخاف منه الضرر ؟ انه لا بد وأن يحتمل سخطة ويعترض رضاه اذاً : فما الحال اذا علم الانسان بأنه سوف يحضر عند مالك الملوكة ومن بيده حياته وموته وصحته ورزقه وكل شيء حق انفاسه وألحاظه ؟ أفلا يكون هذا التذکر وهذا القيام زاجراً له عن المعاصي ومانعاً عن الفساد ؟

* * *

والصلاة بالاضافة إلى كونها مذكرة بالرب العظيم وناهية عن الفحشاء والمنكر تجدد ذكرى الرسول وآله وفي ذلك ما فيه من توثيق الصلة بين الناس وبين نبيهم الذي هو مصدر سعادتهم ومنبتق مدنيتهم وحضارتهم وذكره يحفزهم إلى استطلاع حاله والاستئناسه بأقواله او الاستضاءة بعلمه والافتداء به في كل فضيلة ومكرمة .

ولهذا تجب الشهادة لمحمد (ص) بالرسالة والعبودية في كل صلاة مرة او مرتين والصلاة عليه وآله ويستحب ذكره بالصلاة في الركوع والسجود وما اليهما .

وإلى هذا أشار ابو عبدالله الصادق (ع) « قال هشام بن الحكم سألت أبا عبدالله (ع) عن علة الصلاة فان فيها مشغلة للناس عن حوائجهم ومتممة لهم في أبدانهم ؟ قال (ع) فيها علل وذلك ان الناس لو تركوا بغير تنبيه ولا تذكر للنبي (ص) بأكثر من الخبر الأول وبقاء الكتاب في أيديهم فقط لكانوا على ما كان عليه الأولون ، فإنهم قد كانوا اتخذوا ديناً ووضعوا كتباً ودعوا أناساً إلى ما هم عليه وقتلوا على ذلك فدرس أمرهم وذهب حين ذهبوا وأراد الله ان لا ينسيهم امر محمد (ص) ففرض عليهم الصلاة يذكرونه كل يوم خمس مرات ينادون باسمه وتعبدوا بالصلاة وذكر الله لكيلا يغفلوا عنه فينسوه فيندرس ذكره . »

فلولا تنبيه مستمر ولولا تذكر للنبي (ص) بل كان ما لديهم هو ما سمعوه من الخبر عن النبي (ص) وما رأوه مرة او مرات في كتبهم من ذكره (ص) لدرس امر النبي (ص) كما درس الأنبياء السابقون ألا ترى ان الأنبياء كما في الأحاديث : مائة وعشرون ألف وأربعة آلاف ومع ذلك لا يعرف اسم احد منهم إلا عدد قليل لا يبلغون المائة .

ان الدنيا قامت على التكرار فلولا تكرر طلوع الشمس لما نبتت الأرض ولولا تكرر وصول الماء الى الأشجار لما اينعت وأثمرت ولو تكرر ايصال الغذاء الى جسم الحي لهلك . ولولا تكرر العلوم لما حفظت ولولا تكرر الذوق واللمس وما اليهما لم تخزن الألوان والطعوم وما اليهما في الحافظة وهكذا . وهكذا . والصلة بين الناس والنبي لا تدوم إلا بالتكرار والتذكر المستمر وخاصة اعتراف محمد (ص) بالعبودية والرسالة وهذا مما يحفز على

السؤال : ما معنى العبد ؟ وما معنى الرسول ؟ رأيت ان التمثال المنصوب يلقي في النفس ظلاً عن الممثل وانه رجل عظيم وذلك بوجوب السؤال : من صاحب هذا التمثال ؟ وهكذا ذكر شخص بالعظمة .

وبهذا النحو من الذكر والتكرار تبقى الرسالة طرية والرسول مورد اقتداء واتساء . وهذا رأس حلقة الفضائل والسعادة في الأولى والاخرى . وبالمجمل للصلاة فوائد نذكر منها أربعة :

- ١ - تذكير بالخالق العظيم .
 - ٢ - توثيق الصلة بين المسلم وبين نبيه وذلك رأس الفضائل .
 - ٣ - تطهير للنفس عن الأدران ورواسب المعاصي والمنكرات وتنزيهاً عن افتراء الآثام فيما بعد ولقد شبه رسول الله (ص) الصلاة بالنهر الجاري الذي يغتسل منه الشخص وهل يبقى بعد الاغتسال على الجسد درن ، فالنهر يطهر الأوساخ الجسدية والصلاة تنظف القذارات النفسية .
- روى الإمام الصادق عن أبيه الباقر (ع) انه قال : (قال رسول الله «ص» : لو كان على باب دار احدكم نهر واغتسل في كل يوم منه خمس مرات ، أكان يبقى في جسده شيء من الدرن ؟ قلت لا . قال : فان مثل الصلاة كمثل الماء الجاري كلما صليت صلاة كفرت ما بينهما من الذنوب ، ولا يزعم زاعم ان معنى هذا الحديث أن يعترف الشخص كل اثم ، ثم يصلي وصلاته كفارته ، ان هذا المعنى بعيد عن منطق الاسلام وكلام رسوله ، بل المراد ان الذنوب الطائفة التي قد تجمع النفس ثم يندم مرتكبها مثل هذه الذنوب الشاردة تغفر إذ فيها يستغرق العبد ويتوجه الى الرب فيرى ضالة نفسه ومهانتها وهذه هي التوبة .

أما (صلاة المنائر) فهي تزيد الذنوب ولا تنقصها واليك :

ذهب رجل إلى مسجد الكوفة وقصد أن يصلي صلاة فارغ القلب بحضور

وخشوع ، فشرع في الصلاة وإذا به يتوجه الى ان هذا المسجد العظيم لا منارة له ، فأخذ يفكر في موضع المنارة وكيفية بنائها وما يتطلبها من المصارف ، والوقت الذي يستغرقه إنجازها . وهكذا ولما قال : « السلام عليكم ورحمة الله وبركاته » تمت المنارة الخيالية .

وإذا به يتوجه الى ان هذه الصلاة كانت حافلة بكل فكر غير فكر الصلاة .

٤ - طرد للاقلق الذي يعترض النفس . فان النفس لا تزال تجيش وتهجم عليها الأفكار خصوصاً إذا كان الشخص من رجال الأعمال ولا تفتر تلاحقه الأفكار السيئة والخطرات السوداء ، حتى ان هذه الخواطر لا تدعه في النوم .

والصلاة بحضور البال - كما هو المأمور - تزيح الأفكار عن الذهن وتعوّض عنها بسبجات إلهية وهدوء وسكون وراحة واطمئنان .

ولهذا ورد في الحديث : « ان النبي (ص) اذا هاجمه الحزن - وهو في وقت الصلاة - قال لبلال : أرحني يا بلال ، يريد أن يؤذن ليصلي فينصرف عن أحزانه .

وهنا نشير إلى فصل اقتطفناه عن العلم الحديث لفوائد الصلاة الكثیر التي منها طردها للاقلق مما نحن الآن بصدده .

(غاندي) هو من عرفه العالم بتحرير الهند من نير الاستعمار ، وكان هو بنفسه من دعاة (اللاعنف) وقد قاسى من المصاعب والمتاعب ، وقد كان خليقاً به أن يكون معتوهاً عن معاناة هذا العبء الثقيل لو لم تشد ازره الصلاة انه يقول : « بغير الصلاة كان يتحتم ان أغدو معتوهاً منذ أمد طويل » .

ويقول (كارينجي) مؤسس معهد العلاقات الانسانية بنيويورك الذي هو وحيد طرازه في العالم المتمدن اليوم ، حين تستنفد الخطوب كل قوانا أو تسلبنا الكوارث كل ارادة ، غالباً ما نتوجه غمرة اليأس الى الله فلماذا بالله تنتظر حتى يتولانا اليأس ؟ لماذا لا نجد قوانا كل يوم بالصلاة والحمد والدعاء .

ويقول المهامي (جون انطوني) بمدينة (هوستون) بولاية (تكساس) بعد ما يحدث عن نكبته التي مني بها حتى اشرف على الانتحار : (.. ثم خطر لي ان اتجه الى الله وأبته شكواي فرحت اصلي واضرع اليه سبحانه أن ينير بصيرتي ويسدد خطاي في هذا الظلام الكثيف الذي يكتنفي من كل جانب وان يوفقي من عملي عسى أن أجد من المال ما يمك رمق زوجتي وأولادي وما إن فرغت من صلاتي وضراعتي حتى حدثت معجزة فقد زال عني توتر أعصابي وتلاشت مخاوفي وانقضى قلقي واستشعرت شجاعة وأملًا وإيماناً .) ثم يذكر انه كيف أقبل عليه العمل والمال ببركة الصلاة التي أوحى بالطمانينة والسكون .

ويقول البطل (جاك دمبشي) : (انه لا يأوي الى مضجعه قبل أن يتلو صلواته ولا يتناول طعاماً حتى يحمد الله الذي وهب اياه وانه لا يفتأ يردد الصلوات والدعوات اثناء تدريبه على الملاكمة وقبل كل جولة يخوضها) .

ويقول الدكتور (الكسيس كاريل) لعل الصلاة هي أعظم طاقة مولدة للنشاط عرفت الى يومنا هذا وقد رأيت بوصفي طبيباً كثيراً من المرضى فشلت العقاقير في علاجهم رفع الطب يديه عجزاً وتسليماً تدخلت الصلاة قهرتهم من علمهم ان الصلاة كمعدن (الراديوم) مصدر للاشعاع ومولد ذاتي للنشاط وبالصلاة يسعى الناس الى استزادة نشاطهم المحدود حين يخاطبون القوة التي تهيم على الكون ويسألونها ضارعين ، أن تمنحهم قبساً منها يستعينون به على معاناة الحياة ، بل ان نجد الضراعة وحدها كفيلة بأن تزيد

قوتنا ونشاطنا ، وان نجد احداً تضرع الله مرة ، إلا عاد التضرع اليه بأحسن النتائج) .

ويقول الدكتور (توماس هايسلوب) : (ان اهم مقومات النوم التي عرفتھا في خلال سنين طويلة من الخبرة والتجريب هو الصلاة وأنا القى هذا القول بوصفي طبيبياً، فالصلاة هي أهم وسيلة عرفت الى الآن لبث الطمأنينة في النفوس ، وبث الهدوء في الأعصاب) .

ويقول الدكتور (ادوين فردريك باورز) استاذ الامراض العصبية ، بالولايات المتحدة : امكن ابراء كثيرة من الأمراض المعدية في وقت قصير مدھش بالنسبة لقصره ولكن بقطع النظر عن جميع معجزات العلاج التي تمت في دنيانا هذه ما زالت هناك معجزات اخرى في ابراء المريض والأعرج والكسيع والأعمى لا يمكن تعليلها ولا ينفع فيها العلاج الطبي ، أو الجراحي أو السكولوجي أو الاهتزازي فهناك ألوف الحالات التي لم يجد فيها اشهر الأطباء وأشدهم فطنة أدنى بارقة أمل والتي تم فيها مع ذلك شفاء المرضى واستعادتهم الصحة والعقل خلال معجزة من معجزات الصلاة) .

وهذه الأقوال انما اوردها لا للاستشهاد والاستدلال بها بل اشارة الى ان ما يخالف الإسلام يعترف بفوائد الصلاة من هذه الناحية وان كانت الصلاة عندنا وعندهم مختلفة في الكيفية والمزايا .

وللصلاة في الشريعة الاسلامية آداب : واجبة ومندوبة .

منها الأذان والاقامة .

تبتدىء بها قبل الدخول في الصلاة .

والمقصود من ذكرهما هنا ليس الحكم الفقهي العملي بل الالمح الى ما انطوت عليه من القيم العليا .

فالأذان صورتها : ١ (الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر) .

للانسان في الحياة : نفس . وأهل . ومال . وجاء .

والله أكبر من نفس الانسان فهما دار الأمر بين أن تذهب كلمة الله أو تزهق النفس فالله أكبر . بل يجب تقديم النفس ضحية في سبيل ابقاء الاسلام والدين .

والله أكبر من أهل الشخص فاذا كان ولا بد من تضحية الأهل في سبيل الدين أو العكس كان الأول مقدماً .

والله أكبر من مال الشخص فاذا توقف سلامة الدين على بذل المال لزم لأن الله أكبر .

والله أكبر من جاء الفرد ومنصبه فاذا توقف سلامة الدين على التخلي عن المنصب وجب لأن الله أكبر .

والله أكبر من جاء الفرد ومنصبه فاذا توقف سلامة الدين على التخلي عن المنصب وجب لأن الله أكبر .

وهنا تذكرت ظريفة بهذا الصدد لا بأس بذكرها وهي : (حيث كان رئيس الحكم في بعض البلاد الاسلامية في نشاطه المموم ضد الاسلام والقرآن يقتل رجال الدين ويشردم ويفلق ابواب المساجد ليفتح عوضها الحانات والمباغي وينتهك حرمت الاسلام إلى غير ذلك من ألوف الجنايات والحيانات على الاسلام والوطن الاسلامي شاء أن يعلن اجبارية السفور على النساء المسلمات واقتضت خطته المدبرة في (لندن) مزرعة الجلالات المضادة للدين أن يأمر كل صنف بحضورهم مع نساءهم متبرجات في حفلة يعقدها رئيس الصنف حتى وصلت النوبة الى العلماء فطلب هو أحد العلماء المنصوبين من قبل البلاط وقال له : انك تعلم احساني اليك ولطفي لك وسوابق خدمتي لبيتكم

والآن يجب عليك بصفتك أكبر العلماء أن تعقد حفلة تدعو فيها مختلف رجال الدين مع نساءهم سافرات وإلا صيرتك عبرة لغيرك وأخذ يفرغ جام غضبه الاستعماري على الدين ورجاله لو لم يمثل له الأمر !

فاستمهله الرجل الديني الكبير ، إلى غد فامهله وفور خروجه عن دار الرئيس ركب السيارة نحو دار عالم آخر من أكبر رجال الدين والسياسة هناك ، وبعد ما استقر به المجلس فاتحه الكلام واستشاره في الموضوع بعد ما ذكر له الخطر المحدق به ، لو لم يمثل اوامر الرئيس .

قال له (السيد العظيم) اعلم ايها الأخ : ان لنا (مالا) و (نفساً) و (عرضاً) و (ديناً) والواجب علينا أن نفدي أنفسنا بأموالنا ، ونفدي اعراضنا بأنفسنا ، ونفدي ديننا بأعراضنا ، وليس أكثر من هذا ، فدعه يصنع معك ما شاء له غروره من نهب مالك وازهاق روحك واذية اهلك ودع دينك سالماً فان امتثال مثل هذا الأمر وأد الدين ، خصوصاً اذا كان المقدم على ذلك ملك ممن له المقام الرفيع عند المسلمين ، وأعلم انه ان فعلت ذلك انتقم الله منك أشد الانتقام ، ولم يكن لك ناصر في الأرض ولا في السماء .

قال (الامام) فاطمأننت الى كلامه ، وعزمت على ذلك ، ولو كنت اعلم ان ثمنه يكون بأعلى ما عندي ، وأخيراً لما قابلت (الطاغية) ذكرت الأمر مستسلاً لقضاء الله وقدره ، لكن الله رد كيده ولم يزد على بضع كلمات من السباب - على ما هو عادته - ثم قال : ان ما ذكرت ليس من عندك ، وانما هي من ذلك الشيطان : (يقصد السيد) وسبه بما يليق بنفس السباب ، ثم عدت إلى داري وجلاً خائفاً ولكن الله رد كيده ، ونصر ناصر دينه كما وعد ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم .

وبهذا حفظ رجال الدين من هذا العار الذي لولاه كانوا اذل وأخزى والله المستعان .

وفي الحقيقة ، قام هذان البطلان بمقتضى (الله أكبر) .

ومما يجدر بالذكر أن نشير الى قصة (الشورى) وموقف أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام فيها وهي : « ان الامبراطورية الاسلامية المترامية الاطراف ، التي كانت قوية شابة تتحفز إلى الامام برجالها ومالها وسيادتها ورقاهها ، ومبادئها الانسانية وقيمه الخلقية وما إلى ذلك .. جعلت في كفة من الميزان ، وكلمة صغيرة ، وهي كذبة بسيطة يقولها الامام (ع) لينال هذا المنصب الخطير ، جعلت في كفة اخرى ، حين قالوا له : (نبأيمك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين) قال (ع) : أما كتاب الله وسنة رسوله فنعم وأما سيرة الشيخين فلا . وبذلك افلت من يده الخلافة الظاهرية بمالها من جاه ومال وامر ونهي .. ولم يكن مورد المقابلة إلا كلمتين فقط : (سيرة الشيخين) وكان بإمكانه ان يقول وينال الخلافة ثم يقلب ظهر المجن ، كما فعل غيره لكن لم يفعل » .

وهذا معنى العمل بمقتضى (الله أكبر) من المال والجاه .. لا نكذب ليغضب الله لننال جاهاً ولو كان الجاه امبراطورية عظيمة ومن هنا وألوف امثالها .. تتجلى عظمة الامام (ع) .

(اشهد ان لا إله إلا الله ، اشهد ان لا اله الا الله) .

(اشهد ان محمداً رسول الله ، اشهد ان محمداً رسول الله) .

(اشهد ان علياً ولي الله اشهد ان علياً ولي الله) على الاستحباب

للروايات العامة .

هذه الفصول الثلاثة ، لتقوية صلات المسلم بالله الواحد ، الذي ليس له شريك : مادة كانت ، أو وثناً ، أو صنماً ، أو انساناً أو جماداً أو حيواناً أو نباتاً أو نحوها .

ونبيه العظيم : «ص» ليس نبياً كذباً كسميلة وسجاح ولا مرمياً بما هو بريء منه كالألوهية التي تزعمها النصارى للنبي الكريم عيسى (ع) .

وبإمامة خليفة رسول الله «ص» : علي أمير المؤمنين (ع) .

فقد اشتملت هذه الفصول الثلاثة على ثلاثة من الأصول : التوحيد والنبوة ، والامامة .

(حي على الصلاة ، حي على الصلاة) .

(حي على الفلاح ، حي على الفلاح) .

(حي على خير العمل ، حي على خير العمل) .

وهذه الفصول دعوة الى (الصلاة) التي هي صلة بين العبد وبين الله .

وإلى (الفلاح) بما تشتمل عليه هذه الكلمة من معنى : فلاح الدنيا فلاح

الآخرة ، فلاح عن الجهل والفقر والمرض فلاح عن القلق والخوف والانهيار .

وإلى (خير العمل) وأي عمل خير من عمل يصلح الجهاز النفسي عامة الذي

هو مصدر الخير والشر في العالم .

(الله اكبر الله اكبر) .

(لا اله الا الله لا اله الا الله) .

عود على بدء وتجديد لتوثيق الصلة بالله الواحد الذي هو أكبر من كل

شيء ارساءاً لدعائم الايمان في قرارة النفس حتى لا تتزعزع بالرياح الهوجاء

التي تهب من اليمين والشمال لتكسح نبات الايمان المزيف من أصله .

(وللإقامة) هذه الفصول بأدنى تفاوت .

وهما - بالجملة - من أفضل وأجمل دعوات عرفها العالم إلى يومنا هذا

دينية كانت أم غيرها فقد اخترع اليهود النفخ في الأبواق اوقات عباداتها

وهو اشبه بمهزلة صبيانية منها بطقوس عبادية والنصارى تعلن عن عباداتها

بضرب (الناقوس) من سمع صوت الناقوس ثم قايس ذلك بالأذان علم البون الشاسع بين الاعلامين فالأذان : شهادات بالاصول ودعوات إلى الفلاح والصلاة وخير الأعمال بفصول جاذبة قصيرة اخاذة والناقوس ضرب من الموسيقى وهو لهو ولعب .

وفي الحقيقة ان الشخص لو دخل مدينة اسلامية - لم تطغ عليها الاهواء فتتمعي معالم الاسلام فيها - اوقات الصلاة طرق مسامعه اصوات الأذان الجذابة من كل ناحية وجانب حتى ليشعر انه في وسط روحانية لا تدرك مداها النفس وقد ندب الإسلام إلى الأذان بوحى من الله تعالى ليكون دعوة للمسلمين الى الصلاة ، عن منصور بن حازم « قال ابو عبدالله « ع ، لما هبط جبرائيل بالأذان على رسول الله «ص» كان رأسه في حجر علي (ع) فاذن جبرائيل وأقام فلما انتبه رسول الله «ص» قال : يا علي سمعت ؟ قال نعم . قال حفظت ؟ قال نعم قال : أدع لي بلالاً نعلمه فعله ، .

والقصد من انتباه الرسول رجوعه عما كان يطرأه حالة الوحي - كما هو معروف - .

والصلاة : تبتدىء بتكبيرة الاحرام (الله اكبر) وتنتهي بالسلام (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) .

وبينهما قراءة وتسييح واذكار وحركات خاصة كلها لتطهير الروح وتنشيط الجسم وتقريب النفس الى الله العظيم .
وهكذا يكون سياق الصلاة :

(الله اكبر) فلا شيء اكبر من الله وقد تقدمت الاشارة الى تفسيرها - في الأذان - .

(بسم الله الرحمن الرحيم) كان المشركون يبتدؤون كل حركة وسكون باسم اصنامهم فكانوا يقولون : باسم اللات باسم العزي باسم هبل . وكانت النصراني تبتديء باسم المسيح « ع » لاعتباره الإله الوسط والحكومات الملكية تبتديء باسم الملك والحكومات الشعبية التيوقراطية تبتديء باسم الشعب فتقول: باسم الشعب وهكذا كل يبتديء بما يراه مصدر القوة .

فأمر المسلمون أن يبتدئوا باسم الله الذي هو الخالق الرازق ملك الدنيا والآخرة بيده أزمة الأمور وهو مصدر كل خير وعمل و (الله) اسم خاص له تعالى لا يشاركه فيه أحد ولذا خص بالابتداء .

و (الرحمن الرحيم) صفتان كررتا مرتين في البسمة وفي الحمد تقريباً للناس إلى الله تعالى في قبال من كانوا يصورون الله تعالى - سواء منهم أهل الكتاب وغيرهم - بما له من قسوة وغلظة يعذب الناس حسب مشتهاه ولا يرحم صغيراً ولا مسكيناً ولا فقيراً ولا ضعيفاً .

(الحمد لله رب العالمين) هو رب كل شيء يربيهما حق تصل الى دورها الكامل رب الماء والهواء والأرض والسماء والبرد والحر والدفء والضياء والانسان والحيوان والنبات والجماد ورب ما يرى وما لا يرى انه المستحق الوحيد للمحمد لانه مصدر كل خير .

(الرحمان الرحيم) سبق الكلام فيهما .

(مالك يوم الدين) يوم الجزاء فحساب كل أحد عنده فهو المبدأ وهو الوسط وهو المنتهى وهذه الآيات تفيد هذه الأمور الثلاثة وبعد ذلك فلم لا يعبد ولا يستعين به ؟ فان الانسان انما يخضع لأحد ثلاثة اشخاص : أما من يبدأ بالنعيم ، وأما من يتعاهده حتى يصل إلى كاله المنشود ، وأما من يكون المصير اليه ، والله تعالى هو الأول وهو الثاني وهو الثالث .. فهو اللائق بالعبادة والاستعانة دون سواه فهو إله وهو رب وهو المعاد اليه ، اذا :

(اياك نعبد ، و اياك نستعين) خطاب للإله المحيط بكل شيء فهو حاضر في كل زمان ومكان ، والعبادة هي الخضوع: المطلق بتمام معنى الكلمة ولذا لا يسمى مجرد احترام أحد : عبادة ، والاستعانة طلب العون ، وحيث حذف المتعلق أفاد الكلام العموم أي نستعين في كل شيء !

(اهدنا للصراط المستقيم) الصراط المستقيم من كل شيء، من عادة وعبادة، وعمل وعلم وخلق وعشرة والانسان معرض للانحراف في كل خطوة من خطى حياته ولذا لا ينافي طلب الهداية مع كون الشخص مسلماً مهدياً .

(صراط الذين أنعمت عليهم) حتى نكون معهم فالانسان بعضه من بعض وبالاجتماع - حتى على الحق - تزدهر الانسانية وتسير الى الامام ، ولذا يؤتى بصيغة المتكلم مع الغير .

(غير المغضوب عليهم ولا الضالين) الذين كان من اظهر مصاديقهم اليهود والنصارى الامتان الكبيرتان، اللتان اخذتا طريق الانحراف والزيغ، فغضب الله على احدهما ، وضلت الاخرى فإنا مسلمون لا نميل الى احدهما .

ثم يقرأ الانسان بعد (الحمد) سورة من القرآن كي تتجسد صلته بكتابه الحكيم ويستفيد من غيره وعظاته ، وقصصه وآياته ويتقوى بإيمانه التليد ، ولذا يستحب التنوع في السور ، حتى يفترف المسلم من مناهل المعارف ، ويتعرف الى مختلف كلام الله تعالى .

ثم يركع خاضعاً خاشعاً ومن المشاهد ان الانحناء الى حد الركوع خضوع لمنحنى لأجله ، وعلى هذا نرى ان الفرد ينحني قليلاً - أو يرمي بالرأس فقط - إشارة الى عظمة الطرف المقابل ويقول في الركوع (سبحان ربي العظيم وبحمده) تنزيهاً للإله العظيم الذي صغر المسبح اجلاً لاله ، والتنزيه مقارن بالحمد ، فالاله منزه منعم فهو مسبح محمود .

وبعد ذلك يأتي دور السجود الذي لا خضوع فوقه واذا تصور الانسان فرداً ألقى بنفسه على الارض تعظيماً لاحد الكبراء عرف مقدار الخضوع

المنطوي عليه السجود ، وكلما ازداد الشخص خضوعاً ازداد التسبيح علواً ،
ولذا نقول هنا : (سبحان ربي الاعلى وبحمده) فهناك خضوع أقل ولذا
يقول في الركوع (العظيم) وهنا خضوع أكثر ولذا يقول في السجود :
(الاعلى) .

والقنوت طلب ودعاء يصحبهما الخشوع بمد اليدين يعرف ذلك الشخص
حين يرى أحداً مد يده نحو غيره للاستعطاء .

والتسبيحات الاربعة (سبحان الله والحمد لله ، ولا اله إلا الله ، والله
أكبر) تنزيه وتحميد واعتراف بالوحدانية وتكبير لله تعالى فتأكد الصلة
ويتعظم الرب في نفس العبد ، وتنمو ملكة حسنة عليها يبني كل خير .
والتشهد والسلام : شهادة بالوحدانية وبالرسالة مع عنابة تقديم لفظ
(عبده) على (رسوله) وصلاة على محمد وآله الذين هم وسائط الحق ، وسلام
على النبي المنقذ والعباد الصالحين وجميع الاولياء .

لقد حرص الاسلام كل التحريص على الصلاة ورغب في اقامتها كل ترغيب ،
وهدد التارك بما تقشعر منه الجلود ، وتنقرز منه الاجسام ، ذلك ابقاءً على
الصلة بين الله وبين العبيد لئلا يطغوا طغياناً يفسد دنياهم واخرامهم ، ان من
يصلي كل يوم خمس مرات ، ويذكر الله بالمعظمة ويسبحه ويحمده ، ويخضع
أمامه ، راکعاً ساجداً ، لا بد وان ينتهي عن الغي ولا بد وان يستقيم في
أعماله وأفعاله ، فلا يظلم ولا يؤذي ولا يحتكر ولا يأكل أموال الناس بالباطل ،
ولا يفصب ولا يسرق ولا ... ولا ...

وبذلك قتهذب نفسه ، وتسمو روحه ، ويسود النظام اطواره واحواله ،
واذا كان كل فرد كذلك ، يكون الاجتماع هادئاً منظماً ، تسوده الالفه ،
وتترف عليه السعادة والكمال .
وهناك قصتان واقعتان ، وقعت احدهما قبل أربعين سنة تقريباً ،

والثانية قبل بضع سنوات لها الدلالة الكافية للترابط بين الصلاة والاجتماع وبين الصلاة وسمو الروح .

فالاولى : « كان عمال روسيا القيصيرية - وهم يدينون بالنصرانية طبعاً - دخلوا ايران لبعض المصالح فاستأجر أحد مهندسيهم عمالاً ايرانيين لبناء أو ما أشبه وكان هؤلاء - بطبيعتهم الاسلامية - يتركون العمل أوقات الصلوات ، وبعد ما يقيمونها ، يرجعون الى العمل ، فلم يرق ذلك للمهندس الروسي ، وحذرهم بأن من يفعل ذلك ، سوف يقطع عن راتبه مقداراً معيناً في الاسبوع ، وهنا انقسم العمال الى قسمين قسم أصر على اداء الصلاة في أوقاتها كما كانت العادة وقسم انحرف مع كلام المهندس ، فكان يؤخر الصلاة الى آخر الوقت ليؤديها بعد الفراغ عن العمل ، وفي نهاية الاسبوع حيث تعطى الرواتب أعطى المهندس رواتب العمال الذين اتبعوا كلامه على المقدار المعين المقاول عليه وأعطى رواتب الآخرين الذين التزموا بصلواتهم أوائل الاوقات أكثر من المقدار المعين ! فاعترض العمال الذين سمعوا كلامه قائلين : كيف تعطي هؤلاء أكثر مع انهم عصوك وتعطينا المقدار المقرر مع اننا أطعمناك ؟! فأجابهم قائلاً : ان اصرار هؤلاء على صلاتهم ، واعراضهم عن رواتبهم يدل على رسوخ دينهم في أفئدتهم ومثل هؤلاء لا يخونون العمل كما لم يخونوا صلاتهم فاني من هؤلاء على يقين ومنكم على شك ، .

ان من يصرف النظر عن مقدار من راتبه لأجل أمر مندوب وهو الصلاة في أول الوقت هل يعقل ان يخون صاحب العمل لأجل التحصيل على مقدار من المال ؟

والقصة الثانية ينقلها احد الأصدقاء بقول : « لي ابن عم من التجار وخط سيره التجاري بين ايران وأوروبا حدث مرة ان سافر الى أوروبا للتجارة ، وفي احدى المطارات حيث ينتظر الطائرة كي تتحرك ، التفت الى أن الوقت لم يبق منه ، إلا مقدار ان يصلي الظهرين ولو ركب الطائرة ، غربت الشمس

قبل الوصول الى المقصد فبدأ بالصلاة واذا بالطائرة بكل ركباها ، وتريد الطيران ، ولما افتقدوا لهذا الشخص صبروا له هنيهة ، وفرغ هو من صلاة الظهر ، ثم قال للمدير : لا بد لي من ان أصلي العصر ولو طارت الطائرة ، وكلما أراد المدير ان يقنعه بضرورة الركوب والا كان اللازم ان يصرف النظر عن أجوره ، اذ بقاء الطائرة خرق للقانون المهدد لوقت الطيران لم يقتنع ، وبدأ بصلاة العصر ولما ان أتم الصلاة قال له المدير : انا خرقنا القانون لأجل إيمانك بمبدئك ، اذ من يصرف النظر عن أجور الطائرة الضخمة لأجل مبدئه ودينه لرجل حري بالاعظام ... ثم ركب الطائرة بفارغ الصبر ، وقد اكتسب احترام الجميع .

وفي الحقيقة كان الأمر كما قال المدير : ان من يصرف النظر عن مثل هذه الأجور لأجل الصلاة رجل حري بالاعظام .

وكيف كان الأمر : فالصلاة صلة اذا تأكدت ازداد الشخص من الفضائل قرباً ، ومن الرذائل بعداً ، واذا وهت كان الأمر بالعكس هذا بالاضافة الى انه شكر لحال عظيم ، أنعم بالوجود والحياة والصحة والرزق والامن والسعادة وما اليها مما لا يحصيه العادون ولا يؤدي حقه المهتدون . اننا ربما نشكر من قدم لنا حاجة بسيطة لا تسد من الحياة إلا فراغاً صغيراً ولو لم نشكره كنا مخالفين لضمائرتنا مبتعدين عن القيم الانسانية فكيف لا نشكر - بالصلاة ونحوها - خالقنا ورازقنا ومن يسبيغ نعمه الظاهرة والباطنة علينا طيبة حياتنا ؟! انه جفاء محض وكفران صريح !

ولذا ورد في الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة الذم الاكيد على تارك الصلاة والمستخف بها .

قال زرارة قال أبو جعفر عليه السلام : « لا تنهاون بصلاتك فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال عند موته : ليس مني من استخف بصلاته . ليس مني من شرب مسكراً . لا يرد علي الخوض لا والله ! » .

وقال أبو بصير قال أبو الحسن الأول عليه السلام: ولما حضرت أبي الوفاة قال لي: يا بني انه لا ينال شفاعتنا من استخف الصلاة.

وقال أيضاً: دخلت على أم حميدة أعزبها بابي عبداً لله عليه السلام فبكت وبكيت لبكائها. ثم قالت: «يا أبا محمد لو رأيت أبا عبداً لله عليه السلام عند الموت لرأيت عجباً، فتح عينيه ثم قال: «اجمعوا كل من بيني وبينه قرابة قالت: فما تركنا أحداً إلا جمعناه فنظر إليهم ثم قال: ان شفاعتنا لا تنال مستخفاً بالصلاة.»

وقال جابر قال أبو جعفر عليه السلام: «الصلاة عمود الدين مثلها كمثل عمود الفسطاط اذا ثبتت العمود ثبتت الاطناب والاقواد واذا مال العمود وانكسر لم يثبت وتد ولا طناب.»

والحق انها كذلك، ان من يصلي كل يوم خمس مرات يتوجه الى الله تعالى، ومن توجه اليه تعالى لا بد وان يأتي بسائر الواجبات ويترك سائر المحرمات الا الشاذ وهو لا يقاس عليه، أما من يجرؤ على ترك الصلاة فما يجرؤ على اطاعة أوامر الله تعالى؟ والعرف العام عند المسلمين شاهد على ذلك فالانسان اذا نظر الى المصلحين والى غيرهم، لرأى قلة الجنائيات في الطائفة الاولى وبالعكس لمس كثرة الجنائيات في الطائفة الثانية، فشاربو الخمر ولاعبو القمار ومنتهكو المحرمات وخارقو العفاف... الى غيرها... توجد بوفرة في تارك الصلاة وهذا المعنى مما يلح اليه الحديث الوارد عن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «قل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يزال الشيطان ذعراً من المؤمن ما حافظ على الصلوات الخمس لوقتهن فاذا ضيعن تجراً عليه فأدخله في العظيم.»

ولقد صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد رأينا من ترك الصلاة لا يلبث إلا ويستخف بسائر المحرمات ويفتلك المحرمات حتى وصل الحال الى

بعضهم بالانسلاخ عن الدين وكانوا كما قال الله تعالى: « ثم كان عاقبة الذين أساءوا
السوئى ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون . »

ان الصلاة كمقابلة لرئيس الحكومة - في أقل الفروض - فكما ان من يريد
المقابلة لا بد وان يكون نظيف البدن طاهر الثياب ويكون حال التكلم
متوجهاً الى ما يقول متحريراً جودة الألفاظ واثابة التعبير وسلامة الاسلوب .
وكذلك المصلي يلزم ان يراعى بدنه وثيابه ومحلّه ولسانه . وفوق ذلك يلزم
ان يراعى قلبه فان الله مطلع على القلوب عالم بالضمائر فاذا كان في قلبه رياء
أو سمعة أو هواجس لم تقع الصلاة موقع القبول .

قال الحلبي قال الصادق عليه السلام « اذا كنت في صلاتك فعليك
بالخشوع والاقبال على صلاتك فان الله تعالى يقول (الذين هم في صلاتهم
خاشعون) » .

وروى ابن ابي عمير عن سمع أبا عبدالله عليه السلام ، يقول « من صلى
ركعتين يعلم ما يقول فيهما انصرف وليس بينه وبين الله ذنب إلا غفر له » .
وقال يونس بن ظبيان قال أبو عبدالله عليه السلام « اعلم ان الصلاة حجة
الله في الارض فمن أحب ان يعلم ما أدرك من نفع صلاته فليتنظر فان كانت
صلوته حجزته عن الفواحش والمنكر فإنما أدرك من نفعها بقدر ما احتجز ومن
أحب ان يعلم ما له عند الله فليعلم ما لله عنده » .

وقال علي عليه السلام « لا يقوم أحدكم في الصلاة متكاسلاً ولا فاعساً ولا
يفكرون في نفسه فإنه بين يدي ربه عز وجل وانما للمعبود من صلاته ما أقبل
عليه منها بقلبه » .

بل أكثر من هذا ان الصلاة بتفكير وحضور بال خير من صلوات كثيرة
بدونها .

فمن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « ركعتان خفيفتان في تفكير خير من قيام ليلة » .

وقال الامامان الصادق والباقر عليهما السلام: « انما لك من صلاحك ما اقبلت عليه منها فان اوهما كلها أو غفل عن آدابها لفت فضرب بها وجه صاحبها » .

هذا بشأن طهارة النفس حالة الصلاة .

أما طهارة البدن والمكان عن النجاسة والغصيبة وما اليهما .

فمن الامام جعفر بن محمد عليه السلام قال: « لا تصل في جلود الميتة وان دبغت سبعين مرة » .

وزوى محمد بن القاسم الطبري عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته الكيل: « يا كميل انظر فيما تصلي وعلى ما تصلي ، ان لم يكن من وجهه وحله فلا قبول » .

وعن عمار عن أبي عبدالله عليه السلام: « سئل عن الموضع القدر يكون في البيت أو غيره فلا تصيبه الشمس ، ولكنه قد يبس الموضع القدر ؟ قال : « لا يصلى عليه ، واعلم موضعه حق تغسله » .

وقد روي عن الامام الصادق عليه السلام انه قال : « قال الله تعالى : انما اقبل الصلاة ممن تواضع لعظمي ، ويكف نفسه عن الشهوات من أجلي ، ويقطع نهاره بذكرى ، ولا يتماظم على خلقي ، ويطعم الجائع ، ويكسو العاري ، ويرحم المصاب ، ويؤوي الغريب ، فذلك يشرق نوره مثل الشمس ، اجمل له في الظلمات نوراً ، وفي الجهالة علماً ، اكلاه بعزتي ، واستحفظه بملائكتي ، يدعوني فألبيه ويسئلي فأعطيه فمثل ذلك عندي كمثل جنات الفردوس ، لا تبس ثمارها ولا تتغير عن حالها » .

هذه هي الصلاة المأمور بها ، أما صلاة اللاهي الساهي أما صلاة من لا يفعل ما يأمر الله به ، أما صلاة شارب الخمر ، القاطع للمرحم الغاش للناس ، الفاعل ما ينافي مبادئ الاسلام ، أما صلاة من يصلي في النجس ، أو على النجس ، أو مع بدن نجس ، أو في المنصوب أو عليه ... أما... أما الصلاة في هذه الحالات فهي صورة جوفاء لا روح لها ، وأفضل مثالها الميت : ان جسمه تام ، ولكنه لا يقوم بما يقوم به الانسان ، بل هو أشبه بالجماة !

ثم ان الصلاة لما كانت مقابلة لله تعالى واستعطافاً به واستعانة منه ينبغي للمصلي ان يكون في كمال الوقار والاحترام بملابس نظيفة تشيخ الجلال ، وبرائحة طيبة ، وخشوع وانصات .

قال الامام الصادق عليه السلام : « الصلاة بطيب أفضل من سبعين صلاة بغير طيب » . وعن أبي الحسن عليه السلام قال : « كان يعرف موضع سجود أبي عبدالله عليه السلام بطيب ريحه » . وعن عبدالله بن الحارث قال : « كانت لعلي بن الحسين عليه السلام قارورة مسك في مسجده فاذا دخل في الصلاة أخذ منه فتمسح به » . أقول وقد تبع الامام عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك ، فمن أبي عبدالله عليه السلام قال (كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ممسكة اذا هو توضأ أخذها بيده وهي رطبة فكان اذا خرج عرفوا انه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برائحته) .

وعن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تعالى (خذوا زينتك عند كل مسجد) قال ! (أي خذوا ثيابكم التي تزينون بها للصلاة في الجمعات والاعياد) . وروى العياشي (ان الحسن بن علي عليه السلام كان اذا قام للصلاة لبس أجود ثيابه) ف قيل له : يا ابن رسول الله لم تلبس أجود ثيابك ؟ فقال (لأن الله جميل يحب الجمال فأتجمل لربي ، وهو يقول خذوا زينتك عند كل مسجد فاحب ان البس أجود ثيابي) .

حق ان المرأة يستحب لها ان تصلي في حليها فمن جعفر عن أبيه عن علي عليهم السلام قال (لا تصلي المرأة عطلا) .

هذه قطرة من بحر آداب الصلاة وعللها، كيف لا ؟ وقد ورد ان للصلاة أربعة آلاف حد ومن المعلوم، ان هذه الحدود والآداب ، لها عللها الاجتماعية والنفسية والدينية بل حتى الاقتصادية والسياسية ... وخصوصاً صلاة الجماعة التي هي من أبرز مظاهر المسلمين وقوتهم وشوكتهم واتحادهم ومساواتهم.. أمام رب العالمين الذي يقول: (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) فلا فضل عنده لأحد وان كان زعيماً أو ثرياً إلا بالتقوى .

المصوم

هذا العالم الواسع الذي نراه بالعين ونلمسه باليد : من السدم الى الذرات .. ومن النجوم الزاهرة إلى حبات الرمال الكدرة بما بين قين من انسان وحيوان ونبات ، وماء وهواء وضياء .. يطوي مراحل إلى الوجود ثم يطوي مراحل إلى العدم وهكذا دواليك .

وليس هذا اعتقاداً بأن الكون كان طاقة ثم تبدل ثم يتبدل ثانياً إلى الطاقة .

كما يقوله من أنكر وجود الله أو ضعف لديه المنطق فظن ان الطاقة يعقل أن تكون أزلية .

بل ما نذكره اعتقاد : بأن الله سبحانه خلق الكون من العدم وأوجد الشيء بعد ان لم يكن . لكن نقول :

لنأخذ كل موجود نراه أو وصل اليه العلم :

فالانسان - مثلاً - كان تراباً ثم نزل عليه الماء فاهتز وانفلق إلى نبات فربي النبات حتى قام على سوقه فانقسم إلى مأكول حيوان ومأكول انسان والحيوان بدوره صار طعاماً للانسان فاذا به ينمقد نطفه إلى ان صار انساناً .

ثم هذا الانسان يموت ، فينقلب تراباً .

ولعل من ترابه يصنع نباتاً ، وحيواناً وانساناً - ثانياً - . اذا ..
فالعالم : عالم وجود وعدم ، ولذا يعبر عنه الحكماء بعالم (الكون والفساد)
اي يتكوّن الشيء ثم يفسد .. وهناك فارق بين الأعمار ، فعمر الانسان
أقل من عمر بعض الحيوانات وعمرها أقل من عمر قسم من النبات : كأرز
لبنان ، وعمر النبات أقل من عمر بعض الجبال ؛ حتى يصل الأمر إلى اعمار
تقاس بملايين السنين ولعل من الأعمار ما لا تدخل تحت مقاييس حسابنا ،
وان كان العدد بطوله اللانهائي يحوي كل عمر .

وإذا تحقق ان الكائن بين الوجود والعدم .

نعود لنقول :

ان كل موجود له حالتان : حالة صلاح وحالة فساد . فالماء اذا كان عذباً
غراتاً كان صالحاً ، وإذا كان ملحاً اجاباً كان فاسداً والنبات اذا كان نضراً
بهيجاً كان صالحاً واذا اصفر وذبل كان فاسداً وهكذا والشيء كلما كان
أصلح كان أكثر نفعاً في نظام الحياة .

والانسان لا يخرج عن هذا القانون العام فان الانسان الصحيح المتوازن
في جسمه وعقله وعاطفته ، أفضل من الانسان المريض المحتل نواحيه الانسانية .

ان الإنسان الصحيح :

- ١ - ينفع نفسه ، ويكون في بهجة وفرح وسرور .
 - ٢ - وينفع المجتمع الانساني بعمه وفكره وتوجيهه .
 - ٣ - وينفع الحياة - بصورة عامة - في اصلاحها وبنائها .
- ولذا كانت الصحة - يحوانبها الثلاث - :

أ - الجسدية .

ب - العقلية .

ج - العاطفية .

من أهم ما يهتم بها الانسان فرداً وجماعة شعباً ودولة ، علماً وجاهلاً .

وليس علم الطب : إلا لتقويم الانسان من ناحية الجسد .

وليس علم النفس : إلا لتقويم الانسان من ناحية العقل (النفس) .

وليس علم الأخلاق: إلا لتقويم الإنسان من ناحية العاطفة .

والاسلام بما انه دين الإنسان والحياة .. يهتم بناحية الصلاح في كل شيء

ولذا نراه انه قرر برامج لكل ما يتأتى للانسان اصلاحه :

ففيه برامج للزراعة والعمارة .

وفيه دساتير للحيوان .

وفيه أنظمة للانسان مما يزخر بها الكتاب والسنة ويطلع بها الفقه

الاسلامي - بمعناه الواسع - .

والصوم :

الذي نحن بصدده .. من خطوط الإسلام العريضة التي وضعها للاصلاح

العام .

اصلاح البشر جسدياً ، وعقلياً ، وعاطفياً - اولاً - .

واصلاح ما يتمكن البشر من اصلاحه مما يكون في تناوله من مناحي

الكون .

وهنا سؤالان يفرضان أنفسهما :

١ - ما هو ربط الصوم بالاصلاح العام ؟ . أفهل امسك بضع ساعات من

الصباح إلى المساء يولد هذا الأمر الهائل : اصلاح البشر . واصلاح ما في

حتناول البشر ؟

٢ - لو كان في الصوم هذه الطاقة المهولة ، فلماذا نرى هذا التأخر في المسلمين بينما نرى التقدم في أتاس لا يصومون كأهل الغرب والشرق ؟ .

والجواب :

ان الصوم مرتبط بالاصلاح العام وليس هو العلة الوحيدة في الاصلاح العام فهو كآلة في جهاز كامل لا انه الجهاز كله فان الاسلام بجميع جوانبه ، جهاز كامل للاصلاح والصوم من ذلك الجهاز .

افهل نرى ان الطائرة انما تطير اذا كملت آلاتها وأجهزتها ولو نقص منها شيء لم تطر وكانت حرية أن تصنع من صفحاتها جدر البيوت ومن آلاتها اعواضاً لما افتقدتها السيارات وما اشبه ؟ .

والصوم في الجهاز الإسلامي الكامل له هذا المثل .

انه عضو رئيسي في الاصلاح أما هو وحده ، أو مع بعض اجهزة اسلامية اخرى فلا يكون مثله إلا مثل الطائرة لا يصلح إلا بقدر .

وخذ مثلاً آخر :

الانسان وعضاؤه الرئيسية .. فالقلب ، والرئة ، والكلى ، والمخ ، والكبد وما اليها .. هي اجزاء رئيسية لا يصلح البدن إلا بكل واحد واحد منها .

فلو قلنا : القلب جهاز رئيسي يقوم بدور هام في صلاح البدن . ليس معنى ذلك ان القلب وحده - او مع بعض الأجهزة الأخرى - يتمكن من أن يقوم بوظيفته وانما المقصود ، ان القلب جهاز كبير في ضمن الجهاز البدني العام ، به يصلح البدن لو كان مكتمل الاجزاء والاعضاء .

وكذلك : الرئة . والكلى . و . و .

والصوم كذلك .. انه خط عريض للصحة الانسانية والصلاح الحياتي لكن

ليس معنى ذلك انه الصوم وحده يكون له هذا المفعول وانما الصوم يقوم بدوره في ضمن جهاز الاسلام العام .

وأما كيف يكون الصوم كذلك ؟

فجمله انه يعدل الانسان في جسده ونفسه وعاطفته وبتعديل الانسان يتعدل النطاق الذي يعيشه الانسان داخله من سائر الامور الكونية .

وسنلمح في الفصول القادمة إلى بعض مفعولات الصوم حتى يتبين الارتباط بينه وبين الصلاح العام .

بقي الكلام .

في انه كيف ان المسلمين مع التزامهم قليلاً أو كثيراً بالصوم تأخروا وغيرهم مع عدم اتيانهم بهذا الواجب تقدموا ، مع ان القاعدة تقتضي العكس ؟ .

والجواب للبند الأول من السؤال ظهر من الكلام السابق : فان الصوم آلة في جهاز عام . فالتأخر ليس من ناحية هذه الآلة السالمة وانما هو من ناحية سائر الآلات المتفككة المبعثرة .

ومن المثالين السابقين يظهر ذلك بوضوح .

فان عدم طيران الطائرة ليس لاجل الجناح السالم ، وانما لأجل فقد الوقود مثلا .

وعدم حياة الانسان ليس لأجل القلب السالم وانما لاجل الرئة المصابة مثلا . فالتأخر في المسلمين ليس لأجل انهم يصومون بل لاجل انهم لم يأخذوا بتعاليم الإسلام كجملة كاملة ، وانما أخذوا بعضاً وتركوا بعضاً .

فترامهم .. يصومون ولا يزكون .

ويصومون ، ولا يأخذون بنظام الإسلام في السياسة .

ويصومون ولا يأخذون بدستور الإسلام في الاجتماع .

ويصومون ، ولا يأخذون بمنهاج الإسلام في باب المواطن والاجانب .

وهكذا .. وهكذا .

وإذا كان فقد آلة واحدة في طائرة ذات ألوف آلات جديراً بها ان لا تطير .

وإذا كان فقد عضو واحد في انسان ذي ألوف أعضاء حقيقاً به ان لا يبقى حياً .

ففقد أنظمة ودساتير ، ومناهج وقوانين ، من الاسلام اجدر بأن لا يتمكن من تسيير الحياة نحو الصلاح والكمال .

وأما البند الثاني من السؤال : وهو كيف تقدم الاجانب وان لم يكن الصيام من برامجهم ؟
فلنا أن نسأل :

وما هو تقدمهم ؟ وما الدليل على ذلك ؟

احربان عالميتان ، تهلك الحرث والنسل ، وتجري انهر الدموع وبجار الدماء ، وتحرق الرطب واليابس - كل ذلك في ظرف نصف قرن - دليل التقدم ؟

أم الثورات المتلاحقة ، والاضطرابات المتسلسلة والاضرابات المتتالية والمهاترات في الاذاعات والصحف دليل التقدم ؟ .

أم الاستعمار العسكري بقتل الوف الناس ، للاستغلال والاستعمار ، والاستثمار ، وانزال صنوف العذاب والآلام على ائاس آمنين دليل التقدم ؟ .

أم ارهاب العالم ، القنابل النيوترونية والهيدروجينية ، والصواريخ والاسلحة الاستراتيجية والوسائل الحربية الابدائية دليل التقدم ؟ .

أم امتصاص دماء الشعوب الضعيفة ، بشق وسائل الخداع والمكر دليل التقدم ؟

أم حروب الجرائم والمكروبات ، دليل التقدم ؟ .

أم . وأم . وأم ؟ .

نعم . تفوق الغرب في الآلة ليس محل انكار .
لكن دعنا لنسأل :

آلة ، واضطراب .. أفضل ، أم هدوء بغير آلة ؟ .

ثم .. ومن الذي جعل المسلمين متأخرين - في هذه الناحية : ناحية الآلة -
ليس هم المستعمرين الذين حالوا - بالسلح والاستعمار - دون اختراع
المسلمين واستفادتهم من ادمغتهم الخصبة وأراضيهم الوسيعة الممتلئة بالمعادن
ومواد الحياة والثروة ؟

والحديث في هذا الباب طويل ، لندعه إلى محل خاص به لنرجع إلى
الصوم الذي نحن - الآن - بصدد البحث عنه .

ولنعرف - أولاً - :

ان الصيام ، عبارة عن : الإمساك عن المفطرات العشرة التي هي :

١ - الأكل

٢ - الشرب

٣ - الجماع

٤ - الاستمناة

٥ - الحقنة بالمائع

٦ - الارتماس في الماء

٧ - الكذب على الله ورسوله والائمة

٨ - ايصال الغبار الغليظ إلى الحلق

٩ - التقيؤ

١٠ - البقاء على الجنابة إلى الصباح .

ومعنى ذلك ان يزم الانسان : حلقه وفرجه بزمام صارم لتحبس النفس
عن هواها في فترة معينة بين الصباح والمساء في كل سنة شهراً وان ؟ لله
تعالى .

ففيه :

أ - حفظ النفس .

ب - والتوجه الى الله سبحانه .

وكل واحد من هذين الأمرين ، خليق ان يوجد في الانسان دعامة للاصلاح
الفردى والاجتماعى والكونى .

أما حفظ النفس فان النفس التي تترك وهواها لا بد وان ترد موارد الهلكة
بالنسبة الى ذاتها وغيرها ، أما لو اعتاد الانسان ان يزمها حتى صار
ذلك ملكة له ، فانه لا بد وان لا يقف عند الصلاح ولا يقتحم في
المهلك .

والصوم لكونه زمماً ارادياً - لأن الانسان يترك المفطرات بمجرد ارادته -
يمن النفس على ترك المشتبهات لمجرد اشتهاها ، ويتدرج الانسان في هذه
المقاومة الى ان يصل الى ملكة راسخة ، يتمكن بها من الانكماش
والانبعاث .

وذلك خلافاً للنفوس المهمة التي تنبعث بمجرد الاشتهاء بدون ان تكون
لها مقاومة وزمام ، فانها لا تتمكن من الصمود امام الفساد والمنبعث نحو
الفساد ، لا يفرق فيه بين فساد نفسه ، بتجرع المضار ، وفساد مجتمعه بالهدم
والنقض وفساد ما حوالياً من الامور الكونية بالخبال .

وأما التوجه الى الله سبحانه .

فان الانسان اذا توجه الى الله سبحانه وراه حاضراً يعلم صومه وفطره
وأكله وشربه وخطرات قلبه ونوايا نفسه لا بد وان يكون هذا نقطة انطلاق

نحو الآفاق العالية نحو ادراك ان الانسان مراقب في جميع حركاته وسكناته
مرصود في كل لفظة وهمسة ونية .

فلا يزال تكرار الصيام يوماً بعد يوم وامتداد الصيام في كل يوم ساعة
بعد ساعة يقوي هذا التوجه ، ويؤكد هذه الفكرة حتى يسيطر على النفس
حالة تشبه حالة الانسان اذ هو حاضر امام الملوك والزعماء .

فكما يكون الانسان في حالة من الأدب والمواظبة ، اذا رأى نفسه حاضرة
امام الزعماء والملوك... تمنعه عن كل شيء يناهض مرضاتهم كذلك يكون اذا
سيطرت الملكة الحضورية على الانسان بالنسبة الى الله سبحانه . فانه حينئذ
لا ينبعث إلا عن رضاه ولا يأتي بما يخالف ارادته تعالى .

وماذا يخالف رضاه و ارادته ؟

انه كل قبيح ومنكر ، واثم وعدوان ، وظلم وجور ، وتمدي عن
الحقوق ، وتجاوز عن الحدود .

وبهاتين الملكتين : ملكة حفظ النفس ، وملكة المراقبة الالهية لا بد وان
تتمدد النفس الى نحو الصلاح والاصلاح .

والنفس الصالحة ، لا بد وان تراعي حقوق الذات وحقوق المجتمع وحقوق
ما تحت تناوله من الكون والحياة .

عرفنا : ان الصيام ، امساك عن عشرة أشياء ، هي مرسى الشهوات
غالباً .

وعرفنا : ان وقت هذا الامساك ، من طلوع الفجر الصادق - أي الفجر
الثاني المعترض في الأفق الذي يكون قبل طلوع الشمس بساعة ونصف
تقريباً .

وعرفنا : ان أيام هذا الامساك في كل سنة ، شهر كامل يسمى بشهر رمضان المبارك .

وعرفنا : بجملا عن حكمة الصيام .

فلنعرف - الآن - مدى تأثير الصيام على سلوك الانسان وعلى صحته الجسدية .

أما تأثير الصيام على سلوك الانسان :

أ - فالانسان بطبعه ضعيف الإرادة ، خاوي العزيمة يتأثر بالمحيط والتقاليد والعادات ، فيميل مع هذه الاستجابات ، تبعاً لضعف ارادته وخور عزمته . . ولا تزال الارادة كذلك حتى تفرسخ فيها نواحي الضعف واللين ، وعند ذاك لا يستجيب للحق ، وان رآه بام عينيه ولا يصغي الى نداء الضمير وان صرخ بالحقيقة والصدق ، فاذا أصاب المجتمع بهكذا نكبة ، يتدرج في مهاوي المهانة والانحطاط ، حتى يتجاوز عن المحيط الحيواني ، الى الدرك الأسفل .

وبالعكس من ذلك اذا قويت الارادة ، وأحكمت العزيمة فان الارادة القوية لا تزال تشق الطريق الى الحق ، وتصعد بصاحبها نحو المستوى الأرفع ، حتى يسمو الانسان الى الغاية القصوى من المدى البشري ، واذا حصل فرد في مجتمع هكذا ، سما به الى العلو ، فكيف اذا كان المجتمع كله كذلك ؟

والصيام من أقوى الوسائل ، لتقوية الإرادة ، وتحكيم العزيمة ، فان من تمرن على جذب زمام نفسه عما يشتهي ولا مانع ولا رادع ، طيلة ثلاثين يوماً ، كل يوم اثنتي عشرة ساعة ، فانه خري بان يصلب عودة ، وتقوى نفسه ، واذا قويت النفس ، لم يفرق بالنسبة اليها الصمود أمام النزوات الشهوية ، أو الصمود أمام المغريات الاجتماعية .

كالبطل الذي اذا تمرن جسده بالرياضة ، لا يفرق امامه مصارعة الأفراد .
ب - كما انه يقوي الصيام في الانسان ، روح الامانة .

وهل نجد أميناً كالصائم ، في متناوله الطعام اللذيذ ، والشراب الشهي ، فلا يمد اليه يداً ، وبقرب منه زوجه الضحوك فلا يقرب اليها كلا ! كلا !! ولا يتناول قطرة ماء ، ولا لقمة طعام ولا يحمد شهوته باراقة قطرة ، ولا باقتراب لحظة .. فأحر به أن يؤتمن على القليل والكثير والجليل والحقير . ولماذا يترك هذه المشتبهات ؟ لأنه أمين في دينه . وهل سائر الامناء صاروا امناء إلا لأنهم امناء في دينهم ؟

ج - كما يحمد الصيام سورة النزوات النفسية .

فان النفس إذا تركت وشهواتها ، صارت كالأرض المهملة التي تثبت كل ضار وثاقه ، أما اذا روعيت - وخصوصاً بالمنع عن الشهوات - صارت كالأرض المهرثة المصفاة ، التي لا تثبت الا طيباً ، ولا تنمر إلا صالحاً ، فاذا حد الصيام من نزوات النفس ، وشهوات الجسد ، لا بد وأن تتركز فيه ملكة الصلاح والاصلاح فيصفو القلب وتقرب النفس الى الاعتدال اللائق بها . فان من يمنع نفسه من ماء حلال ، لأجل الصيام يمنع نفسه عن خمر حرام . ومن يمتنع عن زوجة حلال لأجل انه صائم ، يمتنع عن امرأة أجنبية بعد الاقتراب منها زناً محرماً . ومن يكف نفسه عن أكل خبز محلل ، اطاعة لاوامر الصيام ، يكف نفسه من أكل الربا والسحت .

وهكذا يتولد في النفس زمام المنع عن الشر ، والإقدام على الخير .

د - أما اشعار الصيام بالمساواة ، فشيء يعرفه الجميع .

وهذا هو الطابع العام ، لجميع عبادات الاسلام :

فالصلاة واجبة على الجميع . يقف الجميع - خصوصاً في الجماعة - امام ملك الأرض والسماء . والزكاة واجبة على كل من عنده النصاب ، بانصبة معينة ، لمصارف معينة .

والحس واجب على كل من اكتسب زائداً او يؤدي نحواً واحداً ، الى
مصرف متعدد والجهاد واجب على الغني والفقير ، والكبير والصغير ،
والشريف والوضيع .

والحج واجب ، يؤدي بكيفية واحدة ، في مواضع خاصة ؛ بشروط
وآداب مخصوصة .

والامر بالمعروف والنهي عن المنكر عامان بالنسبة الى جميع المسلمين
لا يخصصان برجال العلم أو ما اشبه والاتجاه الى ناحية واحدة - بالتولي -
والتنفر عن سواها - بالتبري - عام لكل مسلم لا طبقات ولا تمايز ولا
خصوصيات ولا مزايا ولا صدر وذيل .
والصوم من عبادات الإسلام هكذا .

فهو يسوي طبقات الناس على صعيد الجوع والعطش فيعرف الغني ألم
الفقير ويعرف الفقير مساواة الغني له - في هذه الناحية - فيقع التعاطف
والترحم ويشتبك الاجتماع أكثر فأكثر فان نداء الضمير هو الذي يجمع بني
الإنسان على صعيد واحد .

هـ - وفي هذا الإطار العام من الصيام .

تتهذب النفوس والعواطف - من جميع النواحي - .

فالكرم من ولائد الحس بألم الفقر والمسكنة .

والعطف من ثمرات الحس المشترك بالجوع والعطش .

والاخوة من نتائج الشعور بالوحدة على صعيد الإنسانية .

وهكذا .. وهكذا .

فان النفس الزكية هي مبعث الفضائل ومطرودة الرذائل . وحيث ان
كل فئة من الفضائل والرذائل كسلسلة متصلة الحلقات كان الصيام ولا بد
هو المحفز لجميع الفضائل - بعضها بالمباشرة وبعضها بالتسبيب - كما ان تركه
جبعث سلسلة من الرذائل ابتداء أو مع الوسطة .

و - وبالصيام يتقوى الإيمان بالله .

فالصائم طيلة شهر يرى نفسه ليلاً ونهاراً أمام الله تعالى .. أما نهاراً فإنه صائم كاف نفسه عن الملاذ والمشتبهات مراقب مرصود لا يتمكن من الانتفاع حتى بدخان معتاد وأما ليلاً فهو بين الانطلاق عن قيود النهار وبين الاستعداد لوجبة السحور لليوم القادم .. ولم ذلك كله ؟ . ولم هذا الدؤوب طيلة شهر بأيامها ولياليها ؟ . ولم هذه القيود - بدون حديد وكبل - وهذا الانطلاق بدون فك وكسر ؟ .

كل ذلك .. لله ، والله وحده ، وهناك تتركز دعائم الإيمان ، وتقوى الصلة بين الانسان وبين الله ، ويستوثق الارتباط بعالم الغيب ، وتتجسم في النفس الرقابة الإلهية فيدرك انه مراقب في كل اعماله وأفعاله حتى في نوايا قلبه وهو اجس صدره .

أليس الصيام يحتاج إلى النية القلبية ؟ اذاً يعلم الله حق النوايا والحقايات . وهنا يصبح الإيمان مزيجاً بروح الانسان ونفسه ، ويكون عادة عفوية تصدر عن جوارحه وأعضائه ، بلا صعوبة ومشقة . فتتنظم الارادة والفعل في اطار عام من الفضيلة والأدب .

ز - حتى ينتهي الأمر - إلى الصبر والثبات - .

فبالصيام يتمرن الإنسان على الصبر والثبات .. أليس الصبر على الكف عن المفطرات طيلة شهر ، من أقوى أسباب تركيز الثبات في النفس ؟ .

والصبر والثبات .. هما مفتاح كل حركة اصلاحية ، ومنهاما يبتدىء كل انطلاق وتحرك ، فبدون الصبر لا يكتب المؤلف ، وبدون الصبر لا يصمد الجندي ، وبدون الصبر لا يفتح القائد ، وبدون الصبر لا تنقلب الأرض الجرداء جنة نعم ، وبدون الصبر لا يتمكن المصلح من إقامة المعوج من الأخلاق والسلوك ، وبدون الصبر لا تحرر البلاد .

هذه امور :

يكون الصيام مصدرها ومبعثها . وبالصيام فقط يمكن الحصول عليها ،
وعلى الصيام يؤسس الاجتماع الصالح والفرد الصالح بسببها .

وبعد ذلك ، يأتي دور شهر رمضان كمبعث لفوائد اخرى :

١ - ف شهر رمضان عيد عام يحتفل فيه بنزول (القرآن العظيم) الكتاب
السمائي الخالد الذي أنزله إله الكون وخالق الانسان على اعظم بشر خلق او
يخلق إلى الأبد ، لتنظيم الأرض بما فيها البشر والحيوان والنبات ، وبما يدور
في نطاقها من حركة وسكون ، وغزو الفضاء ، وغوص الدأماء .

فمن الجدير ان يحتفل المسلمون - بل البشر كل من وعى وفقه منهم -
بهذا الكتاب الذي أخرجهم من الظلمات إلى النور ، شهر رمضان الذي انزل
فيه القرآن ، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان .

وقد جعل الاحتفاء بهذا الكتاب ، من جنس ما نزل لاجله .

فانه لم ينزل لأجل الأكل والشرب ، ولا لاجل الجاه والمنصب ولا لاجل
الاستغلال والاستثمار .. حتى يكون الاحتفال به أكلا و بهرجة ،
وكرامى وأبواق .

وانما انزل لاجل طهارة النفس وتزكية الروح ، وتنمية الارادة وتنظيم
الاجتماع ، واصلاح الأرض .. والصيام مبعث كل ذلك - كما سبق التلميح
إلى شيء منه - .

ولو كانت الثورات التي تطيح بأحكام الظالمين ، والحروب التي تدك
صروح التافهين ، توجب تعظيم الناس إياها ، واقامة المهرجانات لاجلها
ونصب الاعياد والولائم احتفاء بها - في يوم أو أيام - فأجدر بولادة القرآن

العظيم : هذا الشرع العالمي الاسمي . أن يؤخذ لاجلها شهراً عيداً ومهرجاناً وافراحاً وذكراً .

٢ - وفي رمضان يتاح لمحنة الإسلام نشر الأحكام وتعريف الناس بحقائق الإسلام فهو شهر تبليغ وإرشاد وموعظة وهداية . فان العظة في غير هذا الشهر تتبخر على الاكثر مع (الروتين) الرتيب في الاعمال والاشغال والغداء والعشاء أما في هذا الشهر فقد كسر (الروتين) وأطيح بالترتيب ربدات الاوضاع وتوجهت النفوس إلى السماء الى الحق والخير الى الاصلاح والتهديب . فالجو صالح للبلاغ والرشاد والنفوس مستعدة لقبول العظة والنصح والأرواح مصفية الى الهداية والفلاح .

وهذا هو سر ما نرى من الإقبال العظيم في هذا الشهر المبارك إلى المساجد والمعابد والأعتاب المقدسة والوعاظ والمرشدين والاحكام والمسائل والقرآن والحديث فتمعقد في المساجد الصلوات وحلقات الدروس والتجويد ويصل الناس ليهم بنهارهم وبالذكر والتلاوة والتهجد والعبادة .

فكم من تارك للصلاة يجعل هذا الشهر فاتحة اقامة للصلاة !
وكم من شارب للخمر يمتنع من بدء هذا الشهر عن معاقبتها !
وكم من مقامر يتوب الى الله تعالى في هذا الشهر توبة نصوحاً !
وكم من عامل بصنوف المحرمات ينقلع عما اقترفه ليكون مؤمناً صالحاً !
وكم من تارك للخمس ومانع للزكاة ومستطيع لم يحج مسوفاً و . و .
ويتوب في هذا الشهر ، ليؤدي ما عليه من حقوق ويعزم على الحج و . و .

٣ - والمسلم في هذا الشهر وحده يستطيع أن يثوب إلى رشده ويرجع الى نفسه ، ليرى الصالح من عاداته من فاسدها ، ويميز بين الغث والسمين فان الانسان في مضيق الاعمال والاشغال يفقل حتى عن نفسه ، فاني له ان يفكر في ما يعمل ويميز الحسن من القبيح في تقاليده وأعماله وعاداته ؟ .

أما شهر الصيام فهو شهر استجمام ، وخلوة بالنفس ليجدد حياته ويخطط لمستقبله فيترك الفاسد مما يأتيه ويستبدل بها الصالح وهناك يجد الانسان لذة الحياة ويرى جمال الكون الواسع ويقدر الخالق حق قدره بقدر ما يعمل من تفكيره .

أما الناحية الصحية من الصيام فشيء ضجت به الكتب ويعرفه حتى أبعد الناس عن الاسلام .
واقدر كان ذلك مقررأ في الطب القديم وكان مبعث انفجار تفكير الاطباء القدامى ، في هذه الناحية قوله الرسول الكريم (ص) « صوموا تصحوا » .
ثم جاء الطب الحديث ليشد ازر الطب القديم ، ويوسع في آفاق الصحة الصيامية :
وقاية وعلاجاً .

فالصوم يريح جميع الاجهزة والانسجة والخلايا والغدد والاعصاب والاجزاء والاوردة والشرايين من الانهك والارتباك الحادثين بسبب الاستمرار في العمل المتواصل ليل نهار وليس معنى ذلك انها تقف عن العمل ، بل معناه انها تبطيء في العمل لتأخذ راحتها وتنفس عن متاعبها وبذلك يكون الصوم وقاية عن الضعف والاحتقان والتضخم والاكتناز والتخمة والامتلاء .
فيطول العمر ، وينشط الجسم ، ويستريح الانسان من الترهل والكسل ، ويتبعد عن الامراض والأوجاع .

كما ان الصوم يسبب نشاط الفكر ، ويقظة الذهن ، وحدة الفطنة وارهاف الذكاء .

أما اضطراب الهضم ، وأمراض القلب ، والكبد ، والطحال ، والكلى ، والبول السكري وضغط الدم . فان الصوم يقضي على جميعها كما انه يذيب الاورام الصغار ويظهر الجسم من الرواسب .

وقد زخرت كتب الطب الحديث ، والكتب الاسلامية الناقلة منها ،
بأقوال كبار الاطباء الذين لا يدينون بالاسلام ، حول فوائد الصيام ، وانه
واجب في كل اسبوع يوماً أو في كل شهر اسبوعاً أو في كل سنة شهراً .
وقد انشئت في الغرب مصحات تقوم بالعلاج بالصوم .

وبالمجمل ..

فالصيام من اكبر خطوط الاسلام الصحية وقاية وعلاجاً . ويوم كان
الصوم منتشراً بين المسلمين إلى جنب سائر وصايا الاسلام الصحية لم يكن يرى
عشر معشار الامراض الموجودة الآن ولا عشر معشار المرضى الموجودين الآن .
وبعد ذلك .

ليس من المستغرب أن نرى عدد الاصحاء من الصائمين اكثر بكثير من
عدمهم من المفطرين .
وليس الصيام سبباً للصحة بمجرد انه إمساك بل يضاف الى هذا السبب
أمران آخران :

١ - الارتياح النفسي الحاصل من جراء تجدد نظام الحياة في هذا الشهر
فان شعور النفس بتغير المناخ أو النظام أو ما اشبه .. يلقي في النفس شعوراً
بالراحة والحبور مما يسبب وقاية عن كثير من الامراض التي مبعثها القلق
والهم وعلاجاً لكثير من الامراض المتولدة من الاضطراب الفكري والعقد
النفسية . فكما يشعر الإنسان المسافر بالراحة النفسية فتزول أمراضه كذلك
يشعر الصائم بالارتياح والحبور فيبيل من كثير من أسقامه وآلامه .

وهذا مما يدل عليه علم النفس وتؤيده التجربة .

خصوصاً وإن للإفطار فرحة لا توازيه اية فرحة إذ الانسان يشعر طول
النهار بقيود وحدود فاذا جاء وقت الافطار شعر بالانفلات عنها وذلك يلقي
في نفسه سروراً وانبساطاً يخلق بهما ازالة كل هم وايجاد مناعة قوية ضد أي
عقدة نفسية أو اضطراب فكري .

ولذا ورد في الحديث : « للصائم فرحتان فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الله » .

٢ - الاطمئنان والهدوء الحاصلان بسبب الشعور بالاتصال بإله السماء وخالق الكون فان الشعور بالاستناد الى كبير - خصوصاً اذا كان أكبر الكبراء - مما يشع في النفس بهجة وينير الروح فقد ورد في الآية الكريمة : « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » .

وهذا الاطمئنان من أقوى مطاردات القلق والخوف والاضطراب التي هي بدورها أسباب لأمراض كثيرة جسدية وعقلية وعاطفية فاذا حصل هذا الاطمئنان ارتاح النفس واستنار الضمير وشع الروح .
وأخيراً صار سبباً للوقاية من أمراض والعلاج من أمراض .

والاسلام الحكيم في جميع خطوطه وتشريعاته قد جعل للصيام شرائط رعاية للقدرة أو ما أشبه :

- ١ - ان يكون الفرد بالغاً وهو من أتى عليه السن الاسلامي وأعلنت الطبيعة المودعة فيها بانه قد كمل فقير البالغ ليس عليه الصوم .
- ٢ - ان يكون عاقلاً فالمجنون مرفوع عنه القلم .
- ٣ - ان يكون قادراً .
 - أ - فالمرضى الذي يضره الصوم ومنه ذو العطاش .
 - ب - والشيخ الهرم الذي يصعب عليه .
 - ج - والحامل المقرب التي تخشى على نفسها أو ولدها من الصوم .
 - د - والمرضة القليلة اللبن التي يضر الصوم بولدها .

هـ - والمنكره الذي يكره على الافطار .

و - والمضطر الذي يوجر في حلقه .

لم يجب عليهم الامساك .

كما أن :

١ - المسافر بشروطه .

٢ - والمرأة الحائض .

٣ - والنفساء التي ولدت وهي بعد في نفاسها .

ليس عليهم صيام . وقد يقول القائل :

عرفنا وجه سقوط الصوم عن الاولين فلا يجب عليهم الامساك فما علة

سقوط الصيام عن الآخرين ؟

والجواب :

ان المسافر - في الغالب - يصعب عليه الصيام خصوصاً والصيام يحتاج الى راحة وهدوء ، وفطور وسحور ، فقد أسقط الاسلام الصيام عنه رحمة وفضلاً . والنفساء عذرها معها فالمرأة بعد الولادة في حالة مرضية تحتاج معها الى غذاء ودواء فكيف تصوم والحال هذه ؟ والحائض وان لم تكن - في بادىء النظر - مريضة لكنها في الحقيقة مريضة كما يقرره الطب قديمه وحديثه ، وتلمح الى ذلك الآية الكريمة « قل : هو اذى » فرؤف الاسلام بها ، ان تقع في عنت وإرهاق من جراء الصيام .

وبعد ذلك ...

لاحظ الاسلام هؤلاء الذين أسقط عنهم الصيام .

فمن أسقط عنه لأنه ليس فيه مقتضى كالصغير ، والمهم فليس عليه الصيام لا اداء في شهر رمضان ، ولا قضاء في خارجه في بقية السنة .

أما من سقط عنه ، لمانع كالمرض والمسافر والحائض ومن اليهم فتحتفظاً
على ادراكهم فوائد الصيام ، قد أوجب عليهم الاسلام القضاء ، تقول الآية
الكريمة :

« فمن كان منكم مريضاً أو على سفر ، فعدة من ايام اخر » .

بقي شيء :

وهو ان الجاهل الذي لا يعرف الحكم لا يؤاخذ به الاسلام ، وكيف يؤاخذ
وهو القائل في القرآن الحكيم « وما كنا معذبين حتى ننبعث رسولا » وقال
الرسول الكريم : « رفع عن أمتي ؟ ما لا يعلمون » وكذلك الناسي والذي
افطر خطأ ، فقد قال القرآن الحكيم : « ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او أخطأنا »
وقال الرسول العظيم : « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان » .

هؤلاء جميعاً لا يؤاخذهم بالعقاب على ترك الامساك .

بل عليهم أن يقضوا يوماً بدلاً يوم .

وهنا يتجلى الفارق الانساني الكبير بين الاسلام وبين قوانين الحكومات
حيث تؤاخذ على الشعرة وكثيراً ما يحكمون على جاهل أو ناس أو مخطيء أو
ما أشبه باحكام اعتسافية .

ولم ؟

لانه لم يتبع القانون وهل كان يعرف القانون مخالفة عمداً أو ذاكراً للقانون ،
فعدل عنه عناداً ؟ كلا ! لا ذاك ولا ذلك وانما القانون أعمى يمشي مترنحاً لا
يرى بما يصطدم وماذا يفسد .

وعلى أي حال .. فهؤلاء معذورون في ترك الصيام وان وجب على بعضهم
ابداله .

ولنسمع الى الاسلام ليتكلم عن الصيام .

يقول القرآن الكريم :

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية : طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وإن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون . شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون . »

« أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وإنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون . »

ولنقتطف من أزهار هذه الباقة العطرة أوراداً فنفسر على ضوء اللغة والحديث والتفاسير : « يا أيها الذين آمنوا . »

خصوا بالخطاب لانهم الذين يستفيدون من الاحكام وان كان احكام الاسلام عامة لجميع البشر .

« كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم . »

فان تشريعات الله تعالى كلها متناسبة ، وان اختلفت في المزايا والخصوصيات . فالصلاة والصيام ، والحج والجهاد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتولي لاولياء الله والتبري من أعداء الله واخراج قدر من المال باسم الزكاة أو ما أشبه . كلها عامة كانت في الامم السابقة كما شرعت لهذه الامة مع تفاوت وامتيازات ، فان البشر بشر . وما يصلح أوله يصلح آخره ، وكذا بالنسبة الى ما يفسد لكن حيث اختلفت الامم في بعض النواحي اختلفت المزايا كما تختلف (الصلاة) مثلا في المسلمين بالنسبة الى الحالات والطوارئ .

« لعلكم تتقون » .

فان الصيام يهيء النفس كما يهيء المهرات الارض . أما سقي الارض وحرارتها وسائر ما يلزم للثمر الطيب ، فإنها منوطة بالزراع وكذلك الصيام حرث النفس وجعلها تربة صالحة أما سائر لوازم العدالة والاستقامة والطهارة وما أشبهه . فبأيدي الصائمين ولذا قال (لعلكم) .

(وعلى الذين يطيقونه فدية : طعام مسكين) .

فيه أقوال وعن الصادق « ع » : (على الذين يطيقون الصوم ثم أصابهم كبر أو عطاش وشبه ذلك فعليهم كل يوم مد) وفي حديث آخر عنه « ع » : (من مرض في شهر رمضان فافطر ثم صح فلم يقض ما فاته ، حتى جاء شهر رمضان آخر ، فعليه أن يقضي ويتصدق كل يوم مداً من طعام) ، وقيل : ان المسلم كان في أول الإسلام خيراً بين الصيام والفدية تدريجاً في تطبيق الاحكام كما لم يكن مأموراً بالجهاد وسائر الاحكام - ثم نزل الحكم بالصيام عموماً بدون بدل .

(شهر رمضان) بدل عن (ايام معدودات) وفي هذا الشهر انزل القرآن الذي هو هدى للناس ، فما أحرى بالمسلمين أن يحتفلوا لهذه النعمة الكبيرة بالصيام والطهارة .

« ومن كان مريضاً » .. تكرر لاستثنائه عن حكم الصيام بغير بدل ، كما استثنى سابقاً عن حكم الذي له بدل - على القول الأخير - (أحل لكم ليلة الصيام الرفث) ..

قالوا : ان الجماع كان محرماً ، على الصائم ، اذا قام ليلاً . بمعنى انه اذا قام ، ثم قام من النوم كان عليه الجماع حراماً ، ثم اقرفه بعض الصحابة ، فرفع الله ذلك الحكم تفضلاً وامتناناً ، ولعل الحكمة التخفيف بعد التشديد لتبليغي التخفيف ظلال ارتياح في النفس يمسدل وقع أصل الحكم ، وهو بالامساك نهاراً فان الاحكام - خصوصاً ترك مباشرة النساء نهاراً - لها وقع

شديد على النفس ، ولا يخفف من وقمها إلا بإيجاد بهجة وانفلات روحي ،
فقد يتوصل الى ذلك بتشديد الحكم اولاً - مع ما في الشدة ايضاً من مصلحة
ما - فاذا ارتفعت الشدة ، شعرت النفس بارتياح هون معه صعوبة
أصل الحكم .

(وابتغوا ما كتب الله لكم) .

من الأولاد ، فليس اقتراب النساء لمجرد لذة عابرة ، كما يظنه بعض الناس ،
بل الولد ركن مهم في هذه الطبيعة ، بل لعله أهم الامور الملحوظة .

(وانتم عاكفون في المساجد) .

والاعتكاف : هو اللبث في المسجد الجامع بقصد العبادة ثلاثة أيام او
أكثر ، صائماً وله شرائط وآداب مذكورة في الفقه الاسلامي .

هذه لمحة خاطفة ، في تفسير بعض مواضع الآية الكريمة ، التي تعرضت
لحكم الصيام ، وقد لوحظ فيها غلة التشريع وفوائده واشتملت على أهم
أركان الصيام . انه شهر رمضان ، من الصباح الى الليل ، ويحتمل فيها عن
الأكل والشرب والجماع ، كما ألمحت الى الاعتكاف الذي هو ايضاً مربوط
بالصيام وشبيه حكمه لحكمه من حيث حرمة الوقاع ، في تمام أيامه حتى
في الليل .

وبعد الآية الكريمة ، تصل نوبة الأحاديث الواردة عن النبي وآله الاطهار
في باب الصيام .

« سأل هشام بن الحكم الإمام الصادق « ع » : عن غلة الصيام ؟ :

فقال : انما فرض الله الصيام ، ليستوي به الغني والفقير : وذلك ان الغني
لم يكن ليجد مس الجوع ، فيرحم الفقير ، لان الغني كلما أراد شيئاً قدر عليه ،

فأراد الله تعالى ، أن يسوي بين خلقه ، وأن يذيق الغني مس الجوع ، والألم ، ليرق على الضعيف ، ويرحم الجائع .

« وكتب محمد بن سنان الى أبي الحسن الرضا « ع » مسائل ؟ .

فكان ، فيما كتب اليه « ع » من جواب مسائله : علة الصوم لعرفان مس الجوع والمعطش ، ليكون العبد ذليلاً مستكيناً مأجوراً محاسباً صابراً ويكون دليلاً له على شدائد الآخرة ، مع ما فيه من الإنكسار له عن الشهوات ، وأعضاله في العاجل ، دليلاً على الآجل ، ليعلم شدة مبلغ ذلك من أهل الفقر والمسكنة ، في الدنيا والآخرة .

« وسئل فضل بن شاذان عن الرضا « ع » ، عن ذلك ؟

فقال : إنما أمروا بالصوم ، لكي يعرفوا ألم الجوع والمعطش ، فيستدلوا على فقر الآخرة ، وليكون الصائم خاشعاً ذليلاً مستكيناً مأجوراً محاسباً ، عارفاً ، صابراً على ما أصابه من الجوع والمعطش ، فيستوجب الثواب ، مع ما فيه من الإمساك عن الشهوات ، ويكون ذلك واعظاً لهم في العاجل ، ورائداً لهم على أداء ما كلفهم ، ودليلاً لهم في الآجل ، وليعرفوا شدة مبلغ ذلك على أهل الفقر والمسكنة في الدنيا ، فيؤدوا لهم ما افترض الله لهم في أموالهم .

١ - ٢ « قال الحلبي : سألت الإمام الصادق « ع » عن (الخيط الأبيض من الخيط الأسود) ؟

فقال : بياض النهار من سواد الليل ، قال وكان بلال يؤذن للنبي «ص» وابن أم مكتوم ، وكان أعمى يؤذن بليل ، ويؤذن بلال حين يطلع الفجر ، فقال النبي «ص» : اذا سمعت صوت بلال فدعوا الطعام والشراب فقد أصبحتم .

٣ - وروى السيد المرتضى ، عن النعماني ، عن أمير المؤمنين « ع » .

قال : ان الله لما فرض الصيام ، فرض أن لا ينكح الرجل في شهر رمضان ، لا بالليل ولا بالنهار ، على معنى صوم بني اسرائيل في التوراة ،

فكان ذلك محرماً على هذه الامة ، وكان الرجل اذا نام في أول الليل ، قبل أن يفطر حرم عليه الأكل بعد النوم ، افطر او لم يفطر .

وكان رجل من الصحابة يعرف بمطعم بن جبير شيخاً . فكان الوقت الذي حفر فيه الخندق حفر في جملة المسلمين ، وكان في شهر رمضان ، فلما فرغ من الحفر ، وراح إلى أهله صلى المغرب ، وابطأت عليه زوجته بالطعام ، فغلب عليه النوم ، فلما احضرت إليه الطعام ، انبهته ، فقال لها : استعمليه انت فاني قد نمت وحرم علي ، وطوى ليلته ، وأصبح صائماً ، فغدا الى الخندق ، وجعل يحفر مع الناس فغشي عليه ، فسأله رسول الله «ص» عن حاله ؟ فأخبره .

وكان من المسلمين شبان ، ينكحون نساءهم بالليل سرأ ، لقلّة صبرهم .

فسال النبي «ص» الله في ذلك ؟ .

فأنزل الله : « أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ، هن لباس لكم . وانتم لباس لهن ، علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم ، فتأب عليكم وعفا عنكم فالآن باثروهن وابتغوا ما كتب الله لكم . وكلوا واشربوا ، حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام إلى الليل » .

فنسخت هذه الآية ما تقدمها .

٤ - « وروى الحلبي عن الصادق (ع) قال : اذا تقيأ الصائم فقد افطر ، وان ذرعه من غير ان يتقيأ فليقم صومه » .

٥ - « وروى أبو بصير عن ابي عبد الله (ع) ، في رجل اجنب في شهر رمضان بالليل ، ثم ترك الغسل متممداً حتى اصبح ؟

قال : يمتق رقبة ، او صوم شهرين متتالين ، او يطعم ستين مسكيناً .

٦ - « وروى يعقوب بن شعيب عن الصادق « ع » .

قال لا يرتس المحرم في الماء ، ولا الصائم .

٧ - « وروى ابو بصير ، قال سمعت أبا عبدالله « ع » يقول :

ان الكذب على الله وعلى رسوله وعلى الأئمة عليهم السلام : يفطر الصائم .

٨ - « قال عبد الرحمن بن الحجاج سألت أبا عبدالله (ع) عن الرجل

يبعث بأهله في شهر رمضان حتى يمضي ، قال : عليه من الكفارة مثل ما على الذي يجامع .

٩ - « سأل ابو بصير عن أبي الحسن (ع) عن الرجل يحتقن تكون به

العلة في شهر رمضان .

فقال : الصائم لا يجوز له أن يحتقن .

١٠ - وروى سليمان بن جعفر عن الامام « ع » قال : « .. او كنس

بيدًا فدخل في أنفه وحلقه غبار ، فعليه صوم شهرين متتابعين ، فان ذلك له

فطر مثل الأكل والشرب والنكاح .

وللصيام في الواجبات المتقدمة آداب ونوافل ، ندب اليها الاسلام ، وكلها ترمي إلى امر واحد هو تقوية الارتباط بالله وبين الانسان بتزكية النفس ، حتى يتفجر عنها ينابيع الخير في جميع الحقول .

فمن الآداب : ان يواظب الصائم على جوارحه ، فلا يبسط لسانه ، ولا يمد عينه ، ولا يصغي بمسامعه ، ولا يبطش بيده ، ولا يرتكب عملاً غير مرض لله ، ولا يقترف اثماً ، ولو لم يكن مفطراً .

« قال محمد بن مسلم ، قال ابو عبدالله « ع » ، اذا صمت فليصم سمعك وبصرك وجلدك - وعلى اشياء غير هذا - وقال : لا يكن يوم صومك كيوم فطرك .

« وعن جابر بن يزيد عن أبي جعفر (ع) قال : قال رسول الله «ص» - لجابر بن عبدالله - يا جابر هذا شهر رمضان ، من صام نهاره وقام ورداً من ليله ، وعف بطنه وفرجه ، وكف لسانه ، خرج من الذنوب كخروجه من الشهر .

فقال جابر يا رسول الله ، ما احسن هذا الحديث .

فقال رسول الله «ص» يا جابر ما أشد هذه الشروط .

« وقال جراح المدايني : قال ابو عبدالله (ع) : ان الصيام ليس من الطعام والشراب وحده ثم قال : قالت مريم (اني نذرت للرحمن صوماً) وصمتا - وفي نسخة : أي صمتا - فاذا صمتم فاحفظوا سنتكم ، وغضوا ابصاركم ولا تنازعوا ولا تحاسدوا ، .

« وسمع رسول الله «ص» امرأة تسب جارية لها ، وهي صائغة فدعا رسول الله «ص» بطعام فقال لها : كلي ، فقالت : اني صائغة ، فقال كيف تكونين صائغة وقد سببت جاريتهك ، ان الصوم ليس من الطعام والشراب ، .

« وقال الامام الصادق (ع) : اذا صمت فليصم سمعك وبصرك من الحرام والقبيح ودع المراء وأذى الخادم ، وليكن عليك وقار الصائم ، ولا تجعل يوم صومك كيوم فطرك ، .

« وعن رسول الله «ص» انه قال في خطبة له : ومن صام شهر رمضان في انصات وسكوت ، وكف سمعه وبصره ولسانه وفرجه وجوارحه من الكذب والحرام والغيبة تقريباً ، قرّبه الله منه ، حتى تمس ركبتاه ركبتى ابراهيم خليل الرحمان ، .

ومن الناس من يظن ان أهم ما يجب على الصائم ، هو اجتناب المأكول والمشرب .

أليس ذلك من أصعب الأمور

لكن الإسلام لا يرى ذلك ، بل في نظره ان ذلك من أيسر فرائض الصائم ، أليس الصيام شرع لاجل الطهارة والتزكية ، وهل يتزكى الانسان بترك الأكل والشرب فقط .

يروى المفيد عن رسول الله «ص» انه قال :

« ان ايسر ما افترض الله على الصائم في صيامه ، ترك الطعام والشراب .»

ومن آداب الصيام :

أن يحسن الإنسان خلقه في يوم الصوم ، وهذا أمر طبيعي ، كان من أهم علل الصوم تزكية النفس وتطهير الروح - كما سبق - وكيف يتلاءم ذلك مع سوء الخلق ، والصيام قد جعل قاعدة ليدور عليها عمر الانسان في طهارة ونزاهة ، واذا لم تتم القاعدة فهل يتم البناء ، ولذا يؤكد الاسلام أشد التأكيد باجتنب ملازمات سوء الخلق ، والحدة والغضب والجدال والجهل وما إليها .

ومن الغريب - جداً - أن يتغير المسلم حتى عن حالته الاعتيادية ، ولم ؟ لانه صائم ، وأغرب منه ان يمتذر هو او يمتذر عنه ، عما يرتكبه من المنفريات ، بأنه يوم صوم .

واستمع إلى هذه الأحاديث :

« روى فضيل بن يسار عن ابي عبدالله (ع) قال : اذا صام احدكم الثلاثة الايام في الشهر ، فلا يجادلن أحداً ، ولا يجهل ، ولا يسرع إلى الحلف والايان بالله ، فان جهل عليه احد فليحتمله .»

« وروى مسعدة بن صدقة عن ابي عبدالله « ع » عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله «ص» : ما عبد صائم يشتم فيقول سلام عليك ، لا اشتمك كما شتمتني ، إلا قال الرب تعالى : استجار عبدي بالصوم من شر عبدي ، قد اجرته من النار .»

وروى أبو بصير قال ، قال أبو عبدالله « ع » الصيام ليس من الطعام والشراب ، والإنسان يذنبني أن يحفظ لسانه من اللغو والباطل في رمضان وغيره .

« وفي نهج البلاغة عن الإمام أمير المؤمنين « ع » قال : كم من صائم ليس له من صيامه إلا الظم ، وكم من قائم ليس له من قيامه إلا العناء ، حيناً نوم الأكياس وافتارهم .

وكان الإمام زين العابدين « ع » ، يدعو عند دخول شهر رمضان بهذا الدعاء ، كما في الصحيفة السجادية :

« واعتنا على صيامه ، بكف الجوارح عن معاصيك ، واستعملنا فيه بما يرضيك حتى لا نصغي بأسماعنا إلى لغو ، ولا نسرع بأبصارنا إلى هوى ، ولا نبسط أيدينا إلى محذور ، ولا نخطو بأقدامنا إلى محجور ، وحتى لا تعي بطوننا إلا ما احللت ، ولا تنطق ألسنتنا إلا ما قلت ، ولا نتكلف إلا ما يديني من ثوابك ، ولا نتعاطى إلا الذي بقي من عقابك ، ثم خالص ذلك كله من رياء المرائين ، وسمة المستمعين ، ولا نشرك فيه أحداً دونك ، ولا نبتغي به مراداً سواك .

وفي كتاب مصباح الشريعة عن الإمام الصادق « ع » قال ، قال النبي « ص » :

« الصوم جنة من آفات الدنيا ، وحجاب من عذاب الآخرة ، فإذا صمت فانو بصومك كف النفس عن الشهوات ، وقطع الهمة عن خطوات الشياطين ، وانزل نفسك منزلة المرضى ، لا تشتهي طعاماً ولا شراباً ، وتوقع في كل لحظة شفائك من مرض الذنوب ، وطهر باطنك من كل كدر وغفلة وظلمة يقطعك عن معنى الاخلاص لوجه الله .

إلى غيرها وغيرها من الأحاديث الكثيرة الواردة بهذا الصدد .
ومن آداب الصائم

زيادة على الاخلاص والقربة ، اللذين هما شرط في كل عبادة أن يكون الصائم بحيث لا يجب أن يعرف صومه احد .

« روى السكوني عن الإمام الصادق « ع » انه قال : من كتّم صومه ، قال الله تعالى : عبدي استجار من عذابي فأجبروه ، ووكل الله تعالى ملائكته بالدعاء للصائمين ، ولم يأمرهم بالدعاء لاحد إلا استجاب لهم فيه . نعم لا يجوز له أن يكذب .

« قال زرارة للإمام الصادق « ع » : الرجل يكون صائماً ، فيقال له : صائم أنت ؟ فيقول لا ، فقال ابو عبد الله « ع » هذا كذب . ومن الآداب المرتبطة بالصوم :

استحباب تفتير الصائم عند الغروب ولو بقليل ، فان في ذلك تشجيعاً على الصيام وإفحة للقلوب ونشر للود والحب بين المجتمع ، ولذا لا ينسأه الإسلام حتى في هكذا مناسبات .

« روى أبو الورد عن الإمام الباقر « ع » ان رسول الله « ص » قال ومن فطر فيه - يعني في شهر رمضان - مؤمناً صائماً ، كان له بذلك عند الله عتق رقبة ، ومغفرة لذنوبه فيما مضى ، قيل : يا رسول الله ليس كلنا يقدر على أن يفطر صائماً ؟ فقال : ان الله كريم يعطي هذا الثواب لمن لا يقدر إلا على مذقة من لبن يفطر بها صائماً ، أو شربة من ماء عذب ، أو تمرات ، لا يقدر على اكثر من ذلك .

« وروى ابو الصباح الكناني عن الإمام الصادق « ع » عن ابيه (ع) . قال : من افطر صائماً فله مثل اجره . وهل يقف الاسلام عند هذا الحد .

كلا ؟ ان آفاق الاسلام أبعد .. وابعد .. واستمع إلى ذلك تشويقاً وعملاً . « روى موسى بن جعفر « ع » قال : فطرك أخساك الصائم ، افضل من صيامك .

وروى مسعدة عن الصادق « ع » ، قال « ع » : دخل سدير الصير في
على أبي « ع » فقال : يا سدير هل تدري أي الليالي هذه ؟ قال نعم . فذاك
أبي ، هذه ليالي شهر رمضان فما ذلك ؟ فقال له : أتقدر على أن تعتق في كل
ليلة من هذه الليالي عشر رقاب من ولد اسماعيل « ع » ، فقال له سدير :
بأبي أنت وأمي لا يبلغ مالي ذلك ، فما زال ينقص حتى بلغ به رقبة واحدة ،
في كل ذلك يقول لا أقدر عليه ، فقال له :

ما تقدر أن تفطر في كل ليلة رجلاً مدأ ، فقال له : بلى وعشرة فقال له
أبي فذاك الذي اردت يا سدير ، ان افطارك اخاك المسلم يعدل عتق رقبة ،
من ولد اسماعيل .

وحيث كان الرسول « ص » والأئمة المثل الاعلى للمقادة البشرية كان اقوالهم
طبق اعمالهم ، يقولون ما يفعلون ، ويفعلون ما يقولون ، ولذا لم يكن
ليفوتهم هذا الأدب الاسلامي الكبير ، في باب اطعام الصائمين عند الفطور
ليقتدوا بهم سائر الامة ، واسمع الى هذا الحديث :

« روى حمزة بن حمران عن أبي عبدالله (ع) قال : أمر بشاة ، فتذبح
وتقطع اعضاؤه وتطبخ ، فاذا كان عند المساء ، أكب على القدر حتى يجد
ريح المرق وهو صائم ثم يقول : هاتوا القصاص ، اغرفوا لآل فلان ثم يؤتى
بخبز وتمر ، فيكون ذلك عشاؤه . »

لعل إكبابه « ع » على القدر ليعرف جودته ، وهل انه لائق للاهداء ؟
عملاً بقوله تعالى :

« لن تناولوا البر ، حتى تبنفقوا مما تحبون . »

نعم .. يهدي احب الأشياء إلى نفسه ، ويقتنع هو بخبز وتمر ليقتدي به
قادة الدنيا وهل ؟ .

« وقال الامام الصادق « ع » : من فطر مؤمناً ، وكل الله به سبعين

ملكاً يقدسونه إلى مثل تلك الليلة من قابل ، ومن فطر اثنين كان حقاً على
الله ان يدخله الجنة .

ومن آداب الصائم :

أن يوفر الراحة لنفسه فلا يظن انه في هذا الشهر يلزم ان ينهك في
المتاعب والمصاعب فان الاسلام كما تقرره الشريعة المقدسة (رفيق) كما في
الحديث (والمنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً ابقى) كما يقول الرسول الكريم
«ص» : وللبدن حق كما يفرضه الدين وإن العبد يسأل يوم القيامة عن بدنه
فيم أبلاه ؟ كما ورد في الاثر .. وعلى أي فيجب على الصائم مراعاة صحته
كما يجب عليه الصيام ، ولذا اسقط عن المريض ومن اليه الصوم .

وطبقاً لهذا الأمر ، نرى انه قد جعل الاسلام بعض أسباب الراحة
مستحباً وندب اليه ، كما ندب إلى الدعاء والتهجد وما اليهما .
فمن ذلك :

استحباب القيلولة .

« قال حسن بن صدقة ، قال ابو الحسن « ع » : قيلوا فان الله يطعم
الصائم ويسقيه في منامه ، وعن المفيد عن النبي «ص» انه قال : نوم الصائم
عبادة ونفسه تسبيح .

ومن آداب الصائم :

استحباب التسحر .

« فعن رسول الله «ص» قال : لا تدع امتي السحور ولو على حشفة ،
وفي حديث آخر عنه «ص» انه قال (السحور بركة) وفي حديث آخر عنه
«ص» : تسحروا ولو يجرع الماء ، ألا صلوات الله على المتسحرين .

« وروى الإمام الصادق « ع » عن أبيه « ع » قال ، قال رسول الله
«ص» تعاونوا بأكل السحور على صيام النهار ، وبالنوم عند القيلولة ، على
قيام الليل .

ومن ذلك :

استحباب الافطار خصوصاً بشيء حلو .

« روى السكوني عن الصادق « ع » قال ان الرجل اذا صام زالت عيناه من مكانهما ، فاذا أفطر على الحلو اعادتا الى مكانهما » .

« وقال الامام الباقر « ع » افطر على الحلوى ، فان لم تجده فافطر على الماء ، فان الماء طهور » .

« روى عبدالله بن سنان ، عن الصادق « ع » قال : كان رسول الله اذا افطر ، بدأ بجلو يفطر عليها فان لم يجد فسكرات ، أو تمرات ، فان هو اعوز ذلك كله ، فماء فاتر ، وكان يقول : ينقي المعدة والقلب ، ويطيب النكهة والفم ويقوّي الحدق ويحد النظر ويغسل الذنوب غسلاً ، ويسكن العروق الهائجة ، والمرة الغالبة ويقطع البلغم ، ويطفيء الحرارة عن المعدة ويذهب بالصداع » .

وينبغي الوقوف قليلاً عند هذا الحديث ؛ لننظر كيف ان الاسلام مزج الدنيا بالدين ، في جميع تشريعاته ، وكيف انه لاحظ خير الدنيا وخير الآخرة ، فهما في نظر الاسلام شيء واحد لا شيطان ، وتشريعاته لصالح هذا الأمر الواحد ، لا لصالح شطر منه كما في الرهبنة - التي تزعم انها لصالح الدين فقط - وكما في المادية الزاعمة انها لصالح الدنيا فقط ، ولا صحة في أيهما فان الدنيا بلا دين كالجسد بلا روح والدين بغير دنيا كالروح بغير جسد .

فلننظر ، كيف يعد من فوائد الماء الفاتر انقضاء المعدة الى جنب غسل الذنوب ، فهو من الناحية الجسدية ينقي ، ومن الناحية الروحية يغسل الذنوب ، أليس ذلك حسب امر الله ومرضاته ، فلماذا لا يغسل الذنوب .

ومن آداب الصائم :

انه يكره له انشاد الشعر ، ومن الطبيعي أن يكرهه الاسلام ، فان

الغالب - الذي ينذر خلافه - أن يذهب الشعر إلى حيث الباطل وكم من الشعراء يذكروهم التاريخ ، لم ينظموا إلا حقاً ، وقد نبه القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة بقوله تعالى (والشعراء يتبعهم الغاؤون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وانهم يقولون ما لا يفعلون ؟ إلا الذين آمنوا) .

ولذا كانت كراهة الاسلام له في مواسم العبادة وما أشبه أكد .
« قال حماد بن عثمان : سمعت أبا عبد الله « ع » يقول يكره رواية الشعر للصائم والمحرّم ، وفي الحرم وفي يوم الجمعة وان يروي بالليل .. قال : قلت وإن كان شعر حق قال وان كان شعر حق » .

ولعل هذا التعميم لما أشار إليه الرسول «ص» (من رعى غنمه حول الحمى أوشك أن يقع فيه) فيكون احتياطاً .
ومن آداب الصائم :

انه يكره له شم الورود وان استحب له العطر ، فان الاول تلذذ وطارده لبعض مراتب العطش - احياناً - ينافي حكمة تشريع الصيام من رياضة النفس واداقتهما الحشونة والثاني تجميل وتألّف بالنسبة إلى المسلمين لانهم بذلك وما أشبه يتحابون فيقترب بعضهم من بعض ولا يكره احدهم الآخر كما لوحظ ذلك في كثير من التشريعات .

« روى حسن بن راشد عن الامام الصادق « ع » قال : الصائم لا يشم الريحان » .

« وروى الصدوق قال : كان الصادق « ع » إذا صام لا يشم الريحان فستل عن ذلك ؟ فقال اني أكره أن اخلط صومي بلذة » .

« وروى حسن بن راشد قال : كان ابو عبد الله « ع » إذا صام تطيب بالطيب ويقول الطيب تحفة الصائم » .

« قال المفيد في المقنعة ؛ ان ملوك الفرس كان لهم يوم في السنة يصومونه

فكانوا في ذلك اليوم يعدون النرجس ويكثرون من شمه ليذهب عنهم العطش
فصار كالسنة لهم فنهى آل محمد عن شمه خلافاً على القوم وان كان شمه لا يفسد
الصيام .

ومن آداب الصائم :

النظافة في رأسه ولباسه وحيته فان النظافة مندوبة عند الاسلام وبالاخص
في مواسم العبادة ففي الآية الكريمة (خذوا زينتكم عند كل مسجد) وفي
الآية المرتبطة بالكعبة المشرفة (ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع
السجود) وفي أحاديث أبواب الاحرام وأبواب الصلاة، شيء كثير من ذلك،
ليس من مهمنا هنا .

والصوم الذي هو من عبادات الاسلام ، لا يخلو من هذه الناحية .

« روى عمير بن ميمون عن الحسن بن علي عليه السلام قال تحفة الصائم :
« ان يدهن لحيته ويحمر ثوبه ، وتحفة المرأة الصائفة : ان تمشط رأسها وتجمر
ثوبها » .

ومن آداب الصائم :

التجنب عما يشير الشهوة في نفسه أو الضعف في جسده فان الاول خلاف
حكمة التشريع والثاني يضر بالصحة ، والاسلام يحافظ على الصحة بل انما
شرع الصوم لأسباب منها الصحة الجسدية - كما سبق - .

« روى الامام الرضا « ع » عن آبائه عليهم السلام قال : قال علي بن أبي
طالب « ع » ثلاثة لا يعرض أحدكم نفسه لهن وهو صائم الحمام والحجامة
والمرأة الحسنة » .

« وروى الحلبي عن الصادق « ع » قال : « سألته عن الصائم يحتجم ؟
فقال : « اني اتخوف عليه ما يتخوف به على نفسه قلت : ماذا يتخوف عليه؟
قال : الغشيان أو تشور به مرة ، قلت : ارأيت ان قوي على ذلك ولم يخش ؟
قال : نعم انشاء الله » .

« وروى عمار بن موسى عن الصادق « ع » في الصائم ينزع ضره ؟
قال : لا ولا يدمي فاه ولا يستاك بعود رطب »

« روى حسين بن أبي العلا قال : سألت أبا عبد الله « ع » عن الحجامة
للصائم ؟ قال : نعم اذا لم يخف ضعفاً .

« وروى محمد بن مسلم عن أبي جعفر « ع » انه سأل عن الرجل يدخل
الحمام وهو صائم ؟ فقال لا بأس ما لم يخش ضعفاً .

« جاء رجل الى أمير المؤمنين « ع » فقال : اقبل وانا صائم؟ فقال « ع »
اعف صومك فان بدء القتال اللطام .

« وسأل علي بن جعفر « ع » عن أخيه موسى « ع » عن الرجل هل
يصلح له ان يقبل أو يلمس وهو يقضي شهر رمضان ؟ قال : لا .

وعن الحلبي عن أبي عبد الله « ع » : انه سأل عن الرجل يمس من المرأة
شيئاً يفسد ذلك صومه أو ينقضه ؟ فقال : ان ذلك ليكره للرجل الشاب
مخافة ان يسبقه المنى .

ومن آداب الصائم :

كثرة قراءة القرآن ، أليس الصيام لاجل الطهارة ؟ ثم أليس القرآن جامع
لفنونها ؟

بالإضافة الى ان القرآن نزل في شهر رمضان كما قال تعالى (شهر رمضان
الذي أنزل فيه القرآن) فمن الجدير المداومة على تلاوة القرآن في شهر
رمضان .

(قال وهب بن حفص : سألت أبا عبد الله عن الرجل في كم يقرأ القرآن ؟
قال : في ست فصاعداً قلت في شهر رمضان ؟ قال في ثلاث فصاعداً) أي
سته أيام وثلاثة أيام .

« وروى علي بن مغيرة عن أبي الحسن « ع » قال : قلت له ان أبي سأل جدك عن ختم القرآن في كل ليلة ؟ فقال له جدك : في كل ليلة ؟ فقال له في شهر رمضان ؟ فقال له جدك في شهر رمضان ؟ فقال له أبي نعم ما استطعت فكان أبي يختمه أربعين ختمة في شهر رمضان ثم ختمته بعد أبي فربما زدت وربما نقصت على قدر فراغي وشغلي ونشاطي وكسلي فاذا كان في يوم الفطر جعلت لرسول الله « ص » ختمة ولعملي « ع » أخرى ولفاطمة أخرى ثم للائمة عليهم السلام حتى انتهيت اليك فصيرت لك واحدة منذ صرت في هذه الحال ، فأني شيء لي بذلك ؟ قال لك بذلك ان تكون معهم يوم القيامة ، قلت الله أكبر ! فلي بذلك ؟ قال نعم .. ثلاث مرات . »

ومن آداب الصائم :

الاجتهاد في الدعاء وفي كل خير فان شهر رمضان ربيع الدعاء والخير .
والحكمة التي شرع لاجلها الصيام تقتضي ذلك .

« قال أمير المؤمنين « ع » عليكم في شهر رمضان بكثرة الاستغفار والدعاء فاما الدعاء فيدفع البلاء عنكم والاستغفار فتمحى به ذنوبكم . »
« وكان رسول الله « ص » اذا دخل شهر رمضان اطلق كل أسير ، واعطى كل سائل . »

« وعن المسمي انه سمع أبا عبد الله « ع » يوصي ولده اذا دخل شهر رمضان : فاجهدوا انفسكم فان فيه تقسم الارزاق وتكتب الآجال ، وفيه يكتب وفد الله الذين يقدون اليه ، وفيه ليلة العمل فيها خير من العمل في ألف شهر . »

« وروى أبو بصير ، عن الصادق « ع » انه قال كان رسول الله « ص » اذا دخل العشر الأواخر من شهر رمضان شد المنزر واجتنب النساء ، وتفرغ للعبادة . »

« وعن هشام بن الحكم عن أبي عبد الله « ع » قال من لم يغفر له في شهر رمضان لم يغفر له الى قابل الا ان يشهد عرفة » .

« وروى جابر عن أبي جعفر « ع » قال كان رسول الله « ص » يقبل بوجهه الى الناس فيقول معاشر الناس اذا طلع هلال شهر رمضان غلت مردة الشياطين، وفتحت أبواب السماء، وأبواب الجنان وأبواب الرحمة وغلقت أبواب النار، واستجيب الدعاء وكان الله فيه عند كل فطر عتقاء يعتقهم الله من النار، وينادي مناد كل ليلة هل من سائل؟ هل من مستغفر؟ اللهم اعط كل منفق خلفاً واعط كل ممسك تلفاً حتى اذا طلع هلال شوال نودي المؤمنون: ان اغدوا الى جوائزكم فهو يوم الجائزة، ثم قال أبو جعفر « ع » أما والذي نفسي بيده ما هي جائزة الدنانير والدرهم » .

ومن آداب الصائم :

استحباب الغسل في جملة من لياليه ليكون نظيفاً طاهراً .

روى الجوهري عن علي « ع » قال كان النبي « ص » اذا دخل العشر من شهر رمضان شمّر وشد المئزر وبرز من بيته واعتكف واحبى الليل كله وكان يغتسل كل ليلة منه بين العشاءين » .

(وروى جعفر بن احمد عن الصادق « ع » قال من اغتسل في أول ليلة من شهر رمضان في نهر جارٍ ويصب على رأسه ثلاثين كفاً من الماء طهر الى شهر رمضان من قابل) .

(وروى المفيد عن الصادق « ع » انه يستحب غسل ليلة النصف من شهر رمضان) .

الى غير ذلك من الاحاديث الواردة في هذا الباب .

وهناك آداب كثيرة يحدها الطالب في مضانها .

من خواص الاسلام ومزاياه .. انه جند أكبر جند من الدعاء في كل مناسبة فترى انه يقرر أدعية خاصة أو عامة في كل يوم أو ليل مبارك بل في كل يوم وليلة وكل ساعة مع الغض عن استحباب الدعاء مطلقاً . يقول القرآن الحكيم :

(وقال ربكم ادعوني استجب لكم) (قل ما يعبأ بك رب لولا دعاؤكم) .

والادعية مع الغض عن انها استكانة وضراعة الى الله تعالى ، وتلك مما تقتضيه العبودية . انما هي مدرسة - باوسع معانيها - تشمل القريب والبعيد والجاهل والعالم ، والصغير والكبير .. تلقن الانسان جميع معاني الرحمة والانسانية والفضيلة وتكرارها في كل مناسبة يوجب ضياء النفس واثارة الروح فان التكرار - كما يقرره علم النفس - يحمل أكبر معاني الايجاء ، فينتقش في النفس مضامين الخير ونقوش السعادة .

ولم يفت شهر رمضان المبارك - الذي جعل لاجل طهارة الروح - بما في الكلمة من معنى - ان يستفيد من هذه الناحية المهمة .

ففي كل يوم من شهر رمضان دعاء يخص ذلك اليوم أو يعمه وسائر الايام . وفي كل ليلة من شهر رمضان دعاء للافطار ودعاء للسحور ، ودعاء لبين ذلك .. ودعاء عام ودعاء خاص .

وليلي القدر الثلاث (١٩) و (٢١) و (٢٣) أدعية خاصة وعامة تعم الليالي الثلاث .

ولليلة الاولى والنصف والآخر .. أدعية .

وهكذا .. وهكذا .

أما ما احتوته هذه الادعية فلا يقدر باغلي اثنان المادة .

وهذه جملة من الفاظ الادعية نذكرها على سبيل النموذج لنعلم منها ما في الاسلام من خير وهداية ورشاد .

يستحب ان يقرأ هذا الدعاء عقيب كل فريضة :

« يا علي يا عظيم يا غفور يا رحيم أنت الرب العظيم الذي ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير وهذا شهر عظمته وكرمته وشرفته وفضلته على الشهور وهو شهر رمضان الذي فرضت صيامه علي وهو شهر رمضان الذي انزلت فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان وجعلت فيه ليلة القدر وجعلتها خيراً من الف شهر فيا ذا المن ولا يمن عليك ، 'من' علي بفكاك رقبتي من النار فيمن تمن عليه وادخلني الجنة برحمتك يا ارحم الراحمين » .
قاله سبحانه : علي عظيم غفور رحيم ليس كمثلته شيء سميع بصير .
هذا للتوحيد .

— ثم شهر رمضان : عظيم ، كريم ، شريف . مفضل على سائر الشهور ، واجب الصيام ، فيه ليلة هي خير من الف شهر .
وهذا لترسيخ قوائم الصوم ، مع الالفات الى عظمته .
— وبعده ذلك ، يأتي دور القرآن ، محور الشريعة وأساس الاسلام والسعادة .

فهو : هدى للناس ، وامور واضحة من جذس الهداية وفرقان بين الحق والباطل — على الاطلاق — بين كل حق وكل باطل .
— وأخيراً ، يأتي الكلام حول المعاد :
فيطلب الداعي ، الخلاص من النار ، والفوز بالجنة ، وذلك — لا بالعمل — بل بالرحمة فقط .
إذا :

مبدأ ، ومعاد ، وسبب سعادة هو : القرآن ، وصيام شهر رمضان الذي ورد الدعاء بمناسبة .

واسمع إلى هذا الدعاء الذي يقرأ أيضاً عقب كل فريضة .

« اللهم ادخل على اهل القبور السرور . اللهم اغن كل فقير ، اللهم اشبع كل جائع ، اللهم اكس كل عريان ، اللهم اقض دين كل مدين ، اللهم فرج عن كل مكروب ، اللهم رد كل غريب ، اللهم فك كل أسير ، اللهم اصلح كل فاسد من امور المسلمين ، اللهم اشف كل مريض ، اللهم سد فقرنا بغناك ، اللهم غير سوء حالنا بحسن حالك ، اللهم اقض عنا الدين ، واغننا من الفقر ، انك على كل شيء قدير . »

يلقن هذا الدعاء ، ان المسلم يلزم عليه أن يطلب كل شيء من الله سبحانه ، فالامور كلها بيد الله تعالى وان كانت الاسباب الظاهرية لها مدخلية أيضاً - على حسب ما جعل الله تعالى ، ولذا ترى الآيات الكريمة تؤكد هذا الموضوع « أنتم تزرعونه ام نحن الزارعون » ، « الذي هو يطعمني ويسقيني ، واذا مرضت فهو يشفيني » ، « وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى » ، « تعز من تشاء وقدل من تشاء » الى غيرها .

ثم يقرأ الدعاء : بان الفقر والجوع والعري والدين وما اشبه مما يكرهها الاسلام ، فالاسلام يحب الغنى والشبع والكسي وعدم الدين ، والصحة وحسن الحال ، ومما يلفت النظر الى ان قصة الغني كررت في الدعاء ثلاث مرات « اغن كل فقير ، سد فقرنا بغناك ، اغننا من الفقر » لانه في نظر الاسلام اول المشاكل ، فان الصحة والعلم والائتلاف والفضيلة وتوابعها ، مما قتر كز على الغنى .

وبعد ذلك .. يوحي الدعاء الى النفس الاهتمام برفع هذه النقائص عن المجتمع ، فهي امور مكروهة مبنفوضة ، فيلزم مطاردتها بالدعاء ، ثم بالفعل .. فان الانسان اذا طلب شيئاً من كبير ثم قدّر هو على ذلك أليس يأتي به ؟ انه خاصة طبيعية .

الى غير ذلك .. بما لسنا بصدد شرحه .

والصيام أحكام نذكرها عفواً تباعاً باجمال .

١ - فمن أحكام الصيام :

ان الصوم على أربعة أقسام :

أ - واجب .. كصيام شهر رمضان ، وقضائه ، والنذر ، والكفارة .
ب - ومحرم .. كصيام يوم عيد الفطر - أول شوال - ويوم عيد الاضحى
- عاشر ذي الحجة - .

ج - ومكروه .. كصوم يوم عاشوراء ، عاشر شهر محرم الذي قتل فيه
الإمام الحسين « ع » .

د - ومندوب .. كصوم يوم الغدير ، ويوم المبعث ، ويوم المولد ، وصوم
رجب كله وشعبان كله كما ان الصوم قد يعرض له الحرمة كالصوم في السفر ،
والصوم المستحب مع نهي الوالدين .

٢ - ومن أحكام الصيام :

ان من افطر شهر رمضان ، فان كان مستحلاً لذلك ، بمعنى انه انكر هذا
الضروري من الدين ، وقال : ان صومه لا يجب ، فهو كافر يقتل .. فان كل
من انكر حكماً من أحكام الاسلام ، فهو كافر .

وان كان غير مستحل ، كغالب العصاة ، ترتب عليه حكان :

أولها : التعزير ، بمعنى أن الحاكم الاسلامي ، يلزم عليه ان يضربه بالسوط
عدة ضربات ، حتى يجد الم مخالفة حكم الله ، فينقلع ولو تكرور منه هذا العمل
ثلاث مرات أو أربع - مع التعزير - يقتل بعد ذلك ، كما ان الحكم كذلك
في كل مخالفة .

ثانيها - القضاء والكفارة .. فيقضي يوماً بدلاً اليوم الذي افطر فيه ،
ويكفر قوبة عن عمله ، والكفارة احدى ثلاثة اشياء :

عنتى رقبة مؤمنة .

صيام ستين يوماً متتابعاً .

اطعام ستين مسكيناً .

ولو كان افطاره على الحرام كما لو شرب الخمر ، كان اللازم عليه ثلاث
كفارات .

٣ - ومن أحكام الصيام .

ان المسافر . والمريض . والحائض . والنفساء . والمغمى عليه ، والحامل
المقرب ، والمرضة القليلة اللبن الذين افطروا يجب عليهم أن يقضوا تلك
الأيام التي افطروا فيها بعد شهر رمضان إلى رمضان الثاني فلو لم يقضوا في
هذه الفترة - بين رمضانين - وجب عليهم القضاء بعد ذلك والفدية بأن
يعطي مع قضاء كل يوم مَدّاً من الطعام .

٤ - ومن احكام الصيام :

ان هلال شهر رمضان وكذا هلال شهر شوال يثبت بأمر :

أ - رؤية نفس الشخص ، وان لم يره احد .

ب - حكم الحاكم الشرعي - أي المجتهد العادل - .

ج - شهادة رجلين عادلين .

د - مضي ثلاثين يوماً من الشهر السابق .

هـ - التواتر بأخبار جمع كثير يحصل العلم من اقوالهم بالرؤية ومثله الشيع -
ولو شك في ان هذا اليوم من شعبان أو رمضان صامه ندباً ، لا يقصد
رمضان ..

هـ - ومن أحكام الصيام :

انه يستحب للانسان أن يصوم ثلاثة ايام في المسجد بقصد (الاعتكاف) سواء كان من شهر رمضان أو غيره وقد كان الرسول «ص» مواظباً على (الاعتكاف) في العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك .
وللاعتكاف شروط نذكر جملة منها :

أ - ان يكون المعتكف بالغاً عاقلاً وبصيح من الصبي المميز .
ب - ان يكون الاعتكاف في أحد المساجد الأربعة مسجد الحرام ومسجد النبي (ص) ومسجد الكوفة ومسجد البصرة على قول جماعة من الفقهاء وبعضهم قالوا : يجوزه في كل مسجد جامع .

ج - أقل الاعتكاف ثلاثة أيام متصلة ويحوز أكثر من ذلك .
د - لا يحوز الخروج من المسجد وقت الاعتكاف إلا لضرورة مذكورة في كتب الفقه .

هـ - يحرم على المعتكف ليلاً ونهاراً مباشرة النساء بالجماع واللمس والتقبيل بشهوة وكذا المعتكفة .

و - يحرم على المعتكف الاستمناء .

ز - يحرم على المعتكف شم الطيب والريحان مثلنذاً .

ح - يحرم على المعتكف البيع والشراء .

ط - يجب على المعتكف اجتناب المجادلة إلا اذا كان بقصد اظهار الحق وابطال الباطل .

ي - وللاعتكاف احكام أخر ، مذكورة في كتب الفقه .

ونختم الفصل بخطبة رسول الله «ص» التي نخطبها بمناسبة شهر رمضان المبارك لما فيها من الفوائد الجليلة والحكمة والموعظة الحسنة لتكون منهاجاً للصائمين .

« روى حسن بن فضال عن الامام الرضا عليه السلام عن آبائه عن علي عليه السلام قال : ان رسول الله (ص) خطبنا ذات يوم فقال :

ايها الناس انه قد أقبل اليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة .

شهر هو عند الله افضل الشهور وأيامه أفضل الايام ولياليه افضل الليالي وساعاته افضل الساعات هو شهر دعيتم فيه الى ضيافة الله وجعلتم فيه من اهل كرامة الله .

انفاسكم فيه تسبيح ونومكم فيه عبادة وعملكم فيه مقبول ودعاؤكم فيه مستجاب .

فاسألوا الله ربكم بذيات صادقة وقلوب طاهرة أن يوفقكم لصيامه وتلاوة كتابه فان الشقي من حرم غفران الله في هذا الشهر العظيم .

واذكروا يجوعكم وعطشكم فيه جوع يوم القيامة وعطشه وتصدقوا على فقرائكم ومساكينكم .

ووقروا كباركم وارحموا صغاركم وصلوا ارحامكم واحفظوا ألسنتكم وغضوا عما لا يحل النظر اليه ابصاركم وعما لا يحل الاستماع اليه اسماعكم ، وتحننوا على أيتام الناس يتحنن على ايتامكم ، وتوبوا إلى الله من ذنوبكم وارفعوا اليه ايديكم بالدعاء في اوقات صلواتكم فانها افضل الساعات ينظر الله فيها الى عبادته يجيبهم اذا ناجوه ويلببهم اذا نادوه ويعطيهم اذا سألوه ويستجيب لهم اذا دعوه .

أيها الناس ان انفسكم مرهونة بأعمالكم ففكوها باستغفاركم وظهروركم ثقيلة من اوزاركم فخففوا عنها بطول سجودكم واعلموا ان الله أقسم بعزته أن لا يعذب المصلين والساجدين وأن لا يروعهم بالنار يوم يقوم الناس لرب العالمين .

أيها الناس من فطر منكم صائماً مؤمناً في هذا الشهر كان له بذلك عند الله عتق نسمة ومغفرة لما مضى من ذنوبه .

فقيل يا رسول الله فليس كلنا نقدر على ذلك .

فقال : «ص» اتقوا الله ولو بشربة من ماء ، ايها الناس من حسن منكم في هذا الشهر خلقه كان له جوازاً على الصراط يوم تزل فيه الاقدام ومن خفف في هذا الشهر عما ملكت يمينه خفف الله عليه حسابه ومن كف فيه شره كف الله فيه غضبه يوم يلقاه ومن أكرم فيه يتيماً أكرمه الله يوم يلقاه ومن وصل فيه رحمه وصله الله برحمته يوم يلقاه ومن قطع فيه رحمه قطع الله عنه رحمته يوم يلقاه ومن تطوع فيه بصلاة كتب الله له براءته من النار ، ومن أدى فيه فرضاً كان له ثواب من أدى سبعين فريضة فيما سواه من الشهور ومن اكثر فيه من الصلاة على الله ثقل الله ميزانه يوم تحف الموازين ومن تلا فيه آية من القرآن كانت له مثل أجر من ختم القرآن في غيره من الشهور .

ايها الناس ان ابواب الجنان في هذا الشهر مفتحة ، فاسألوا ربكم ان لا يغلقتها عليكم ، وابواب النيران مغلقة فاسألوا ربكم أن لا يفتحها عليكم والشياطين مغلولة فاسألوا ربكم أن لا يسلطها عليكم .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : ففعلت ، فقلت يا رسول الله ما أفضل الأعمال في هذا الشهر ؟

فقال يا أبا الحسن أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله . .

تهمة .. نلحقها بفصل الصوم ، وان كان من الجدير ان نكتبها سابقاً ونجعلها - مقدمة - للكتاب ، إلا ان الذي حفزني على كتابتها ان شاباً من شبديتنا - بعد تمام طبع فصل الصوم ، ومصادفة طبعه لشهر رمضان المبارك - اخبرني : ان أحد اخوانه في المانيا كتب اليه كتاباً يقول فيه : ان أحد أساتذتي؛ قام اليوم بحملة على الاسلام، وألصق اليه كل تهمة، وانه دين رجعي جامد ، لا يسير التطور والتمدن ، ومن أقوى الأدلة على ذلك

(الصيام) الذي شرعه الاسلام - وقد كانت حملة الاستاذ ! بمناسبة هلال شهر رمضان المبارك فانه يخالف الطب الحديث الذي يرى للصوم اضراراً جمة ، على الأنسجة والشرابين والأوردة والأجهزة .

ثم يستطرد الكاتب .. وقد كان في الصف زمرة من الطلاب المسلمين ، لكن احداً منهم لم يرد على الاستاذ ، خوفاً او جهلاً .

وقد طلب الكاتب من صديقه هنا : أن يرسل اليه بعض الكتب الاسلامية ، لينهل من معلوماتها ، ويتسلح بما يقدر على رد مثل ذلك الاستاذ ان كررت الغارة .

أقول :

من المؤسف حقاً ، أن تقوم كل امة بدعاية واسعة النطاق لمبادئها السماوية والأرضية ، وتجنّد كل ما لديها من حول وطول لهذه الغاية ، ثم يبقى المسلم مانعاً عن نشر الإسلام هو لا غيره فتكون المدارس في كافة البلاد الاسلامية خالية عن الاسلام ، كما انزله الله تعالى وان كان فيها شيء مبعثر من برامج الاسلام لا اهتمام به ولا امتحان له ، ولا تفتيش وراهه ، ولا درجة لمن حازه أو رسب فيه ، وتكون الإذاعة والتلفزة والصحف ، ابواقاً لكل مبدء إلا مبدء الاسلام ، ولكل دين إلا دين محمد (ص) ، ولكل منهاج إلا منهاج السماء .

ومن العجيب جداً : ان يكون دستور الاسلام (اغزوم قبل ان يغزوك) و (ما غزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا) ثم نغزي في بلادنا وبواسطة اجهزتنا وسلاحنا حتى ينشأ الجيل ، وهو فارغ عن ثقافة الاسلام - بكل معنى الكلمة - مستوعب لثقافة الغزاة بجميع معنى اللفظة فلا يعرف من الاسلام إلا انه طقوس واوراد وصلاة وصيام ، ويا ليت عرف مغزى هذه العبادات حتى لا ينهار أمام استاذ الماني اذا قال : ان الصيام رجعية وخرافة .

وإذا كان هذا حال داخل البلاد ، فماذا يكون حال الشاب المسلم في بلاد الغرب والشرق .

انه ينسلخ عن الاسلام ، حيث يتغمص دينه المسيحي بكل حرارة وينتعل مبدأه الرجعي كل عميل بكل جرأة .

والمقصود من هذه التتمة ، ليس إلا سرد جملة من شهادات الغربيين حول الاسلام وحضارته - بصورة عامة - حتى انه اذا اتفق ان نظر فيها بعض شبابنا ، علم بأن الإسلام ليس كما يصفه أساتذة المانيا وساسة انكلترا وعمال روسيا وسادة فرنسا ودكاترة امريكا ، وبذلك يزداد ثقة والتفافاً حول الاسلام ، ولو الاسلام المجهول عنده ليفحص عن هذا الاسلام على يديه في كتب الواعين من المسلمين وان افتقده في مدارسه الابتدائية والمتوسطة والثانوية والكلية والجامعة ، وان لم يجده في اذاعاته وصحفه وتلفزته .

وما ننقله هنا ليس إلا فقراً من كتاب (الفكر الاسلامي) ترجمة الدكتور أحمد شبلي .

« وصل العالم الاسلامي بسرعة مذهشة إلى القمة ، ففتح الهند قدراً كبيراً من الثقافة العالية والفكر الرفيع ، ولكن القدر الذي استفادته أوروبا من العالم الاسلامي في محيط العلم والفلسفة كان اكبر مما نالته الهند ، ومن هنا كان نصيب أوروبا من ثقافة المسلمين عميقاً وشاملاً . »

« وأمد الإسلام الإنسانية بروح جديد لم يعرف التاريخ له مثيلاً ، وقد حاولت فارس والروم اعظم امبراطوريتين في تلك الأيام أن توقفامدة الزاحف ، ولكنها لم تصمدا في النضال طويلاً ، واكتسحهما تيار الاسلام ولم يمض قرن واحد على وفاة الرسول محمد (ص) حتى كان الاسلام قد امتد من المحيط الأطلسي في الغرب إلى الهند وحدود الصين في الشرق ، ومن بحر خوارزم في الشمال الى أعالي شلالات النيل في الجنوب . »

وذلك يعدل أكثر من نصف العالم المعروف حينئذ، فاصبح الاسلام يسوس امبراطورية اعظم من الامبراطورية الرومانية ايام كانت في اوج عظمتها .

« وعرفت اوربا عن المسلمين انواع التوابل والبهار ، والطيب والروائح والزنجبيل والسكر والبن . كما أخذت عنهم نظمهم الادارية وطرق حياتهم المنزلية ، ووسائل الزراعة وطرق الري ، وفن البناء وعلم الخط .. وكثيراً من الملابس والطعام والالاعاب الرياضية . »

« وقد تم هذا للمسلمين ، قبل ان تقع عين (كولومبس) على شواطئ امريكا بعدة قرون ، وقبل ان يستطيع (فاسكو دي جاما) ان يصل الى الأرض التي حلم بها (كولومبس) بقرون عديدة وقد كان لهذا الأخير مرشد عربي اسمه (احمد) كانت له خبرة بالبحار، فاستطاع بمهارته ان يقود الرحالة الاوربي الى الدنيا الجديدة . »

« وقد كانت حياة المسلمين ، في المستوى الذي سبق اجماله ، في حين لم تحظ شوارع لندن بمصباح واحد فيها ولم تمهد شوارع باريس إلا بعد ذلك بعدة قرون ، وبينما كانت حياة المسلمين على هذا الوصف كان امراء (الالمان !) والفرنسيين، والانجليز يعيشون في مساكن يتندر ان تفضل الحظائر المسقوفة، ليس فيها مداخن ولا نوافذ ويكفي ان يحدث ثقب في سقفها ، لينفذ منها الدخان الى الخارج . »

« ان القسوة الدافعة التي جعلت المسلمين يهتمون بالعلم ، مصدرها القرآن الكريم ، واحاديث الرسول (ص) . »

« اهتم المسلمون اهتماماً كبيراً بإنشاء المدارس والمعاهد والجامعات ويمكن القول انه بعد فترة من الزمن ليست طويلة ، كانت شبكة من المدارس قد تم انشاؤها ، فاصبح بكل قرية أو مدينة ، مدرسة ابتدائية أو ثانوية . »

ثم ينقل عن بروفيسورين :

« ان مدارس الاطفال كانت كافية تقريباً لجميع الاطفال ، وأما التعليم العالي ، فقد اعدت له كليات ومعاهد وجامعات كما كان يقوم به بعض اعلام العلماء في منازلهم الخاصة وكان الحكام والامراء والوزراء والاعنياء يرون ان عليهم ان يكونوا دعاة العلم ، فكانوا يعقدون في قصورهم ندوات علمية وادبية ، ويفتحون المدارس والكليات ويشيدون المعامل وينشئون المستشفيات . »

« ان ملامح ذات بال يبدو انها استعيرت من المدارس النظامية (انشأها نظام الملك ببغداد) الى الجامعات الاوروبية التي ظهرت مبكرة . »

« انتشرت صناعة الورق بالبلاد الاسلامية واصبحت من الصناعات المحلية ، وعلى هذا انتشرت الكتب ، واصبح تداولها سهلاً يسيراً ، ومن الحق ان نقرر ان صناعة الورق هي من اهم ما منحه الشرق الاسلامي الى اوربا عن طريق صقلية واسبانيا . »

« وكان العلماء يحصلون بالجهان على ما يحتاجون من اوراق واقلام . »

« ويروي ان مكتبة دار الحكمة بالقاهرة كانت تحوي مليونين من المجلدات ، وان مكتبة طرابلس السورية - التي احرقها الصليبيون ابان الحروب الصليبية الاولى كان بها حوالي ثلاثة ملايين من المجلدات . »

يقول المؤلف :

ومن هذا يتبين ان اوربا وامريكا الى هذا اليوم لم تصلا الى ما وصلت اليه البلاد الاسلامية في ذلك العصر ، من حيث الثقافة والعلم فانه اذا لاحظنا الوسائل الحديثة للورق والخبر والطباعة والتأليف ، وقارناها بالوسائل في تلك الايام لكان الفرق اكثر من مائة مما يقتضي ان تكون المكتبة الراقية في هذا العصر تحتوي على ثلاثمائة الف مليون من الكتاب ، وهل في اوربا وامريكا وما اشبهها مكتبة تحتوي على ثلث هذا المقدار ؟ كلا .

« وكانت خزافة الكتب التي انشأها عضد الدولة في شيراز تشغل (٣٦٠) حجرة ، وفسطاطاً تحيط بها الحدائق والمنتزهات » .

« ان المسلمين تلقوا من الاسكندرية وسوريا وفارس علوماً ذات طابع عتيق ، لم تتطور منذ كتبها مؤلفوها ، فدرسها المسلمون وهضموها ، واعادوا كتابتها مع زيادات وشروح ، ونقلوها الى اوربسا في ثوب قشيب ، وفي ضوء منهاج حديث كما نقلوا الى اوربسا علوماً اخرى كانت من مبتكراتهم ووضعهم ، فقد كانت الفترة من القرن السابع الميلادي الى القرن الثاني عشر فترة النهضة الاسلامية ، وكان المسلمون خلالها قادة الفكر اجمع » .

وينقل عن احد الاساتذة :

« ان القانون الاسلامي يطبق على جميع المسلمين ، لا فرق بين الملك المتوج والخدام الفقير ، وقد حيك القانون الاسلامي ابرع حياكة واحكمها ، حتى أصبح بحق اعمق واسطع ، قانون عرفته البشرية » .

« ان العلوم التي يمكن بحق ان نقول عنها : ان المسلمين قد وضعوا اسسها ، فمكن ذلك للاوربيين ان يشيدوا على هذه الاسس ، الدراسات الاوربية الحديثة ، وتلك العلوم هي : الفلك ، والرياضة ، والطب ، والعلوم الطبيعية » .

« ونعمود للخوارزمي لنقرر انه مؤسس علم الجبر وان كتابه المسمى (حساب الجبر والمقابلة) اقدم كتاب في موضوعه ، وقد ترجمه الى اللاتينية (جرالدمونني) فقدم به الى اوربسا علم الجبر مرتبطاً بكلمة (الجبر) وهي الاسم العربي لهذا العلم » .

« وقد وفد الى معاهد المسلمين باسبانيا ، كثير من التلاميذ الذين اصبحوا فيما بعد اساتذة ، وقادة في الدراسات الرياضية والطبية . وكان هؤلاء يعودون الى بلادهم ، ليعلموا اقوامهم ما تلقوه عن اساتذتهم المسلمين ، كما كانوا يترجمون لهم ما كتبه الباحثون المسلمون » .

الى غيرها .. وغيرها .. من النصوص في هذا الكتاب وفي غيره .. وغيره .
من سائر الكتب التي تعرضت لهذه الناحية من المباحث ، فهل يتنبه المسلمون
لهذه الحقيقة المهمة ؟ أو هل ينقلع المتعصب من الغربيين عن غيه ومسخه
للحقائق ، وتشويهه للتاريخ .

ولقد صدق الإمام أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام ، حيث قال :
« إن الدنيا اذا اقبلت على قوم اعارتهم محاسن غيرهم ، وان ادبرت عن
قوم سلبتهم محاسن انفسهم » .
فلقد ادبرت الدنيا عن المسلمين ، واقبلت على الغربيين ، فسلبت اولئك
ليعيرها هؤلاء .

والذي يجب على كل مسلم - اليوم - هو ان يجند كل ما بإمكانه لرد الاسلام
الى محله ، ليعود الى المسلمين كياناتهم الداخلي والخارجي . وإلا بقوا اذلاء في
ذيل القافلة ، يتسكعون ويستعطون ، كأنه لم يرفع لهم علم ، ولم تسبق لهم
حضارة ، ولم يكونوا مرتبطين بالحياة والاحياء في وقت ما .

ومن المضحك المبكي ما اتفق قبل أشهر ، ان زار هذه البلاد وقد اقتصادي ،
فانصلت باحدم وسألت : من أين الاستاذ ؟

خريج جامعة .. وسمي بالدين اسلاميين .

- وماذا يدرس في تينك الجامعاتين ؟

الاقتصاد الرأسمالي الغربي ، والشيوعي الشرقي .

- وهل يدرس الاقتصاد الاسلامي ؟

ليس للاسلام اقتصاد حق يدرس .

- عجيب كلامك جداً، فماذا كان يصنع المسلمون في الف وثلاثمائة سنة،
في هذه الرقعة الفسيحة من الارض بهذه الثروة المدهشة التي يحدثنا التاريخ
عنها ..؟!

عفواً .. لا أعلم رئيس الوفد هناك ، فان أردتم البحث ، فابحثوا معه .
اذا كان مصير خريجي كليات الاقتصاد عندنا بهذه المثابة ، فما يكون حال
خريجي الكليات الغربية والشرقية ، ومن المسؤول ، وما هو العلاج ؟
الا ان يرحمنا الله برحمته فيأخذ بأيدي المسلمين الى الاسلام ثانياً ، كما أخذ
أيديهم حين بعث فيهم رسولا منهم - أولاً - والله المستعان .

الزكاة

الاسلام ينظر إلى الأشياء نظر تعمق واقمي ، لا نظر عاطفي مادي ، أو روعي خيالي ، ولذا يضع القوانين العادلة ، والأنظمة المستقيمة ، بها تلتئم الحياة بعضها مع بعض ، وتزدهر الانسانية وتترقى المدنية ، وللاسلام اعجب الحلول البسيطة لكل مشكلة من مشاكل الانسان ، يتجنب الزاوية الحادة في كل الشؤون ، ولا يأخذ إلا بما هو ميسر سمح ، ولذا يصلح لكل زمان ومكان ، وكل جيل وطائفة مثله مثل الضياء والدفء والماء والهواء ، يحتاج إليه كل مخلوق انساناً او نباتاً او حيواناً .

ولا تصلح الانسانية ، ولا تقوم اعمدة الحياة ، إلا بالاسلام ولذا نرى العصور المظلمة السابقة على الاسلام عصور فوضى واضطراب وهمجية وظلم ، واستعباد واستغلال !.. وعلى حد سواء نرى العصور التي تلت الحكم الاسلامي منذ نصف قرن ، فانها الظلمات التي بعضها فوق بعض ، استبداد من الظالمين ، واضطهاد للشعوب ، وسفك للدماء ، وابتزاز للأموال ، وهتك للاعراض .

وبهذه النظرة العميقة التي ينظر الاسلام الى الحياة ، يتمكن من السيطرة على مرافق الانسان الروحية والبدنية والفكرية والعاطفية ويمثل هذه القيادة يترقى كل شيء حسب صلاحياته وقابلياته التي اودعها الله تعالى فيها فتتهتز جوانب الحياة المختلفة وتنبت كل خير وسعادة تظل البشرية في ظلها آمنة

مطمئنة وارفعة في رفاهية من العيش الرغد وسلام من استعباد واستغلال ونجاة من الفقر والجهل والمرض واطمئنان من الاحاد والكفر والفجور .

واننا لا ندعي ذلك بصفتنا مسلمين بل بصفتنا جامعيين نظرنا الى المبادئ والأديان السابقة على الاسلام فرأيناها تكثر مشاكل البشر عوض ان تقلها ولمسنا المبادئ والأديان المعاصرة التي تسود العالم اليوم بعد ان أزاحت الاسلام عن القيادة التي طالت ثلاثه عشر قرناً بالحديد والنار والمكر والخداع ! باسم العدالة والحرية والمساواة .. ! وألفاظ مزيفة خلافة جوفاء . نعم لمسنا هذه المبادئ والأديان فرأينا السجون تقص بالضيوف البريئة والمشائق تنصب لتسدي الجثث الطيبة والمدافع تفرغ افواهها لقصف المدن الآمنة والقنابل تنز في الفضاء لاقناء الألوف من الشيوخ والأطفال والمعجزة والأبرياء اشباعاً لحب السلطة ونزولاً لرغبات الانسانية .

وهكذا دو اليك يتضيق الخناق على الانسان يوماً بعد يوم حتى لو مضى على هذا زمان رأيت أولى السلطة الغاشمة يمنعون الناس حتى عن ضياء الشمس وبرد الهواء . ! والله المستعان .

والاسلام شأنه عكس ذلك : يقول القرآن الحكيم في وصف النبي «ص» « .. يحمل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم » .

وإنا - الآن - لسنا في صدد ذلك بل في صدد بيان جانب من جوانب الاسلام الاصلاحية التي يعبر عنها في الشريعة بـ (العبادات) وهي الزكاة ولكي نلقي ضوءاً على بعض نواحي هذه العبادة المهمة ذكرنا هذه المقدمة كي نلفت النظر إلى ما للاسلام من الأهمية ، ونكل الفحص عن ذلك الى من أحب الاطلاع وهو امر هين لا يحتاج إلا إلى مراجعة التواريخ ثم المقايسة وبعد ذلك يعرف صدق ما ذكرناه .

* * *

الاسلام كما اعتنى بالصلاة وبين لها حدوداً وآداباً ليقوي الصلة بين العبد وربه .. كذلك اهتم بالزكاة وقرر لها انظمة ودساتير ليرفع المستوى المادي للناس ليؤمن المصالح الفردية والاجتماعية ومن هذا يتبين ان الاسلام ليس دين مسجد وصلاة فحسب كما يحلو لمناوشي الاسلام أن يتهموه به ثم يكيلوا له كل ما في قاموسهم الكافر من نسبة واهانة .

وقد نرى في القرآن الحكيم اقتران الزكاة بالصلاة في آيات متعددة :

« الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون » .

« وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات وأقام الصلاة وابتاء الزكاة » .

« رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وأقام الصلاة وابتاء الزكاة » .

« وجعلني مباركاً أين ما كنت واورصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً » .

« وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً » .

وفي الأحاديث اشارة الى هذا :

فمن الباقر والصادق عليهما السلام قالوا : « فرض الله الزكاة مع الصلاة » .

وعن أبي جعفر عليه السلام قال : « ان الله تبارك وتعالى قرن الزكاة بالصلاة فقال : اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، فمن أقام الصلاة ولم يؤت الزكاة فكأنه لم يقم الصلاة » .

وقال عبدالله بن سنان قال ابو عبدالله عليه السلام : لما نزلت آية الزكاة « خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكاهم بها » في شهر رمضان فأمر رسول الله «ص» مناديه فننادى في الناس : ان الله تعالى قد فرض عليكم الزكاة كما فرض عليكم الصلاة ، ثم لم يعرض لشيء من اموالهم حتى حال عليهم الحول من قابل فصاموا وافطروا فأمر «ص» مناديه فننادى في المسلمين :

أما المسلمون زكوا اموالكم تقبل صلاتكم ثم وجه عمال الصدقة
وعمال الطقوس .

وفي هذه الآيات والأحاديث دلالة واضحة على مدى ارتباط الصلاة
بالزكاة وان الأولى لا تقبل بدون أن يأتي المسلم بالثانية وهكذا يكون الاسلام
يرى الجهات الروحية لا تستقيم بدون الجهات البدنية ، ان الفقر سواء كان
فقر الفرد ، أم فقر الدولة ، حري بأن يحدث خللاً في الاعتقاد وفي الجهاز ،
ولذا قال عليه السلام (كاد الفقر أن يكون كفراً) وهذا صحيح بالنسبة
الى الأفراد ، والدول على حد سواء .

فالفردي الفقير ، لا يتوجه إلا إلى نهب مال الناس ، ويمتلئ غيظاً وحسداً
على الأثرياء ، وبذلك يختل التوازن وينشعب صدع الامة ، وكثيراً ما كان
ذلك منشأ الثورات والانفجارات مما يخالفها الاسلام ، ويقلع جذورها
بخططه الحكيم إذ يسوي الحال بين الفقراء والاغنياء ، في جو رفع
الاحتياجات وصعيد العطف والحنان .

وكذلك الامة الفقيرة لا بد وأن تمد يد عوزها إلى غيرها فتكون أسيرة له
كما يقول الامام امير المؤمنين عليه السلام :

« استغن عن شئت تكن نظيره واحسن الى من شئت تكن اميره
واحتج الى من شئت تكن اسيره » وكثيراً ما تؤدي الحال الى استعمار الدول
الغنية للدولة المستعطية كما هو المشاهد في العالم اليوم ، والاسلام لا يحب لذويه
أن يكونوا في ذيل القافلة ولهم العزة والكرامة ولكن العزة لا تأتي حبوة
واعتباطاً وإنما تحتاج الى سلوك صحيح من الفرد والجماعة وتمشي مع خطط
الاسلام الصحيحة .

والزكاة حيث كانت مادة ثراء الدولة الاسلامية والمسلمين - في وقت
واحد - وكانت هي المصدر الأعظم تقريباً لازدهار الحضارة وسير المدنية

إلى الإمام ، حث الاسلام عليها أبلغ حيث وأكد فرضها بصنوف التأكيدات والوان التشويقات وحذر تاركها العقاب الأليم والعذاب المقيم في الاولى والاخرى .

قال محمد بن مسلم : قال ابو جعفر عليه السلام : (انه ما من عبد منع من زكاة ماله شيئاً إلا جعل الله ذلك يوم القيامة ثعباناً من نار مطوقاً في عنقه ينهش من لحمه حتى يفرغ من الحساب وهو قول الله عز وجل : « سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » يعني : ما بخلوا به من الزكاة) .

وقال حرير قال ابو عبدالله عليه السلام : (ما من ذي مال ذهب او فضة يمنع زكاة ماله إلا حبسه الله يوم القيامة بقاع قرقر وسلط عليه شجاعاً اقرع يريده وهو يحيد عنه فاذا رأى انه لا يتخلص منه أمكنه من يده فقضمها كما يقضم الفجل ثم يصير طوقاً في عنقه وذلك قول الله عز وجل : (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) .

وما من ذي مال ابل او بقر او غنم يمنع من زكاة ماله إلا حبسه الله يوم القيامة بقاع قرقر تطأه كل ذات ظلف بظلفها وتنهشه كل ذات ناب بناها .

وما من ذي مال نخل او كرم او زرع يمنع زكاته إلا طوقه الله عز وجل ربعة أرضه إلى سبع أرضين الى يوم القيامة ، وروى اسحاق بن عمار عن سمع عن أبي عبدالله عليه السلام يقول : ما ضاع ما في بر او بحر إلا بتضييع الزكاة فحفظوا اموالكم بالزكاة) .

ان الكون تحت نظام عادل لا يحيد عنه هواؤه وماؤه وشمس وقمره وسحابه ورياحه وانسانه وحيوانه ونباته ومعده كلها تجري لمستقر لها بتقدير من العزيز العليم ، والانسان مهما حاول تحريف سنة الله تعالى فإنما يصفع نفسه بنفسه وبهذا يكون كل تصرف على خلاف أوامر الله تعالى تصرفاً عدوانياً لا ينتج الا ضرر الانسان .

ومن السخف ان نرى اوامر الله تعالى أقبل من أوامر رئيس حكومة ، ان من لم يؤد الضريبة المفروضة لا بد وأن تحجز امواله السلطات فمن لا يؤدي فرائض الله تعالى في الأموال فهل من المستحيل ان يعصف به غضب الله تعالى فيهلك ماله ؟ إن من يعتقد قدرة الحكومة وعجز الله هو رجل بعيد عن المقاييس الكونية .

هذا بالإضافة إلى غالب الثورات التي تحرق الرطب واليابس انما تنشأ من جراء احتكار المتمردين أو ضعف الحكومات وعدم قيامها بالمهام الملقاة على انفسها فكثير من ضياع الأموال ناتج عن عدم اعطاء الزكاة الذي هو بدوره يسبب بقاء الفقير في الحضيض وارتفاع مستوى الثرى الى مناط النجم وبذلك تختلف الشقة وينهدم البناء .

والإنسان حيث ينظر الى الغرب والشرق المضطربين يوم بدأ التاريخ الى الحال الحاضر فتورات وانفجارات واطاحة بالحكومات واحتراق المدن في افران الحديد والنار ثم ينظر الى الدولة الاسلامية التي طالت ثلاثة عشر قرناً ، منذ اسسها النبي «ص» الى قبل نصف قرن تقريباً - مع كثرة ما فيها من هنات - ورأى قلة الانفجارات والتوترات فيها لم يكذب يشك في العامل المهم في الفارق ، هو اداء الحقوق ، واستقامة الحكومة نسبياً ، فهما كانا عاملين فعالين لبقاء الحكومة الاسلامية بينما كان ضدهما السبب الغالب ، لانقراض حكومات وهلاك الامم والشعوب .

تتماز قوانين السماء عن قوانين الأرض ، ان قوانين الارض يضعها احد شخصين : المستبد ، الذي لا يعمل إلا حسب مشتهاه ، والمجلس الذي يضع القانون بأغلبية الآراء وكلاهما فاسد مفسد فالسلطة المستبدة لا ترى إلا مصالح نفسها ، وان خرج المستبد عن ذلك فانه لا يمكن ان يخرج عن

عواطفه وظروفه ، وبذلك يكون الانسان ، متأرجحاً بين الحق والباطل ،
والزيغ والاستقامة .

والمجلس المتشكل من المنتخبين لا يستقيم إلا بتزيف من ذوي السلطة
- كما هو المشاهد في غالب المجالس ولو فرض : ان المجلس نزيه - وإن كان
نادراً - جداً - فذلك مما لا ينفع ، إذ الانسان مهما كان معاضداً مع
الآخرين ، لا يتخلو عن العواطف والظروف وذلك مما يكفي لانحراف القانون .

أليست قوانين مجلس بريطانيا، تحمل الاستعمار ؟! أليست قوانين الولايات
المتحدة تجوز اضطهاد الملون ؟ أليس مجلس هتلر وموسليني اباح الحروب
والدمار ؟! أليست قوانين روسيا جعلت قادتها في حل من قتل وتشريد
اكثر من عشرين مليوناً ، لتطبيق نظام المزارع الجماعية ؟! وأباح قتل
ملايين من المسلمين في تركستان لتطبيق مبادئهم على تلك المنطقة ؟!

أما قوانين السماء ، فقد وضعها إله حكيم عادل لا يحور ولا يظلم ولا
يجهل ولا يعجز .. فهي قوانين خير ورفاه وسعادة واطمئنان .

ونحن الآن بصدد قوانين المال فالإله وضع الزكاة بعد مقاييس ومقارنات ،
وبذلك نجحت الدولة ، وارتاحت الشعوب طوال الحكم الاسلامي أما قوانين
الضرائب فإنها مجحفة بعيدة من المثل الانسانية ، اما تمتص دماء الشعوب
لتوفير رغبات السلطة ، وأما تقلل من دفع العوز تمشياً مع روح السلطة
العاطفية نحو الثري والغني فهي اما مفرطة او مفرطة .

ولذا نرى أنين الشعوب والحكومات من نير الضرائب - على حد سواء -
وبعد فالقانون السابوي لا يختلف بالأزمان والظروف ، والشعوب يعلم مقداره ،
كما ان السلطة لا تتمكن من مجاوزته ، أما ضريبة الأرض فهي في اضطراب
مستمر ، فتارة تتصاعد ، وتارة تتنازل فالأمة في جهل منها ، والسلطة
في تأرجح تختلف حسب اهواء الحاكمين وابتزاز الحياة .

وهكذا وردت الأحاديث حول الزكاة انها تكفي مصالح الدولة والأفراد
بمقادير عادلة وأنصبة مستقيمة لا تختلف وان اختلفت الظروف ولا تتأرجح
وان اضطربت الأحوال انها من وضع حكيم عليم مطلع على الحاجات بصير
بالأجيال رؤوف بالناس رحيم .

قال ابو عبدالله عليه السلام : « ان الله عز وجل فرض للفقراء في مال
الأغنياء ما يسعهم ولو علم ان ذلك لا يسعهم لزادهم انهم لم يؤثروا من قبل
فريضة الله عز وجل ولكن اوتوا من منع من منعمهم حقهم لا بما فرض الله
لهم ولو ان الناس ادوا حقوقهم لكانوا عايشين بخير » .

فالأغنياء عاشوا بخير من نعمة الفقراء وحقدهم والفقراء عاشوا بخير في
رفاه وسعة والحكومة عاشت بخير من الثورات والانفجارات .

وعن ممتب قال قال الصادق عليه السلام : « انما وضعت الزكاة اختباراً
للأغنياء ومعمونة للفقراء ولو ان الناس أدوا زكاة اموالهم ما بقي مسلم فقيراً
محتاجاً ولا استغنى بما فرض الله له وان الناس ما افتقروا ولا احتاجوا ولا
جاءوا ولا عروا إلا بذنوب الاغنياء وحقيق على الله تعالى أن يمنع رحمته من
منع حق الله في ماله وأقسم بالذي خلق الخلق وبسط الرزق : ما ضاع مال
في بر ولا بجر إلا بترك الزكاة .. وان احب الناس الى الله تعالى اسخام كفاً
وأسخى الناس من ادى زكاة ماله ولم يبخل على المؤمنين بما افترض الله
لهم في ماله » .

وسأل محمد بن سنان عن الرضا عليه السلام ، عن علة الزكاة فقال : « من
أجل قوت الفقراء وتحسين اموال الاغنياء لأن الله تعالى كلف اهل الصحة
للقيام بشأن أهل الزمانة والبلوى كما قال الله تبارك وتعالى (لتبلون في
اموالكم وأنفسكم) في اموالكم : إخراج الزكاة وفي انفسكم توطئ
الأنفس على الصبر ، مع ما في ذلك من اداء شكر نعم الله عز وجل ،
والطمع في الزيادة ، مع ما فيه من الزيادة ، والرافة والرحمة لأهل الضعف ،

والعطف على أهل المسكنة ، والحث لهم على المساواة ، وتقوية الفقراء ،
والمعونة لهم على امر الدين ، وهو موعظة لأهل الغنى ، وعبرة لهم ،
ليستدلوا على فقر الآخرة بهم ، وما لهم من الحث في ذلك على الشكر لله
تعالى ، لما خولهم واعطاهم ، والدعاء والتضرع والخوف ، من ان يصيروا
مثلهم ، في امور كثيرة في اداء الزكاة والصدقات ، وصلة الأرحام ،
واصطناع المعروف .

وهكذا تكون الزكاة ، عطف وصلة ، وسد حاجة وقيام بالمصالح .
وتأليف للقلوب .. وكل خير !

* * *

العالم قبل اليوم ، واليوم ، يتأيل إلى جهتي نقيض ، الملكية المطلقة ،
واللاملكية المطلقة ، وكلاهما خطأ واضح ، فالملكية المطلقة تؤدي إلى فساد
وترف المالكين ، وعوز وفقر وشلل للقوى من المعوزين ، واللاملكية المطلقة ،
تخالف غريزة البشر المحببول على حب المال ، والطموح نحو الثروة ، والاسلام
قد أخذ الوسط بين الطرفين تمشياً مع روحه العالم الذي هو وسط بين الافراط
والتفريط في كل شيء فقرر للناس الملكية وفي عين الوقت اشرك الفقير للغني
في الملك ، فهما شريكان من ناحية ومستقلان من ناحية وبهذا حفظ التوازن
الصادق بين الطبقات والشعوب .

قال ابو المعز قال ابو عبدالله عليه السلام : (ان الله تعالى اشرك بين
الاغنياء والفقراء في الأموال فليس لهم أن يعترفوا إلى غير شركائهم) .
وكان أمير المؤمنين عليه السلام يكتب إلى عمال الصدقات في كيفية
الجبابة : (فان كانت له ماشية أو ابل فلا تدخلها إلا باذنه فان اكثرها له) .
وقد اعترف العلم الحديث بهذه الحقيقة أي : ان حل الاسلام لمشكلة
الملكية وكيفية توزيع المال بين الغني والفقير - بسبب الزكاة - هو
أفضل الحلول .

قال العلامة (جيت) : « ما زال الاسلام يحفظ التوازن بين الاتجاهين المتقابلين في دنيا العالم فهو يساوي ويوائم بين الاشتراكية القومية الاوربية وشيوعية روسيا فلم يهـو بالجانب الاقتصادي من الحياة الى ذلك النطاق الضيق الذي أصبح من مميزات اوربا في الوقت الحالى والذي هو اليوم من مميزات روسيا أيضاً » .

ويقول (ماسينسيون) : (ان لدى الاسلام من الكفاية ما يجعله يتشدد في تحقيق فكرة المساواة وذلك بفرض زكاة يدفعها كل فرد لبيت المال وهو يناهض عمليات المبادلات التي لا ضابط لها وحبس الثروات كما يناهض الديون الربوية والضرائب غير المباشرة التي تفرض على الحاجات الأولية الضرورية ويقف في نفس الوقت الى جانب الملكية الفردية ورأس المال التجاري وبذا يحل الاسلام مرة أخرى مكاناً وسطاً بين نظريات الرأسمالية البرجوازية ونظريات البلشفية الشيوعية) .

وهذا الأمر لم يكن سواداً على ورق أو قانوناً فاشلاً في الحياة كقوانين هذه الأيام التي تسود شرق الأرض وغربها : بل لقد طبق الاسلام قروناً وقروناً وتنعّم الناس بظله ورفاهه وكلمات الائمة عليهم السلام التي تقدمت في الفصل السابق من كفاية الزكاة للفقراء شهد لها الدنيا بالصدق كما ان التاريخ يصدق ما ذكره (جيت) وأخوه ، المتقدمان .

فقد كان الفقر في العصر الاسلامي حديثاً ينقل لا حقيقة ملهوسة .

هذا علي أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام يقول : (ولعل هناك بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له بالقرص ولا عهد له بالشبع) ان هاتين المنطقتين الفقيرتين لعل فيهما من .. ! واليوم المناطق الغنية يموت فيها الناس من الجوع كم فرق بين الحكم الاسلامي وتكافله المادي بهذه الفريضة البسيطة الوحيدة - تقريباً - وبين الحكم الغربي والشرقي اليوم وقبل اليوم مع هذه الكثرة المرهقة من الضرائب والائتوات ففي ظل الحكم في منطقة فقيرة معوزة طبعاً

لعمل من لا طمع له بالقرص !! وفي ظل الاحكام الارضية الجائرة ألوف .. وألوف .. ممن يموتون جوعاً ولا تزيد إطالة الكلام بذكر الارقام والاحصاءات التي تقوم بها السلطات المسيطرة على ثروات البلاد وقائمة وفياتها وما الى ذلك .

ولم يكن هذا مختصاً بزمن أمير المؤمنين « ع » بل كان كذلك ما دام الحاكم الاسلامي وان شذ عن ذلك بعض الحكام الفاسدين حتى في الدور الاسلامي .

فقد ارسل والي الصدقات بافريقية (وهي منطقة لا يشبع اهلها الى يوم الناس هذا مع وفرة استخراج المعادن فيها في هذا العصر) الى عمر بن عبد العزيز الخليفة الاموي يقول له : لم يبق فقير محتاج في افريقية وبيت مال الصدقات ممتلئ ، فارسل اليه عمر بن عبد العزيز بأمره بان يسدد الديون عن المديونين ، فسدد ديون الناس ، حتى لم يبق مدين يستحق السداد ، لم يسدد دينه ، ثم أرسل الى الخليفة أيضاً بانه ما زال في بيت المال الصدقات الكثيرة فأمره بان يشتري العبيد ويعتقها .

وهكذا لو أخذ الاسلام مرة أخرى زمام الحكم لحل مشكلة الفقر ، حلاً صحيحاً وازال هذا الشبح الخيف الهيم على الارض من الوجود ، بدون ثورة أو ضريبة جائرة ، أو قتل غني - باسم الفقير - أو ما الى ذلك .

الزكاة انظف الضرائب التي عرفها العالم الى اليوم أخذاً وعطاء وبساطة .
أما أخذاً :

فلأنها لا تؤخذ بالقسر ، بل المالك خير بين دفعها بنفسه الى الفقير ، وبين دفعها الى الجابي المنصوب من قبل الدولة الاسلامية والآخذ - وهو متولي الصدقات - لا يلحف في الطلب ولا يتهم المالك ولا يؤذيه ولا يبيع له شيئاً

لاجل هذا الفرض ولا يفتقي الخير من المال ويدع الرديء للمالك ..
ولا . ولا .

وانظر الى هذا الحديث الذي يقطر ماء ورواه ، ولطفاً وحناناً ثم قايس
الاحكام الاسلامية بما يصدر من القوانين الخائنة في عصر الكهرباء لترى الفرق
بين الاسلام وبين المبادئ والقوانين .

قال بريد ، سمعت أبا عبدالله « ع » يقول : (بعث أمير المؤمنين « ع »
مصدقاً من الكوفة الى باديتها فقال له : يا عبدالله انطلق ، وعليك بتقوى
الله ، وحده لا شريك له ، ولا تؤثر دنياك على آخرتك ، وكن حافظاً لما
اثمنك عليه ، راعياً لحق الله فيه ، حق تأتي نادي بني فلان ، فاذا قدمت
فانزل بمائهم ، من غير ان تخالط ابياتهم ، ثم امض اليهم بسكينة ووقار ،
حتى تقوم بينهم ، فتسلم عليهم ، ثم قل لهم : يا عباد الله ، ارسلني اليكم
ولي الله لاخذ منكم حق الله في أموالكم !!

فهل في أموالكم من حق فتؤدوه الى وليه ؟ فان قال لك قائل : لا فلا
تراجعه !!

وان انعم لك منهم منعم !! فانطلق معه ، من غير ان تخيفه أو تعده
إلا خيراً !! فاذا اتيت ماله ، فلا تدخله إلا باذنه فان اكثره له ! فقل
يا عبدالله ، اتأذن لي في دخول مالك ؟! فان اذن لك ، فلا تدخله دخول
متسلط عليه فيه ، ولا عنف به !!

فاصدع المال صدعين ، ثم خيره أي الصدعين شاء !! فإيها اختار فلا
تعرض له !! ثم اصدع الباقي صدعين ، ثم خيره فإيها اختار فلا تعرض له ،
ولا تزال كذلك حتى يبقى ما فيه وفاء لحق الله في ماله .

فاذا بقي ذلك ، فاقبض حق الله منه ، وان استقالك فاقله !! ثم اخلطها
واصنع مثل الذي صنعت أولاً حتى تأخذ حق الله من ماله !

فاذا قبضته ، فلا توكل به إلا ناصحاً شقيقاً أميناً حفيظاً غير معنف بشيء منها ، ثم احذر كل ما اجتمع عندك من كل ناد الينا نصيره حيث امر الله عز وجل ، فاذا انحدر بها رسولك ، فاعز اليه : ان لا يحول بين ناقة وبين فصيلها ولا يفرق بينهما ، ولا يمصرن لبنها ، فيضر ذلك بفصيلها ، ولا يجهد بها ركوباً ، وليعدل بينهن في ذلك ، وليوردهن كل ماء يمر به ، ولا يعدل بين عن نبت الأرض الى جواد الطرق ، في الساعة التي فيها تريح وتعبق ، وليفرق بين جهده ، حتى تأتينا باذن الله سبحانه ، صحاحاً سمائياً ، غير متعبات ولا مجهدات ، فيقسمن باذن الله ، على كتاب الله وسنة نبيه على اوليائه ، فان ذلك اعظم لاجرك ، واقرب لرشدك ، ينظر الله اليها واليك والى جهدك ونصيحتك لمن بعثك ، وبعثت في حاجته ، فان رسول الله ص ، قال : ما ينظر الله الى عبد يجهد نفسه بالطاعة والنصيحة ، له ولامامه ، إلا كان معنا في الرفيق الاعلى .

فهل تجد في القوانين هكذا ضريبة ؟! كلا: ولا يوجد في غير الاسلام الى يوم يبعثون .

وأراني بغنى عن التعليق على هذا الحديث ، فالشمس لا تحتاج الى الوصف ، وانما يكفي ان تقول للبصير : هذه الشمس ، فانظر اليها لترى بهجتها ونضارتها وضيائها ودفتها ..

واذا امر الامام « ع » - في هذا الحديث - ان يصدع المال صدعين ثم يخير المالك ففي حديث آخر ، ان للمالك ان يأخذ من الصدع الثاني ، ما يراه سمياً تشبيهه نفسه .

قال أبو عبدالله « ع » : (مر مصدقك .. ثم يخير صاحبها أي القسمين شاء فاذا اختار ، فليدفعه فان تتبععت نفس صاحب الغنم من النصف الآخر منها شاة أو شاتين أو ثلاثاً ، فليدفعها اليه ثم ليأخذ منه صدقته) .

ولا يقف الاسلام عند هذا الحد ، بل يسير شوطاً آخر واشواطاً تقويماً لموازن العدل . وتحفظاً على الحكومة العادلة ، وإثارة لمواطف الشعب نحو الحكام حتى يلتئم الناس حكومة وشعباً ، آخذاً ومعطياً وبذلك تترقى الانسانية ، وتنمو ملكات الحب والحنان بين الافراد في جو من الاخاء والود .

يروى رجل من ثقيف استعمله الامام امير المؤمنين عليه الصلاة والسلام ، على سواد من سواد الكوفة يقول : قال الامام عليه السلام :

(اياك ان تضرب مسلماً ، أو يهودياً ، أو نصرانياً في درهم خراج ، أو تببيع دابة عمل في درهم فانما امر ان نأخذ منهم العفو) وأشار الى قوله تعالى : (خذ العفو ، وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين) .

هكذا الاسلام ، لا فرّق بين مسلم ، أو يهودي أو نصراني في الحقوق العامة ، والواجبات الاصلاحية ، وان كانت هناك فروق فانما هي لما يقيم المجتمع !

وان هذا ليس في زكاة الانعام فحسب ، بل كذلك كل ما عليه الزكاة .

فقد كان امير المؤمنين عليه السلام يكتب الى من يستعمله على الصدقات : (.. فان قال لك قائل : لا فلا تراجعه وان انعم لك منعم فانطلق معه من غير ان تخيفه أو توعدده أو تمسفه أو ترهقه فخذ ما آتاك من ذهب أو فضة ..) .

هذا كله واضعافه .. لاخذ الزكاة !

أما معطي الزكاة فانظر الى توسعة الاسلام بالنسبة اليه :

ان قال : ليس عندي فلا يراجع !

ولا يضرب !

ولا يبيع شيء لأجل سد هذه الضريبة !

وان كان في بلد المعطي مستحق قدم على غيره ، قال عبد الملك : قال أبو
عبدالله عليه السلام : (كان رسول الله ص ، يقسم صدقة اهل البوادي في
اهل البوادي وصدقة اهل الحضرة في اهل الحضرة) حتى انه لو وجد في بلدة
مستحق يندب ان لا ينقل الزكاة قال محمد بن مسلم قلت لابي عبدالله عليه
السلام : رجل بعث بزكاة ماله لتقسم فضاعت هل عليه ضمانها حتى تقسم ؟
فقال (اذا وجد لها موضعاً فلم يدفعها اليه فهو لها ضامن حتى يدفعها وان لم
يجد لها من يدفعها اليه فبعث بها الى اهلها فليس عليه ضمان لانها قد خرجت
من يده) فانظر اي حكم هذا الذي ابتدء برفع الفقر عن اطراف صاحب
الضريبة ثم تصل النوبة الى غيرهم !

ولصاحب الزكاة ان يدفعها بنفسه الى المستحق بدون ان يردها الى الحكومة
الاسلامية قال جابر: اقبل رجل الى أبي جعفر عليه السلام وانا حاضر فقال:
رحمك الله اقبض مني هذه الخمسة درهم فضعها في مواضعها . فقال أبو جعفر
عليه السلام « بل خذها أنت فضعها في جيرانك والايتام والمساكين وفي
اخوانك من المسلمين » .

وللمالك ان يعطي مقداراً الى الفقير قرصاً ثم يحتسبها زكاة اذا وجبت
عليه قال عثمان بن عمران لابي عبدالله عليه السلام : اني رجل موسر ويحيثني
الرجل ويسألني الشيء وليس هو ابان زكاتي؟ فقال له ابو عبدالله عليه السلام:
(القرض عندنا بثمانية عشر والصدقة بعشرة وماذا عليك ان كنت كما تقول
موسراً اعطيته فاذا كان ابان زكاتك احتسبت بها من الزكاة يا عثمان لا ترده
فان رده عند الله عظيم) .

ويجوز له ان يدفع الى اطفال المسلم توسعة للمالك وترقيتها عن عيال المسلم
قال أبو بصير قلت لابي عبدالله عليه السلام : الرجل يموت ويترك العيال
يعطون من الزكاة ؟ قال (نعم حتى ينشأوا ويبلغوا ، يحفظ فيهم ميتهم) -

ولصاحب الزكاة ان يشتري بالزكاة العروض حيث يراه خيراً للفقير قال
يونس : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : عيال المسلمين اعطيهم من الزكاة
فاشتري لهم منها ثياباً وطعاماً وارى ان ذلك خير لهم ؟ فقال عليه السلام :
(لا بأس) .

واذا غير المالك بعض النصاب فراراً عن وجوب الزكاة لم تجب عليه وان
كان فراره مرغوباً عنه ، قال زرارة قلت لابي جعفر عليه السلام رجل كانت
عنده دراهم اشهرأ ففعلها دنانير فحال عليها منذ يوم ملكها دراهم حولا
ايزكيها ؟ قال عليه السلام : (لا) .

ولا يجب على المالك الاخراج من العين بل بما تيسر قال البرقي : كتبت
الى ابي جعفر الثاني عليه السلام : هل يجوز ان اخرج عما يجب في الحرث
من الحنطة والشعير وما يجب على الذهب دراهم قيمة ما يسوي أم لا يجوز
إلا ان يخرج من كل شيء ما فيه ؟ فأجاب (ايما تيسر يخرج) .

واذا دفع الزكاة الى شخص ثم تبين انه غير مستحق كفى اذا كان اجتهد
في الطلب قال زرارة لابي عبد الله عليه السلام في حديث : فان لم يعلم اهلها
فدفعها الى من ليس هو لها بأهل وقد كان طلب واجتهد ثم علم بعد ذلك
سوء ما صنع ؟ قال (ليس عليه ان يؤديها مرة أخرى) .

هذا ، الى مئات احكام تسهيلية مذكورة في كتب الفقه مما لا تكاد تجد
عشر معشارها في قانون او ضريبة او دين أو نظام .

وأليس من السخف أو العناد ان يقول الغرب الماكر ومؤيدوه الغفلة ان
نظام الاسلام غير قابل للتطبيق ؟ أمثل هذا النظام العاطفي الانساني - في
الضريبة مثلاً - غير قابل للتطبيق والضرائب المحمفة التي ترهق كواهل
الشعوب قابلة للتطبيق .

وهذا كله لمعطي الزكاة .

أما بساطة الزكاة فطالع الاسلام واحكم .

انه جعل الزكاة على تسعة اشياء :

(البقر ، الغنم ، الابل ، التمر ، الزبيب ، الحنطة ، الشعير ،
الذهب ، والفضة) .

واليك قائمة بالمقادير المفروضة والأنصبة الممينة :

البقر

<u>المقادير :</u>	<u>الأنصبة :</u>
بقر دخل في السنة الثانية	ثلاثون
بقرة داخلة في السنة الثالثة	اربعون

الغنم

شاة	أربعون
شافان	مائة واحد وعشرون
ثلاث شياه	مائتان وواحدة
اربع شياه	ثلاثمائة وواحدة
في كل مائة شاة	اربعمائة فما زاد

الابل

شاة	خمس
شافان	عشرة
ثلاث شياه	خمس عشر

الانصبية :

عشرون

خمس وعشرون

ست وعشرون

ست وثلاثون

ست وأربعون

احدى وستون

ست وسبعون

احدى وتسعون

اربع شياه

خمس شياه

ابل دخلت في السنة الثانية

ابل دخلت في السنة الثالثة

ابل دخلت في السنة الرابعة

ابل دخلت في السنة الخامسة

ابلان دخلتا في السنة الثالثة

ابلان دخلتا في السنة الرابعة

مائة واحدى وعشرون ، او ازيد ففي كل خمسين ما دخلت في السنة

الرابعة ، او في كل اربعين ما دخلت في السنة الثالثة .

الشعير ، الحنطة ، الزبيب ، التمر

ثمان وزنات وربع وزنة تقريباً من عشرة واحد ، ان كان السقي بالمطر ونحوه ، ومن عشرين واحد ، ان كان السقي بالدلو ونحوها .

الذهب

خمس عشر مثقالاً

ثلاثة مثاقيل بعد النصاب الاول من اربعين واحد .

الفضة

مائة وخمس مثاقيل

احد وعشرون مثقالاً بعد النصاب الاول من اربعين واحد .

ثم هناك شروط تخفف من وجوب الزكاة ، فمثلاً :

في الانعام ، لا تجب الزكاة ، على العوامل ، ولا على المعلوفة ، ولا قبل مضي الحول .

وفي الغلات ، لا تجب اذا لم تكن وقت التعلق ملكاً للشخص .

وفي النقدين ، لا تجب في غير المسكوك ، ولا قبل مضي الحول .

وقد ترى ما في هذه الأنصبة ، ومقاديرها ، من البساطة ، بحيث يعرفها البدوي ، فضلاً عن غيره ، باد في التفات وتوجه وهل تجد مثلها في سائر ضرائب الحكومات؟! .

كانت الحكومات ، قبل الاسلام ، همها بطنها ، فهي لا تأخذ الضرائب من الناس ، إلا لترفها ورفاهها أما الفقراء والمساكين .. وما إليهم ، بل والمصالح العامة ، فليس لها عند الحكومة أقل حظ .

ولما جاء الاسلام ، وأضاءت الدنيا بنوره ، أخذت حكومات الغرب ، بعض القوانين الاسلامية ، وخذت على مثالها ، لكن مثلاً مزيجاً من النور والظلمة ، والعطف والمجانبة فشرعت في ادخال بعض التعديلات في انظمتها عامة ، وفي الضرائب خاصة ، فاشركت الفقراء اسمياً ، في جزء ضئيل من مداخل الدولة ، ولكن لم يطبق من ذلك التعديل الجزئي ، إلا شيء يسير ، ولذا ترى إلى يوم الناس الحاضر لا يحترم الفقير ، ولا يقدر قدره ، بالرغم من الصيحات التي تملأ الدنيا باسم الفقير ، انه لا بد أن يموت في شرع الحكومات ، وأن تمسّدقوا بحقه ، وجعلوا الضرائب المصحفة باسمه ، وكثيراً ما قتلوا الأغنياء من أجله لكن الواقع لا ينطلي على أحد! .

أما الاسلام ، فهو الذي جعل له في أموال الأغنياء حقاً معلوماً ، لا يظلم ولا يظلمون ، وقد امتحن حق ظهر صدقه - طوال الحكم الاسلامي ثلاثة عشر قرناً - بالرغم من ابتلاء الاسلام في كثير من الأحيان بالزعماء الخونة ،

والسلاطين الجائرين ، إلا ان قوته ومثانته كانت تقف دون القضاء على الفقراء .

ولم يكن الاسلام يأخذ الضرائب المحصنة لهم ، وانما كانت الزكاة هي المصدر العظيم لسد هذا الثغر .

وقد جعل الله تعالى الزكاة على ثمانية اقسام ، بها يشعب صدق الفقراء والفقراء ، إلى جنب قيامها بمهام المسلمين ومصالحهم وكانت هذه الاقسام الثمانية كافية لسد جوانب حياة المسلمين المتشعبة .

يقول الله تعالى - بصدد أقسام الأصناف التي شرعت لها الزكاة : -

و/ انما الصدقات :

للفقراء .

والمساكين .

والعاملين عليها .

والمؤلفة قلوبهم .

وفي الرقاب .

والغارمين .

وفي سبيل الله .

وابن السبيل .

فريضة من الله ، والله عليم حكيم ، .

أما الفقير : فهو الذي لا يملك مؤونة سنته ، لنفسه ولعيله الواجبة -نفقتهم عليه ، لا بالفعل ، ولا بالقوة ، بمعنى انه ليس واجداً فعلاً ، ولا قادراً على الاكتساب الذي يسد نفقته ، قال ابو بصير : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : « يأخذ الزكاة صاحب السبعمائة اذا لم يجد غيره ، قلت : فان صاحب السبعمائة تجب عليه الزكاة ؟ ! قال : زكاته صدقة على عياله ، ولا يأخذها إلا أن يكون اذا اعتمد على السبعمائة انفقها في أقل من سنة ، فهذا يأخذها ولا تحمل الزكاة لمن كان محترفاً ، وعنده ما تجب فيه الزكاة أن يأخذ الزكاة ، »

وفي خبر محمد بن مسلم عنه عليه السلام « ولا تحمل الزكاة لمن له خمسون درهماً ، وله حرفة يقوت بها عياله » .

وقال ابو جعفر عليه السلام : « قال رسول الله «ص» : لا تحمل الصدقة لغني ، ولا لذي مرة سوي ولا لمهترف ، ولا لقوي ، قلنا ما معنى هذا ؟ قال : لا يحمل له أن يأخذها ، وهو يقدر على أن يكف نفسه عنها .

ولا يقتصر أخذ الزكاة على أقل الضرورات ، بل حتى تسد جميع حوائجه المتعارفة ، قال سماعة : سألت أبا عبد الله عليه السلام : عن الزكاة هل تصلح لصاحب الدار والخادم ؟ فقال : نعم ، إلا أن يكون داره دار غلة ، فخرج له من غلتها دراهم ما يكفيه لنفسه وعياله ، فان لم يكن الغلة تكفيه ، لنفسه وولياله ، في طعامهم وكسوتهم وحاجتهم - من غير اسراف فقد حلت له الزكاة ، فإن كانت تكفيهم فلا » .

قال ابو بصير للصادق عليه السلام : ان لنا صديقاً .. له دار تسوي أربعة آلاف درهم ، وله جارية وله غلام ، يستقي كل يوم ما بين الدرهمين إلى الأربعة ، سوى علف الجمل ، وله عيال ، أله أن يأخذ من الزكاة ؟ قال : نعم قال : وله هذه العروض ؟! فقال : يا أبا محمد ، فتأمرني ان أمره ببيع داره ، وهي عزه ومسقط رأسه ؟! او يبيع خادمه الذي يقيه الحر والبرد ، ويصون وجهه ووجه عياله ؟! أو أمره أن يبيع غلامه وجمله ، وهو معيشتهم وقوته ؟! بل يأخذ الزكاة ، فهي له حلال ، ولا يبيع داره ولا غلامه ولا جملة . ثم أليس اعطاء الزكاة للفقير بقدر بل الأفضل أن يعطى الفقير من الزكاة حتى يستغني .

قال اسحاق بن عمار لأبي الحسن موسى عليه السلام : أعطى الرجل من الزكاة ثمانين درهماً ؟ قال « نعم وزده » قلت اعطيه مائة ؟ قال « نعم » واغنه ، ان قدرت على أن تغنيه » .

وقال ابو جعفر عليه السلام : « إذا اعطيت الفقير فاغنه » .

هذه هي حصة الفقير من الزكاة ، وهذا هو الفقير ، فهل في قوانين الأرض ما يشابه ذلك ؟ ولو فرض - مستحيلاً - فهل يطبق ؟ كلا ! أما الاسلام ، فإنه جعل ، وطبق !!

وأما المسكين : فهو صنو الفقير في المزايا المذكورة ، وإنما الفرق ، ما ورد في النص : سأل محمد بن مسلم الإمام الباقر او الإمام الصادق عليهما السلام : عن الفقير والمسكين ؟ فقال : « الفقير الذي لا يسأل ، والمسكين الذي هو اجهد منه الذي يسأل » وإنما ذكر في الآية الكريمة ، للتنصيص والاستيعاب ، واهتماماً به . وعناية بحقه .

وأما العاملون : فهم جباة الزكاة . وليست لهم حصة معينة لوضوح اختلاف اجرة الجباية . حسب الأزمنة والظروف . قال الحلبي للصادق عليه السلام : ما يعطى للمصدق ؟ قال : « ما يرى الإمام . ولا يقدر له شيء » .

والمؤلفة قلوبهم : هم من ضعف اسلامه . فيعطى من الزكاة . ليقوى إيمانه . إذ المال ملين للصعوبات ، حلال لعقد النفوس . سأل زرارة أبا جعفر عليه السلام : عن قول الله عز وجل : « والمؤلفة قلوبهم » قال قوم وحدوا الله عز وجل . وخلصوا عبادة من يعبد من دون الله ، وشهدوا ان لا إله إلا الله وأن محمداً «ص» رسول الله . وهم في ذلك شكك في بعض ما جاء به محمد «ص» . فأمر الله نبيه : أن يتألفهم بالمال والعطاء . لكي يحسن اسلامهم ويشبثوا على دينهم الذي دخلوا فيه ، وأقروا به ، فان رسول الله «ص» يوم حنين تألف رؤساء العرب من قريش ومضر منهم ابو سفيان بن حرب . وعيينة بن حصين الفزاري . وأشباههم من الناس . فغضبت الأنصار . فاجتمعت إلى سعد بن عبادة . فانطلق بهم إلى رسول الله «ص» بالجرعانة . فقال : يا رسول الله أتأذن لي في الكلام ؟ فقال : نعم . فقال ان كان لهذا الأمر . في هذه الأموال التي قسمت بين قومك شيئاً انزل الله . رضينا . وان كان غير ذلك لم نرض . فقال رسول الله «ص» : يا معشر الأنصار .

تأكلكم على قول سيدكم سعد ؟ فقالوا : سيدنا الله ورسوله . ثم قالوا في الثالثة :
على مثل قوله ورأيه .

فقال رسول الله «ص» : أفلا ترضون يا معشر الانصار . أن يذهب الناس
إلى رحالهم بالشاة والبعير وتذهبون برسول الله إلى رحالكم .. فبكى القوم
حق اخضلت لحام . وقالوا رضينا بالله ورسوله قسماً ..

والرقاب : هم العبيد يشترون من الزكاة ويعتقون ، سأل عبيد بن زرارة
أبا عبدالله عليه السلام ، عن رجل اخرج زكاة ماله الف درهم . فلم يجد
موضعا يدفع ذلك إليه . فنظر إلى مملوك يباع فيمن يريده . فاشتراه بتلك
الألف درهم ، التي اخرجها من زكاة ، فاعتقه . هل يجوز ذلك ؟ قال :
« نعم لا بأس بذلك » وقال أديم بن الحر : قلت لأبي عبدالله عليه السلام ،
مملوك يعرف هذا الأمر الذي نحن عليه . اشتره من الزكاة فاعتقه ؟ قال
« اشتره واعتقه .. »

والفارمون : هم المدينون الذين لا يتمكنون من إداء دينهم . ولم يصرفوا
المال في المعصية . من غير فرق بين أن يكونوا امواتاً أم احياء ، سأل
عبد الرحمان أبا الحسن الاول عليه السلام ، عن دين لي على قوم ، قد طال
حبسه عندهم ، لا يقدر على قضائه ، وهم مستوجبون للزكاة . هل لي ان
أدعه ، فاحتسب به عليهم من الزكاة ؟ قال « نعم » وسأله عن رجل عارف
فاضل توفي وترك عليه ديناً ، قد ابتلى به ، لم يكن يفسد ولا يمسرف ، ولا
معروف بالمسألة ، هل يقضي عنه من الزكاة الألف والألفان قال « نعم » .
بل أزيد من هذا ، ان على الإمام قضاء دين كل مسلم اذا مات ، ولم
يكن له مال يؤدي به دينه ، روى موسى بن بكير عن أبي الحسن عليه
السلام قال « من طلب الرزق فغلب عليه ، فليستد على الله تعالى وعلى
رسوله ما يقوت به عياله ، فان مات ولم يقض كان على الإمام قضاؤه ،
فان لم يقضه كان عليه وزره ان الله يقول « انما الصدقات للفقراء والمساكين
والفارمين ، فهو فقير مسكين مغموم » .

ان الاسلام - والاسلام وحده - عليه ديون الشعب ، وهل في القوانين
الوضعية هكذا ؟ كلا ! والى كذا (كان على الإمام قضاؤه ، فان لم يقضه
كان عليه وزره) ينبغي أن يقف الإنسان عند هذه العبارة قليلاً ! ان زعم
المسلمين هو المسؤول عن دين الأفراد لا المديون نفسه ، فكأنه دين الإمام إذا
لم يردده كان عليه وزره ! ولهذا يطابق العقل ، فمن أين يؤدي هذا الدين ؟
وكيف يمكن ابطال حقوق الدائنين .

ومن الملاحظ في معاكسة الأحكام الإسلامية العادلة للقوانين الغربية
الجائرة ، ان في الإسلام ما تركه الميت من مال فلوارثه وما تركه من دين ،
فعلى امام المسلمين ، أما الغرب فما تركه الميت من مال فتشاركه الحكومة
بمقادير باهظة ، وما تركه من دين فعلى الوارث بمعنى ان الحكومة ليست
متكفلة ، وعلى هذه قس ما سواها .

أما في سبيل الله ، فهي مطلق سبيل الخير من مصالح المسلمين جهاداً
كان ام حجاً او بناء قنطرة ام تشييد مدرسة ام غير ذلك ، قال الامام
عليه السلام « وفي سبيل الله قوم يخرجون في الجهاد ، وليس عندهم ما
يتقوون به . أو قوم من المؤمنين ليس عندهم ما يحجون به او في جميع سبل
الخير ، فعلى الامام أن يعطيهم من مال الصدقات » بل في رواية ان ابن
السبيل شامل للضيف .

وأما ابن السبيل ، فهو الذي انقطع في سفره ، لنفاد نفقته او تلفها او
ما إلى ذلك ، قال الامام عليه السلام « وابن السبيل ابناء الطريق الذين
يكونون في الأسفار في طاعة الله ، فينقطع عليهم ويذهب مالهم ، فعلى
الامام أن يردم إلى أوطانهم من مال الصدقات » .

هذه اصناف المستحقين للزكاة بصورة اجمالية ، وهذه الفريضة من حيث
الأخذ والعطاء ، والمخرج والمصرف والبساطة والنزاهة ، حقاً انها من أفضل

الضرائب التي عرفها العالم قبل الاسلام ، ومن حين أزيح الحكم الاسلامي عن دست القيادة ليخلفه قانون الغرب الجائر ، ولا يجد الناس ، ولا يجد المسلمون مثل هذا القانون ، ولا مثل سائر قوانين السماء التي اوحى بها الله تعالى ، لرفاه البشر وسعادتهم . ولا يزالون في حلقة مفرغة ، من اجحاف الضرائب . وانسيائها في الترف والقصف . إلى ان يأخذ الاسلام الزمام ، فينطبق - ثانية - قول الله تعالى « النبي .. يضع عنهم اصرهم ، والاغلال التي كانت عليهم » .

وهناك أمور أخرى ، يستحب فيها الزكاة ، كمال التجارة ، والخيل .. وما إليها ، إلا ان المشهور بين العلماء لما كان استحبابها في هذه الأمور ، لا نتعرض لها ، وكتب الفقه كفيلاً ببيانها .

الخمس

المصدر الثاني لثروة الدولة الاسلامية ، هو الخمس .
وهو وان كان يفترق عن الزكاة ، في نواح ، إلا انه يجتمع معه في
نواح أخرى .

ركلاهما لخدمة المسلمين دولة وشعباً ، وتأمين مصالحهم جماعة وفرداً .
وهذا الحق مع احته السابقة : الزكاة ، يقومان بسد حاجات المسلمين ،
لا كحاجات هذه الحكومات فقط ، بل الحاجات التي في ضمنها اغناء كل
فرد فقير ، والقيام بكل مصلحة اسلامية ، وإبادة الجهل والفقير والمرض عن
الرقعة الاسلامية ، بل الدنيا كلها لو طبقت فيها أنظمة هذين الحقين .
بالاضافة إلى وفاء دين المديونين ، كما تقدم فيعيش المجتمع في الرفاه والسعادة ،
والاخوة والمطف ..

وبعض معاصرنا ، ممن لا يقيم لهذا الحق وزنه الاسلامي ، ويظن ان
(الغنائم) المأخوذ منها الخمس خاصة بغنائم دار الحرب وما اليها .. لما رأى
عدم كفاية الزكاة .. ونحوها .. لجميع المصالح ، التجأ إلى القول بأن الزكاة
يلزم أن تؤخذ حتى من المصانع والأبنية والمعامل .. ونحو ذلك .

لكن هذا القول بدون دليل ، ان الشرعية الاسلامية مكتملة بنص
القرآن « اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم

الاسلام ديناً ، فلو كان الإسلام بحاجة إلى مثل هذه التخريجات ، فهل يبقى فرق بينه وبين القوانين المدنية ، المحتاجة الى التعديل حسب الظروف ؟ .

الاسلام مرن . يماشي التطورات . وليس معنى ذلك : انه محتاج الى الزيادة والنقصان ، كما يتوهمه بعض المعاصرين . بل المعنى ان قوانينه التي اكتملت . صالحة للتطبيق في كل زمان وظرف ، ويكون في تطبيقه الرفاه الكامل للبشر من جميع النواحي . ولا يماثله دين أو قانون ولو دخل عليه التعديل الف مرة .

فللإسلام كليات وشخصيات . أما الشخصيات فهي هي . لا يجيد عنها قيد شعرة . فلحم الخنزير والخمر والقمار محرمة والصلاة والصوم والحج واجبات . والتزاور والهدية والضيافة مستحبات . وذبح الحيوان وبيع الأكفان والنخاسة مكروهات . وشرب الماء وأكل الطيب ولبس الحسن مباحات .

أما الكليات فهي تطبق حسب الظروف . فمثلاً :

الركوب جائز على كل مركب غير ضائر . والاستضاءة مباحة بكل ذي نور ، واستعمال الأواني والظروف جائزة في غير أمور معدودة - كالذهب والفضة - . وليس الملابس المختلفة مباحة إلا ما استثنى . وهكذا .. وهكذا .. ثم بعد ذلك لا يفرق ، أن يكون المركوب : بغالاً او حميراً او جمالاً . أو سيارة او طائرة او قطاراً .

أو يكون الضوء منبعثاً من الشمع . أو النفط . أو الدهن . أو المصباح الكهربائي . أو الذرة ..

أو تكون الأواني من الخبز أو الفسافون أو الصفر أو الفرففوري أو البسلور .

أو تكون الالبسة من القطن أو الكتان أو ريش الحيوان أو غيرها .

وهكذا الاسلام نظر في أول يومه إلى الظروف ومتطلبات الانسانية فيها ، ووضع برامج للرفاه والسعادة منها برامج المالية التي حصرها في امور معدودة مع البساطة في الأخذ والعطاء والمصدر والمورد ، وكان من ذلك الزكاة المتقدمة والخمس .

فالخمس هو المصدر الثاني لمال الدولة والافراد ، وله من البساطة والوضوح ما للزكاة .

قال عمران بن موسى : قرأت على موسى بن جعفر عليها السلام آية الخمس فقال : « ما كان لله فهو لرسوله ، وما كان لرسوله فهو لنا ثم قال : والله لقد يسر الله على المؤمنين ارزاقهم بخمسة دراهم جعلوا لربهم واحداً وأكلوا أربعة احلاء . »

فهذا الواحد للرب وان كان لا يحتاج الله اليه وإنما يصرف فيما أمر تعالى من اسعاف المحاييج وتنظيم الشؤون وتقويم الدولة الاسلامية ورفع الاحتياجات عنها ، وقد بين ذلك الإمام أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام كما يرويه النعماني في تفسيره قال عليه السلام :

« وأما ما جاء في القرآن من ذكر مدياش الخلق وأسبابها فقد اعلمنا سبحانه ذلك من خمسة اوجه : وجه الامارة ووجه العماره ووجه الاجارة ووجه التجارة ووجه الصدقات فأما وجه الإمارة فقولہ : « واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسة وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين » فجعل لله خمس الغنائم ، وهكذا يكون الخمس من معاش الخلق لكن مما يكون على وجه الامارة فالله تعالى ، وهو الخالق الملك العظيم له الخمس ثم لرسوله الوسيط العظيم بين الحق والخلق ثم اوصيائه الأمناء وذوو قرباه الأئمة الطاهرون عليهم السلام .

ينقسم الخمس الى قسمين :

١ - يسمى بـ (سهم الامام ع) وهذا مركب من سهم الله وسهم رسوله وسهم ذوي القربى .

٢ - يسمى بـ (سهم السادة) وهذا ايضاً مركب من سهم اليتامى والمساكين وابن السبيل .

أما القسم الأول الذي هو للامام « ع » وفي زمن الغيبة يعطى نائب الامام العام فيصرفه ولي المسلمين حسب المصلحة بما يعود الى الناس بخير .

وأما القسم الثاني الذي هو للسادة يصرف في الفقراء والايتام وابناء السبيل منهم عوضاً عن الزكاة فانهم لا يعطون من الزكاة ويعطون من الخمس .

كتب رجل من تجار فارس من بعض موالي ابي الحسن الرضا « ع » يسأله الاذن في الخمس فكتب اليه : « بسم الله الرحمن الرحيم ؟ ان الله واسع كريم ضمن على العمل الثواب وعلى الضيق الهم لا يحل مال إلا من وجه احله الله أن الخمس عوننا على ديننا وعلى عيالنا وعلى موالينا وما نبذله وما نشترى من اعراضنا ممن تخاف سطوته .. » انه عون على الدين يصرفه ولي المسلمين لاقامة الاسلام واغناء الأفراد من العيال والموال وغيرهم .

وقال موسى بن جعفر عليهما السلام « وله - يعني للامام - نصف الخمس كلاً ونصف الخمس الباقي بين أهل بيته فسهم ليتاماهم وسهم لمساكينهم وسهم لابناء سبيلهم تقسم بينهم على الكتاب والسنة ما يستغنون به في سنتهم فان فضل عنهم شيء فهو للوالي فان عجز أو نقص عن استغنائهم كان على الوالي أن ينفق من عنده بقدر ما يستغنون به وإنما صار عليه أن يعونهم لأن له ما فضل عنهم » .

ان السادة كغيرهم يجبي الأموال إلى ولي المسلمين: من خمس وزكاة فيعطي للفقراء من السادة وغيرهم قدر ما يكتفون في سنتهم - لكن بشرط عجزهم

عن الاكتساب قوة وفعلاً - أما الزكاة فلا تنقص عن الفقراء فان الله حسبهم ثم جعل لهم الزكاة كما تقدم وأما الخمس أي - نصفه الذي هو للسادة - فانه يختلف زيادة ونقصاً لوضوح ان السادة سلسلة خاصة ربما زادوا وربما نقصوا وعلى تبع ذلك يزيد حقهم قارة عن أفرادهم وينعكس اخرى ولذلك جعل الله تعالى أمر ذلك إلى الامام : ولي المسلمين إن زاد الحق كان للامام ان يصرفه حسب المصلحة وان زادت الافراد عن الحق كان على الإمام أن يعطي من عنده ما يكفيهم ، « فان فضل عنهم شيء فهو للوالي فان نقص أو عجز عن استغنائهم كان على الوالي أن ينفق من عنده بقدر ما يستغنون به » وهذا ليس جوراً عليهم ولا عليه بل الواجب بقدر الحق « وانما صار عليه أن ان يموتهم لأن له ما فضل عنهم » .

ان الاسلام العظيم بهذا الحل البسيط رفع مشكلة الفقر هذا الكابوس الذي يئن تحته الأفراد والحكومات - على السواء - قبل الإسلام وفي هذه الفترة التي أزيحت الأحكام الاسلامية عن ميدان الحكم وقد يزعم بعض الناس ان هذه الحلول انما يلصقها المسلمون بالاسلام ، فالاسلام في نظرهم كمبادئ الاقتصاديين مثلاً ممن افرغوا الصيغة في أبشع صورة ثم أخذ مواهم يعدلون ! وبعيدون ! بدعوى ان مبادئهم مرنة ! ولو كان معنى ذلك مسح المبدأ تماماً !

لكن الاسلام هو قانون السماء الذي يستكنه الامور ثم يضحع الدساثير واليك هذا الحديث المروي عن الإمام موسى بن جعفر « ع » بصدد الفقر قال « ع » :

« .. لأن فقراء الناس جعل أرزاقهم في أموال الناس على ثمانية اسهم فلم يبق منهم أحد وجعل للفقراء قرابة الرسول «ص» نصف الخمس فأغناهم به عن صدقات الناس وصدقات النبي «ص» وولي الأمر فلم يبق فقير من فقراء الناس ولم يبق فقير من فقراء قرابة رسول الله «ص» إلا وقد استغنى فلا فقير » .

ثم ان اختلاف مصدر الخمس والزكاة يكون الزكاة من اشياء خاصة والخمس من اشياء آخر حسب ما يأتي إنما هو لأجل القاعدة الأولية التي تقتضي يجعل الضرائب على الأموال النامية والاقتمصار على هذا القدر لأنه الكافي للقيام بالمصالح وهذا من مفاخر الاسلام الذي يجعل الضريبة بقدر الحاجة لا يحفف بأرباب المال كما لم يقصر بالنسبة الى الفقراء والقوانين الارضية في وقت واحد تجمع بين الضدين اجحاف بأرباب الأموال واضاعة للفقراء !

أما اختلاف موردها يكون الزكاة لغير السادة ونصف الخمس للسادة فذلك لاجل ابقاء الفارق الحافظ على المثل العليا إنا نرى ان الحكومات عامة تقدر اولاد الموظفين بما لا تقدر اولاد غيرهم جزاء لخدمتهم . وكذلك الناس يحفظون الرجل المرموق في اولاده اداء لبعض حقه وهذان يرميان الى مقصد واحد هو : تحفيز الناس نحو الخدمة والبراعة وهناك امثلة اخرى تؤيد هذه النظرية .

ولنفرض : ان الخمس اختص بالسادة لهذه الجهة نفسها فان هذا القدر من التجارة العنوانية وان لم تكن موجبة لفرق جوهرى من حيث اختلاف كمية المال ونحوه مما تبعث على التساؤل وأخيراً يكون الجواب : انه من سلالة مؤسسي الدين وذلك بدوره يفضي إلى التعرف على الاسلام وفهم مزاياه مما يسهل السائل وأقوام آخرين ! وكفى بها حكمة رائعة مع التحفظ على التساوي الاسلامي أمام الله تعالى وانه لا كرامة إلا بالتقوى .

ويتبين من هذا الجواب عن اراد ربما يخالج بعض الإفهام وانه كيف يجمع بين جعل الخمس وبين ان الرسالة لم يكن لها أجر ؟

إذ ليس الخمس أجر الرسالة وإنما هو تدعيم لاقتصاد الإسلام يوزع على الفقراء ويصرف في المصالح وسهم الله والرسول والإمام عون على الدين كما تقدم .

مصدر الخمس سبعة اشياء يجمعها قوله تعالى: «واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسة وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل» .
فكل غنيمة يجب فيها الخمس .
وقد بينت الأحاديث الواردة عن النبي وآله الاطهار ان الغنيمة التي يجب فيها الخمس سبعة :

الأولى : غنائم دار الحرب فالمسلمون اذا حاربوا المشركين ومن اليهم وحازوا على شيء من ممتلكاتهم فاللزام أن يخرج منها الخمس اولاً ثم تقسم البقية بين المقاتلين وهذا النحو من تقسيم الغنائم من أنظف القوانين التي عرفت إلى الآن فالمال المأخوذ يعطى لأخذه الذين هم أحق به من سواهم بعد ان يجعل نصيب منه لله والرسول والإمام اولياء المسلمين وهداتهم ونصيب منهم لليتامى والمساكين وابن السبيل ضعفاء المسلمين وفقرائهم .

وهذا بخلاف قوانين الحروب التي تجعل المال للدولة فعلم قتل المقاتلون ؟ وكيف يجرمون من كسب يدهم ؟ انهم بهذه الجريمة لا يشتاقون إلى النزال فتضعف نفوسهم عن خوض المعارك أما الاسلام فهو يشد عزيمتهم ويقوتي ارادتهم ! قال ابو بصير قال الباقر عليه السلام « كل شيء قوتل عليه على شهادة ان لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله فان لنا خمسة » وقال عبدالله ابن الجارود قال ابو عبدالله (ع) « كان رسول الله «ص» إذا أتاه المغنم أخذ صفوه وكان ذلك له ثم يقسم ما بقي خمسة اخماس ويأخذ خمسة ثم يقسم اربعة اخماس بين الناس الذين قاتلوا عليه ثم قسم الخمس الذي اخذه خمسة اقسام يأخذ خمس الله لنفسه ثم يقسم الاربعة اخماس بين ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل يعطي كل واحد منهم حقاً وكذلك الامام يأخذ كما يأخذ الرسول «ص» .

أما خمس الله الذي يأخذه الرسول فقد كان يضعه في سبيل الله كما في حديث زكريا قال سألت ابو عبدالله عليه السلام عن قول الله تعالى :

« واعلموا انما غنمتم » ؟ فقال : « أما خمس الله فللرسول يضعه في سبيل الله » .

الثانية : المعادن فكل ما كان معدناً سائلاً كان كالنفت او غيره كالأحجار الكريمة والذهب والفضة والملح والمرمر وما اليها فانها يجب فيها الخمس ، قال عمار سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول « فيما يخرج من المعادن والبحر والغنيمة (أي غنيمة دار الحرب . م) الخمس » وسأل الحلبي أبا عبد الله عليه السلام عن المعادن كم فيها؟ قال الخمس ، وعن الرصاص والصفير والحديد ، وما كان في المعادن ، كم فيها ؟ قال « يؤخذ منها كما يؤخذ من معادن الذهب والفضة » .

الثالثة : الكنوز ، وهي الأموال المذخورة تحت الارض ، فمن وجدها يجب عليه اخراج خمسها ، حكى الإمام الصادق « ع » ، عن امير المؤمنين عليه السلام ، ان النبي « ص » قال له « ع » « يا علي ان عبد المطلب سن في الجاهلية خمس سنن اجراها الله في الإسلام ، ووجد كنزاً فأخرج منه الخمس » وسأل الحلبي أبا عبد الله « ع » عن الكنز كم فيه ؟ فقال الخمس » .

الرابعة : ما يخرج من الماء بالغوص ، فانه يجب فيه الخمس ، قال حماد سألت أبا عبد الله « ع » عن العنبر وعض اللؤلؤ ؟ قال عليه الخمس ، وسأل موسى بن جعفر عليهما السلام عن ما يخرج من البحر ، من اللؤلؤ والياقوت والزبرجد ، وعن معادن الذهب والفضة هل فيها زكاة ؟ فقال اذا بلغت قيمته ديناراً ففيه الخمس .

الخامسة : أرباح التجارات والزراعات والصناعات ، وما اليها ، فان فيها الخمس ، بعد اخراج مؤونة السنة ؛ وهذا هو الحق الذي جعله الله تعالى ، ليملاً فراغ الفقر ، ويقوم بالمصالح ، وانكره بعض الناس ، ولذا اضطر إلى جعل الزكاة ، فهذه الامور .! بدون دليل ، لكن شرع الله أحق بالاتباع ، قال محمد بن الحسن ، كتب بعض أصحابنا إلى أبي جعفر الثاني ، « ع » ،

اخبرني عن الخمس ، أعلى جميع ما يستفيد الرجل من قليل وكثير ، من جميع الضروب ؟ وعلى الصنائع ، وكيف ذلك ؟ فكتب بخطه الخمس بعد المؤونة وقال سماعة سألت أبا الحسن عليه السلام عن الخمس ؟ فقال « في كل ما أفاد الناس من قليل او كثير » وقال عبدالله بن سنان ، قال ابو عبدالله عليه السلام « على كل امر غنم او اكتسب الخمس مما أصاب حق الخيساط ليخيط ثوباً بخمسة دوانيق ، فلنا منه دانتق .. »

السادسة : الأرض التي يشتريها الذمي من المسلم ، قال الصادق عليه السلام « الذمي اذا اشترى من مسلم الأرض ، فعليه فيها الخمس . »

السابعة : الاموال المختلطة حرامها بجلالها ، مما لا يعرف صاحبها قال عمار ، سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول « فيما يخرج من المعادن والبحر والغنيمة والحلال المختلط بالحرام اذا لم يعرف صاحبه ، والكنوز الخمس . »

هذه هي مصادر الخمس ، وتلك مواردها . وذلك مقدارها ، وذيك بساطتها ، أما سدها للحاجات الفردية والاجتماعية ، فيعلم عن مقايسة مصدرين فقط من مصادرها بحاجات المجتمع ، المصدر الاول ، الارباح ، فان خمسها رقم كبير جداً ، ومثله يجدر أن يسد نفقات الدولة ، وحاجات الافراد ، فكيف اذا أضيف اليه المصدر الثاني : وهو خمس المعادن ، واليك ما ينقله في كتاب (كفاح دين) ليعلم صدق ما نذكره ، قال « لقد ثبت لساهرينا ، ومحققينا ، ان الدول الطامعة الشرهة المحتكرة ، اختلست من ثرواتنا عام (١٩٥٥) فقط ما يساوي ربحه خمسمائة الف مليون دولاراً امريكياً . ! وقد تضاعف فيضان الآبار ، وعرفت آبار جديدة في برنا وبحرنا ، فتضاعف الربح هذين العاملين ، واصبح تسعمائة الف مليون دولاراً على الأقل . ! هذا سوى ما يكتسبه المستعمرون من مناجم الذهب والفضة والكبريت . »

اننا لنفرض معدل أرباح الآبار والمناجم الاخرى الف الف مليون ،
في كل سنة !.

فالحس : مائتا الف مليون !!

فهل يبقى بعد ذلك فقير أو مصلحة معطلة ؟ كلا !

أشرنا سابقاً إلى مصارف الحس اجمالاً ونقول :

ان الله تعالى يملك الدنيا وما فيها ملكاً طلقاً لا كأملأكنسا ، التي هي مجرد اعتبار ، وإنما جعل لنفسه حصة من الحس تشريفاً للرسول وذوي القربى وسائر المصارف بأردافهم لنفسه ، ومن المعلوم ان النبي «ص» كان يصرف حصة الله وحصته وحصة ذوي قرباه في مصالح المسلمين بل لم يزل مديوناً حتى قبض وقام الإمام امير المؤمنين «ع» باداء دينه وكذلك الامام المرتضى عليه السلام استدان مبالغ طائلة ربما بلغ قرب المليون يصرفها في المصالح حتى انه وقت استشهاده كان مديوناً بسبعمائة الف، فقام الإمام الحسن بادائها مع انها كانا رئيسي الدولة الاسلامية ويحبي اليها الحس والزكاة من كل ناحية .

بقي الكلام لأنصبة اليتامى والمساكين وابن السبيل ،

أما اليتامى والمساكين فمن الضروري وجوب قيام الدولة بمصالحهم وإلا فمن أين يعيشون ؟

والتكافل الاجتماعي الذي نراه اليوم كلمة جوفاء - غير مطبقة - ان هي إلا من تقاليد الغرب للاسلام تقليداً اسماً فقط لا روح له كما ان دار المعجزة التي تفتح في البلاد باسم العاجزين ولمدراها وموظفيها القسم الأوفر من مقررات المعجزة ، اقتباس من الاسلام حيث فتح النبي «ص» اول دار للمعجزة في مسجده كانت تسمى بـ : (الصفة) يجتمع فيها خلق كثير من

الخطام الآدمي الذي يمجز عن كسب القوت وربما بلغوا ثلاثئة وأكثر ولم يكن التكافل الاجتماعي خاصاً بالسلم بل المعاهد في البلاد الإسلامية كان له ما للمسلم من الاحترام فيما عدا احكام خاصة لمصالح وعلل . روي محمد بن أبي حمزة قال مرّ شيخ مكفوف كبير يسأل فقال امير المؤمنين « ع » ما هذا ؟ قالوا : يا امير المؤمنين نصراني فقال امير المؤمنين : استعملتموه حق اذا كبر وعجز منتموه ؟! انفقوا عليه من بيت المال .

فكيف يرضى الاسلام ان يرى فقيراً في بلاده ولو كان نصرانياً ؟! انه ليس من الانصاف أن يعمل الرجل - أياً كان دينه - في بلاد المسلمين ويستنفد قواه ثم يترك يستكفف ! انه الجهاد الذي ينتفع به فاذا لم يوجد فيه نفع كان نصيب الحطب الحرق ومن نصيب الحجر الطرح أما الانسان فلقد كرمه الاسلام « ولقد كرّمنا بني آدم وحملناه في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات » فكيف يرضى بأن يبقى هملاً يستجدي ؟!

أما ابن السبيل فللاسلام عناية خاصة به فوق العناية بسائر الفقراء انه فقير فيستحق العون وفوق ذلك يريد الاسلام بهذا الضمان أن يكثر السفر ويسهل للناس التنقل حتى تتوسع دائرة العلوم والمعارف ويعرف الناس بعضهم بعضاً ، فتقوى اواصر القرابة الانسانية ، فالاسلام بالاضافة الى حثه الأكيد بالمسافرة « أفلم يسيروا في الأرض .. ؟ » « فامشوا في مناكبها » « فسافر خفي الأسفار .. » يضع قسطاً من الزكاة والخمس لمن انقطع في سفره ، ليسهل للناس السفر ، لاغراض التجارة ، والسياسة والتعلم ورؤية المشاهد العلمية والتاريخية ، ودرس الأحوال الاجتماعية ، وزيارة الاضرحة المطهرة ، وتعرف الناس بعضهم مع بعض .

انهم يعلمون مهما انقطعوا ، يمد الاسلام اليهم يد العون ، فلا يبقون حيارى لا يجدون حيلة ولا يهتدون سبيلاً ، ومثل هذا القانون لا تجده في اي دين او مبدأ ، وان فرضنا وجوده ، فهو سواد على بياض وليس للتطبيق !!

الحج

الإنسان بما انه اجتماعي يمتاز عن سائر افراد الحيوان بالتعاطف والتواصل لا بد له من احتفالات واجتماعات يتبادلون فيها الآراء ويكتسبون خبرات واسعة ، بها تتحسن المعاش وتزدهي الحضارة وتتقدم البشرية الى الامام .

وللانسان بطبيعته الاجتماعية ميل ورغبة في الاجتماع مع بني نوعه ولذا يشرع منذ الصغر الى تكوين خلايا اجتماعية صغيرة ثم كبيرة ، ثم أكبر . فهو يجتمع مع العائلة حيث يظلمهم سقف وتجمعهم دار ، ثم يضيف الى ذلك القرين من زوج أو زوجة ، ثم الأولاد والأحفاد ، والى جنب ذلك يتخذ أصدقاء ومعارف واخلاء واخذان ، فهو يمتد في الطول الى الاجتماع وفي العرض الى الاجتماع كالشجر الذي يكون نواة ثم ينمو نحو السماء ، ويعترض حتى يكون شهراً باسقاً بديناً .

لكن الاجتماع الناشئ عن هذين الأمرين الطولي والعرضي اجتماع مصطنع تحت نطاق محدود ، ثم يأتي بعد ذلك دور الاجتماعات العامة نسبياً كاحتفالات بالاعياد والوفيات والاجتماعات في الأحزان والأفراح والحركات العامة الاصلاحية كالمظاهرات السلمية والعدائية ، والى هذا الحد يقف دور الاجتماع ، أما اجتماع أرقى من ذلك فليس في قاموس الناس .

لكن الاسلام كـبعض الاديان الأخر - يوسع دائرة الاجتماع الى الاجتماع العالمي ويتعدى الخلايا الصغيرة الى احتفال عام يجتمع فيه الاسود والابيض.. والشرقي والغربي.. والجنوبي والشمالى والسيد والمسود.. والعربي والمجـمى.. والتركي والهندي.. والثري وغيره.. من غير فرق بين البلدان والأقطار والمناصب والأعمار وذلك فيما فرضه من الحج : حجة الاسلام التي هي واجبة على كل مستطيع بعد كونه بالغاً عاقلاً .

وبذلك يكون أكبر اجتماع عام يشهده التاريخ في كل سنة كما هو في نفس الحال اجمع اجتماع للأصناف المختلفة والامم المتباعدة والاجيال الصاعدة والنازلة فيأخذ المجتمع الاسلامي سطحاً واحداً حقيقياً أو نسبياً .

فتقوى الاواصر الانسانية، وتستحكم الصلات البشرية ويتركز النمو الاسلامي الذي هو نواة السعادة، في كتاب الاسلام والعلم الحديث . والحج دعوة كبرى لعقد مؤتمر عالمي للمسلمين ، يباشرون فيه امورهم ، ويحلون مشكلاتهم، ويتجاوبون به لمختلف رغبات المسلمين أينما كانوا .. وفي العصر الحديث نرى ان دول العالم كله تجد انه لا مناص من عقد المؤتمرات، التي تضم طوائف البلاد المتأثرة في سياستها أو مشاربها ، أو اتجاهاتها الاقتصادية ، لتقوية دول هذا المؤتمر ، واصبحت الدول تتسابق الى ضم أكبر عدد من حلفائها الى جانبها ، وظهرت التكتلات الدولية ، واخذت صوراً واسماء ، ولكنها ما زالت وستظل دون مؤتمر الاسلام الذي دعا اليه الله بالحج . فهذه مئات الالوف من كل بقاع العالم ، في شتى الدول وعديد البلاد فيهم كل ألوان البشر : من ابيض واسمر وأسود وأصفر .. ويمثلون كافة الاتجاهات السياسية فمنهم من روسيا ومنهم من إنجلترا وآخرون من فرنسا وإيطاليا .. والشرق الأوسط والأقصى .. ومن جزر المحيط أي محيط وكل محيط ، تربطهم عقيدة واحدة : هي الاسلام ، ويجمعهم الهدف الموحد : حج بيت الله الحرام . مندوبون عن كافة الدول ، ومختلف الشعوب يجتمعون مرة كل عام ، يجمعهم

رابطة أقوى من القومية ، أو المنفعة الاقتصادية ، أو الحوار ، الا وهي رابطة
«الدين .. فما اجمله من مؤتمر . وما اكمله من اجتماع » ..

قال هشام بن الحكم : سألت أبا عبد الله عليه السلام ، فقلت : ما العلة التي
من أجلها كلف الله العباد الحج ، والطواف بالبيت ؟ فقال « ان الله خلق
الخلق .. وامرهم بما يكون من امر الطاعة في الدين ، ومصالحتهم من امر دنياهم ،
فجعل فيه الاجتماع من الشرق والغرب ، ليعتارفوا ، ولينزع كل قوم من
التجارات من بلد الى بلد ، ولينتفع بذلك المكاري والجمال ولتعرف آثار رسول
الله « ص » ، وتعرف اخباره ويذكر ولا ينسى ، ولو كان كل قوم انما يتكلمون
على بلادهم وما فيها هلكوا ، وخربت البلاد ، وسقطت الجبل والارباح ،
وعميت الاخبار ولم يقفوا على ذلك » ..

والحج مسح قطع النظر عن ناحيته الاجتماعية - المتقدمة - له فاحية
اقتصادية ، فان الاقتصاديات ، كما هو معلوم انما تتحرك وتزدهر بالتنقل والأخذ
والعطاء والبيع والشراء .. وما الى ذلك ، والحج من اظهر مصاديق تحرك
الاقتصاد ، وليست حركة ضئيلة ، بل انما هي حركة في عرض البلاد وطولها ،
وهو في عين الحال حركة في جوانب التجارة المختلفة : جوانب السفر ،
والملايس ، والمأكل ، والمساكن .. وغيرها .

ولا بأس بنقل جملة من نشرة (الأخلاق والآداب) العدد السادس السنة
الثانية ، باختلاف يسير لتطبيقه على الموضوع ..

« .. من فوائد الحج تنشيط الحركة الاقتصادية ، فان مسلمي العالم الذين
يربو إحصاؤهم على الستائة مليون : ربع نفوس البشر ، سواء كانوا متلاحمي
الأراضي ، ام متناثري البلاد ، لو حاول كل فرد منهم الحج ، وزيارة النبي
صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الطاهرين في المدينة المنورة . لرأيت البلاد
الاسلامية كلها تدأب في حركة تجارية مستمرة ، نتيجة لتلاحق الوفود من
هنا وهناك .. فلنعد القول بلهجة أبسط ، ولنفرض المسلمين ٦٠٠،٠٠٠،٠٠٠

مليون نسمة فقط ، لا أكثر ، ولنقدر المتمكن منهم للحج ١ ٪ فقط ، لا أكثر ، فكم يصبح عدد الحجاج كل عام ؟ انه يكون ٦٠٠٠٠٠٠٠ مع العلم ان كل فرد منهم لا تكلف سفرته اقل من (٥٠) ديناراً.. بعد تكسير الزائد والناقص ، واعتبار الناتج ، فاذن كم يساوي مجموع مصارف الحج : ٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ مليون ديناراً ، وطبعاً انهم يعبرون جميع البلاد الاسلامية ، ويدرون عليها هاته الأموال السخية ، وذلك لا بد وان يحدث حركة تجارية متواصلة . واستخدام الايدي العاملة ، دون ان يستخدم الاسلام في سبيلها شيئاً . ! فهذه أموال المسلمين ، تنثر في بلاد المسلمين ، لمصلحة المسلمين .. !

وهاك حكمة اقتصادية أخرى ، لا يستهان بها ، وهي ان المسلم بشر ، يضيق بمكانه ذرعاً ، ولا يفرض الاسلام عليه ان يعيش في مسقط رأسه حتى يموت ، ان ينزل في الاديرة والصوامع !! بل لا بد من سياحات رحبية أو ضيقة ، حسب امكانياته ، فان وجدها في البلاد الاسلاميه ، وإلا يتطلبها عند الاجانب والبعداء . ولكن يندفع فائض اموال المسلمين ، لبيحث عن مساره في الكفار . وهذه خسارة ربما تحمل بالتوازن الاقتصادي المنشود .

فاستفاد الاسلام من هذه الغريزة ، غريزة حب التجول والسياحة وشرع الحج ، وحث المسلمين على الوفود اليها ، بغية الثواب ، طوراً بلعن الوجوب ، وآونة في لهجة الاستحباب ، وبذلك يجد المسلمون ما يقتنعون به عن السياحة في بلاد الكفر ، وربما ينتزع غير المسلمين الى التجول في بلاد المسلمين - عند ذلك - غنيمة بلا بدل . . .

يروى فضل بن شاذان عن الامام الرضا « ع » - في حديث طويل - قال « انما امروا بالحج لعل الودة الى الله عز وجل ، وطلب الزيادة ، والخروج من كل ما اقتترف العبد ، قائباً مما مضى ، مستشفأ لما يستقبل مع ما فيه من اخراج الاموال وتعب الابدان ، والاشتغال عن الأهل والولد وحظر النفس

عن الذات ، شاخصاً في الحر والبرد ، ثابتاً على ذلك دائماً مع الخضوع والاستكانة والتذلل .

مع ما في ذلك لجميع الخلق من المنافع: لجميع من في شرق الأرض وغربها ، ومن في البر والبحر ، ممن يحج وممن لم يحج ، من بين تاجر وجالب ، وبائع ومشتري ، وكاسب ومسكين ، ومكار وفقير ، وقضاء حوائج اهل الأطراف ، في المواضع الممكن لهم الاجتماع فيها ، مع ما فيه من التفقه ، ونقل اخبار الأئمة الى كل صقع وناحية ، كما قال الله عز وجل « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ، ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم ، اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون ، وليشهدوا منافع لهم » .

وقد نبه القرآن الحكيم على هذه الناحية المهمة ، في سورة الحج ، حيث يقول:

« وأذن في الناس بالحج ، يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر ، يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله في أيام معلومات . على ما رزقهم من بهيمة الانعام . فكلوا منها واطعموا البائس الفقير » .

* * *

وللحج بالاضافة الى النواحي الاجتماعية والاقتصادية - المتقدمة - نواحي أخلاقية ، لا توجد الا في الحج أو ما أشبه من الزيارات الاسلامية ، فان الانسان بطبعه ميال الى الشهوات ، سائر نحو الرذائل ، فانه كالبناء ينحو نحو الهدم ، وبقسائه يحتاج الى الترميم ، وهكذا الانسان يحتاج الى مطهرات خارجية ، والافسد قلبه . وسار نحو الرذيلة . والحج تأمين لهذه الناحية المهمة من الحياة ، كل خطوة يخطوها الحاج ، وكل موقف يقف ، وكل عمل يعمل ، وكل منسك ينسك ، يربي في نفسه الملكات الفاضلة ، أو يغرس في ذهنه حب الخير والعدالة ، والاخاء والمساواة .

فالانسان أول ما يعزم الحج يعرض عن جميع أهله وولده وممتلكاته ،
صميماً نحو بيت الله الحرام ، فليس السفر الا لله تعالى الذي خشعت له الاصوات ،
وعنت له الوجوه ، وخضعت له الرقاب ، ثم يخرج - بمجرد وصوله الى
الميقات ، حى الله تعالى - من ملاذه الحسدية ليمتلىء بالملاذ العقلية ، انه يحرم
جسده من اللباس ، وذوقه من اللحوم اللذيذة : الصيد ، وانفه من الروائح
الطيبة : كالزعفران ، وملمسه من الشهوات الحقيقية ، وهكذا مبتهلاً الى الله
تعالى ، مجيباً له دعوته « لبيك اللهم لبيك » .

ثم يسود هذه الجماعة الغفيرة ، الأمن والهدوء والسكينة والاطمئنان ،
والاخوة والمساواة ، « فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج » ، لا قتال ولا
جدال ، ولا ضرب ولا سب ، « ومن دخله كان آمناً » الكحل في مظهر واحد ،
ويجتمعون في أمكنة كل في وقت واحد ، هذا بيت الله الحرام ، وهذه عرفات ،
وهذا مشعر ، وهذا منى ، متحد العمل والتوجه والقول ، كلهم يلبون وكلهم
يطوفون ، وكلهم يصلون ، وكلهم يسمعون ، وكلهم يقفون ، وكلهم يرمون ويحلقون
ويذبحون ، أليس في هذه كفاية لتقوية الاتحاد والاخاء وحب المساواة .

هذه وغيرها ، تطهر الارواح من التفسخات الفكرية والرواسب الاخلاقية
وتسمو بالنفوس من لوثاتها بالاوزار والرذيلة ، والسفاسف الموبوءة ، وتقضي
الارواح بالمواد الصالحة ، والفضيلة والخير وتشفي الأبدان من الأسقام فان تغير
الماء والهواء ، والسفر والسياحة مصححة للأبدان ، اهل تستطيع أن تتصور
شخصاً يقطع الجهاد والوهاد ويترك الأهل والبلد ، ليطوف بالبيت ، ويتذكر
بالله العظيم ، ثم لا تهدأ في نفسه عظمة الخالق ، فتضل امام جبار السماوات
والأرضين ، حتى تموت في نفسه جرائم الفساد ، وتثبت في ذهنه مباهج
الخضوع والخشوع ، امام الله ، فلا يظلم ولا يظغى .

روى الفضل بن شاذان عن الامام الرضا « ع » قال « وانما امرؤ بالاحرام
ليخشعوا قبل دخولهم حرم الله وآمنه ، ولئلا يلهموا ويشتغلوا بشيء من أمور

الدنيا وزينتها ولذاتها ، ويكونوا جادين فيما هو فيه قاصدين نحوه ، مقبلين عليه بكليتهم ، مع ما فيه من التعظيم لله عز وجل ولبيته ، والتذلل لأنفسهم عند قصدهم الى الله عز وجل ، ووفادتهم اليه ، راجين ثوابه ، راهبين من عقابه ، ماضين نحوه ، مقبلين اليه بالذل والاستكانة والخضوع .

قال علي بن الحسين « ع » « حجوا واعتمروا لتصح أبدانكم وتتسع أرزاقكم ، وتكفون مؤنات عيالاتكم » .

للحج أعمال كثيرة كلها تطهر وعبادة ، واجتاج وانتفاع ، وعبر وعظات وهي :

- ١ - الاحرام .
- ٢ - الطواف .
- ٣ - ركعتا الطواف .
- ٤ - السعي .
- ٥ - التقصير .

وهذه الأعمال تسمى بالعمرة ، فتارة تقدم على أعمال الحج - كما في عمرة التمتع - وأخرى تؤخر كما في عمرة القران والافراد ، وحيث ان فرض الناس النائيين التمتع ذكرناها مقدمة .

وبعد أعمال العمرة الخمسة تأتي أعمال الحج وهي :

- ١ - الاحرام .
- ٢ - الوقوف بعرفات .
- ٣ - الوقوف بالمشعر الحرام .

- ٤ - الافاضة .
- ٥ - رمي جمرة العقبة .
- ٦ - الذبح أو النحر .
- ٧ - الحلق أو التقصير .
- ٨ - طواف الزيارة .
- ٩ - ركعتا الطواف .
- ١٠ - السعي بين الصفا والمروة .
- ١١ - طواف النساء .
- ١٢ - ركعتا الطواف .
- ١٣ - المبيت بمنى .
- ١٤ - رمي الجمار .

فالحاج يحرم من الميقات ، ثم يذهب ويطوف بالبيت سبعة أشواط ثم يصلي ركعتين عند مقام ابراهيم « ع » ثم يسعى بين الصفا والمروة سبع مرات ، ثم يأخذ بعض اظفاره أو شعره . وبعد ذلك يخرج من الاحرام ، ويحل له ما كان حرمه الاحرام .

ثم يحرم ثانياً من مكة ، ثم يقف بعرفات وهو موضع قريب من مكة ، ثم يقف بالمشر وهو موضع قريب من مكة أيضاً ثم يفيض الى منى ثم يرمي جمرة العقبة ، ثم ينحر ابلا أو يذبح شاة أو بقرة ، ثم يحلق رأسه أو يأخذ بعض ظفره أو شعره ثم يذهب الى مكة ويطوف للزيارة سبعة أشواط حول الكعبة ، ثم يصلي ركعتين عند مقام ابراهيم « ع » ثم يسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط ، ثم يطوف سبعة أشواط حول الكعبة للنساء ثم يصلي ركعتين عند مقام ابراهيم « ع » ثم يرجع الى منى ليبيت بها الحادي عشر والثاني

عشر والثالث عشر - أحياناً - ، وفي كل يوم من هذه الايام يرمي الجمرة الاولى والوسطى والعقبة بسبع حصيات .

وعند ذلك يتم اعمال الحج والعمرة ويرجع الحاج الى أهله مزوداً بروح طيبة ، وجسد صحيح وفكر وسيع عن مسلمي الارض ، فان المسلمين وان كانت كتلا كبيرة منهم مجتمعة في بعض نقاط الارض ، كباكستان ، واندونيسيا ، وايران ، ومصر ، والعراق ، والحجاز . إلا ان كثرة منهم متناثرة في جبال الارض ووهادها أو متفرقة في بلاد الاجانب بين جموع زاخرة من الكفار والملاحدة .. فهم ينظرون الى انفسهم بنظر القلة والازدراء ، ويرون انهم الأقلية المسحوقة ! بالإضافة الى ان المجتمعين من المسلمين في الممالك الاسلامية لا يرون إلا صقمهم ، ولا يعرفون في الأغلب إلا لسانهم ومقدار قوتهم وربما خلبت البايهم قوى المستعمرين المسيطرين عليهم - في بعض الاحيان - وبذلك تضعف نفوسهم وتتخاذل أرواحهم .

فاذا جمع هؤلاء المسلمين المتباعدة الأقطار المختلفة اللغات المتباينة الاشكال والعاتات من اندونوسي ، وباكستاني ، وهندستاني وايراني ، وقاهري وبغدادبي .. وعرب وعجم ، وترك وأفغاني وهندي وكردى وأبيض وأحمر ، وأسود وأصفر .. وهكذا .. وهكذا .. أقول : اذا جمع هؤلاء الحج تتقوى نفوس الضعفاء ، وتزداد أرواح الاقوياء قوة ونشاطاً ، وعلم كل واحد منهم ان له في الأرض القريبة أو البعيدة ردهاً وظهيراً ومعيناً ونصيراً وبذلك تتقوى عرى الأخوة الاسلامية وتنمو روح العز والكثرة في نفوسهم ، ويستظهر كل واحد منهم بالآخر ويعلم انه ليس بفرد امام الحوادث والكوارث فتشدد عزيمته ويربط جأشه ويتصلد قلبه .

فيرجع من الحج وله فكر وسيع وقلب قسوي ونشاط كثير . ولذا نرى المستعمرين يهتمون بكامل قواهم لطمس معالم هذه الفريضة العظيمة ويقفون جنباً الى جنب لصد هذه الفكرة المباركة .

وقد أخذوا لل منع عن الحج خطوات بعضها نجحت وبعضها ابت بالحيلة
فمن تلك الخطوات :

١ - ان غلادستون قال في مجلس العموم البريطاني « ان المستعمرين لا تقرر
أقدامهم في البلاد الاسلامية إلا اذا أخذوا القرآن من أيدي المسلمين ومنعوا
عن الحج ! » وقد اتبعوا قوله وأخذوا يمنعون عن الحج بكل وسيلة .

٢ - منعت روسيا الشيوعية الحج بصورة عامة وعاقبت كل مخالف، ولذا
لا يذكر المسلمون منذ مدة سيطرة هؤلاء على روسيا ان أحدا حج ، مع
الكثرة الهائلة من المسلمين الذين كانوا يسكنون تلك البلاد وبالاخص تركستان،
اللهم إلا نفر يسير قالت الدعاية بانهم حجوا !! ولو صحت لم يكونوا إلا
بضعة عشر شخصا .

٣ - منع مصطفى كمال ورضا شاه بهلوي ويس الهاشمي .. في تركيا وايران
والعراق الحج، وقد طال المنع سنوات عديدة في بعض هذه الاماكن كما يعلمه
الكل ، واخوة هؤلاء الثلاثة غيرهم .. وغيرهم ..

٤ - قطع المستعمرون الخط الحديدي الذي كان يمر بالبلاد الاسلامية حتى
يدخل الحجاز ، وذلك لعدم تمكن المسلمين من الحج ، ولو بهذا القدر !

٥ - حرص المستعمرون بعض أفراد الحكومة في الحجاز لهدم قبور أئمة
المسلمين الامام الحسن بن علي والامام زين العابدين والامام محمد الباقر والامام
جعفر الصادق عليهم الصلاة والسلام وقبور غيرهم .. لأن يلقوا الفتن في ما بين
أفراد الأمة الاسلامية وبذلك ينقطع بعضهم عن الحج كما حدث فعلا ! ويشهد
لذلك ان المبدأ الأمر بهذا الهدم كان منذ زمان ولم يكن يفعل هذا المفعول
إلا بعد ان دخل المستعمرون . كما ان المبدأ القائل بذلك كان يفرق بين قبر
الرسول « ص » وقبور الأئمة ، فعلام كان هذا الفرق ؟

٦ - أشار المستعمر الى بعض السلطات بتصعب السفر الى الحج ومن
جراء ذلك نشأت القوانين المعرقة لمريدي الحج وفرضت الاتاوات واستنتت

الدساتير والأنظمة لهذا الفرض حتى ان كثيراً من المستطيعين لا يتمكنون من الحج لهذه الأمور كما هو المشاهد في بعض البلاد الاسلامية .

٧ - أوعز المستعمر الى كثير من الجرائد بالهجوم على الحج وعلى من يسافر اليه بالسنة بذيئة وأقلام مستهزئة بعناوين مختلفة كي يتمكن بذلك من صد هذا التيار الذي يشمل المسلمين كل عام مرة ؟

٨ - أما المستشرقون المهندون للتنقيص من الحج وانه وثنية وخرافة فحدث عنهم ولا حرج الى غير ذلك .. وقد نجحت هذه التدابير كثيراً .. حتى أصبح الحج لا يتمكن منه إلا القليل ولا يذهب اليه إلا الأقل والسلطات لا تزال تضيق الدائرة وتزيد في المهانة والازدراء لمريدي الحج تارة باسم الرجعية ، وأخرى باسم الجهود وثالثة باسم انهم يريدون صرف أموال المملكة في البلاد الأجنبية !! يا لله الحجاز بلد أجنبي وهو مهبط الوحي ومحل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقبلة المسلمين ؟؟ ورابعة يجعل الإتاوات وخاصة باسم لزوم اختلال توازن الاقتصاد وهكذا .. وهكذا

والله غالب على أمره .

قد حث الاسلام اكد الحث على الحج واجباً ومندوباً وذلك لما فيه من الفوائد البدنية والروحية ، والفردية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية . كما تقدم شطر من ذلك ، قال الله تعالى « والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً ، ومن كفر فان الله غني عن العالمين » فقد جعل تارك الحج مرتبة من مراتب الكفر وهو كذلك ، أليس تارك الحج مخالفاً لله تعالى أمره ؟ والكفر هو ستر النعم أو الحقوق أعلاه انكار الله ، وأدناه عدم الشكر ، كما قال تعالى « لئن شكرتم لازيدنكم ، ولئن كفرتم ان عذابي لشديد » .

والحج في نظر الاسلام كالجهاد ، أليس الجهاد سبب لدفع العدو واعتزاز الدين ؟ والحج أيضاً سبب لهذين ، قال زرارة قال الصادق « ع » « الحج جهاد كل ضعيف » وكما ان الجهاد يربط به بقاء الدين ، كذلك الحج ، فلو ترك الحج قوضت دعائم الاسلام ، قال أبو بصير : قال أبو عبدالله عليه السلام « لا يزال الدين قائماً ما قامت الكعبة » فإذا قوضت الكعبة وترك الحج انهدم الدين ، وليس ترك الحج مما يضر الله ، فإنه لا يضره شيء انه الغني ! وإنما يضر التاركين ، قال الامام الصادق عليه السلام : كان علي صلوات الله عليه يقول لولده : « يا بني أنظروا بيت ربكم ، فلا يخلو منكم فلا تنظروا » وقال سدير : ذكرت لأبي جعفر عليه السلام : البيت فقال « لو عطوه سنة واحدة لم ينظروا » .

والحج لا يمنع عنه مانع ، لا تجارة ولا أهل .. ولا غيرها قال الصادق عليه السلام في قوله تعالى « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً » هذه لمن كان عنده مال وصحة ، وان كان سوفه للتجارة فلا يسمعه وان مات على ذلك ، فقد ترك شريعة من شرائع الاسلام اذا هو يجد ما يحج به ، انه يحشر في الآخرة أعمى ، لانه ترك الحج بدون عذر قال أبو بصير سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله تعالى عز وجل « ومن كان في هذه أعمى ، فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً » قال « ذلك الذي يسوف نفسه الحج يعني حجة الاسلام ، حتى يأتيه الموت » .

ولا يقف الأمر الى هذا الحد بل انه أعظم وأعظم ! روى ذريح المحاربي عن أبي عبدالله عليه السلام قال « من مات ولم يحج حجة الاسلام ولم يمنعه من ذلك حاجة تجحف به أو مرض لا يطيق فيه الحج أو سلطان يمنعه ، فليمت يهودياً أو نصرانياً » انه لم تكن له حاجة ولم يك مريضاً ، ولم يمنعه سلطان ، فما كان عذره اذا ؟ ان عذره الوحيد المال ، فهل ادخر المال ليعتمز به كما يفعل اليهود ، فليمت يهودياً ! ام ادخره للتجمل كما يفعل النصارى فليمت نصرانياً .

وبالجملة : ففي الحج كل منفعة وخير وفي تركه كل ضرر وشر .

قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له « فرض عليكم حج بيته الذي جعله قبلة للأنام يردونه ورود الانعام ويألهون اليه ولوه الحمام جعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته واذعانهم لعزته واختار من خلقه مماعاً اجابوا اليه دعوته وصدقوا كلمته ووقفوا مواقف أنبيائه وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه يعرزون الأرباح في متجر عبادته ، ويتبادرون عند موعد مغفرته جعله سبحانه للإسلام علماً وللعائدين حرماً فرض حجه وأوجب حقه وكتب عليكم وفادته ، فقال سبحانه « والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً ومن كفر فان الله غني عن العالمين » .

والله تعالى جعل الحج على المستطيع واجباً - مرة واحدة - ثم جعله بعد ذلك له ولغيره مندوباً اليه .

قال محمد بن سنان ان أبا الحسن علي بن موسى الرضا « ع ، كتب فيما كتب « علة فرض الحج مرة واحدة ، لأن الله تعالى وضع الفرائض ، على أدنى القوم قوة ، فمن تلك الفرائض الحج المفروض ، واحداً ثم رغب أهل القوة على قدر طاقتهم » .

نلقي في هذا الفصل أضواء على بعض جوانب الحج على قدر سعة نطاق هذه الكراسة ، فنقول للحج أعمال رقت على نحو الحكمة والصلاح ، وانتقيت كل واحدة منها انتقاء ، ولندكر منها :
الاحرام ، وله أعمال أربعة :

١ - النية ومعناها أن يقصد الشخص ان هذا العمل لله تعالى ، فان توجه الانسان الى المبدأ القوي القدير العليم الحكيم ، يسبب له الارتياح في الضمير والفضيلة في النفس والتوازن في قوى الخير ، وهذا هو السبب الذي يمنع المؤمن

من الفساد والافساد واقتراف الجرائم والآثام ، اذا فليكن أول العمل النية حتى تكون زماماً للنفس عن الجموح وحفظاً لها عن المهالك والمعاطب .

٢ - لبس ثوبين نظيفين أبيضين غير مخيطين يرتدي أحدهما ، ويأثور بالآخر ، وبذلك يبتعد عن عادات الملابس ، ولا يسكنها الحيوان ويكون منظرهما انيقاً ، وبذلك يجتمع الجميع تحت قانون عام ، فلا فقير ، ولا غني ، ولا سيد ولا مسود .. وهكذا ، وذلك بعد ان يغتسل للاحرام وينظف جسمه ويزيل وسخه .

قال الامام الصادق « ع » « اذا انتهيت الى بعض المواقيت التي وقت رسول الله « ص » فانثف لإبطيك واحلق عانتك ، وقلم اظفارك ، وقص شاربك ولا يضرك بأي ذلك بدأت ، وفي حديث آخر عنه « ع » « .. ثم استك ، واغتسل ، والبس ثوبك » ..

« وقد احرم رسول الله « ص » في ثوبي كرسف ، أي القطن .

قال الحلبي « سألت أبا عبدالله « ع » عن المحرم يحسول ثيابه ؟ قال نعم وسألته يغسلها اذا اصابها شيء ؟ قال نعم » .

وما ذكر انما هو حكم الاحرام - في الجملة - أما كونها واجبة أو مستحبة ، ومطلقة أو مقيدة فلها مقام آخر .

٣ - التلبية ، بان يلبي دعوة الله تعالى ، حيث دعاه الى الحج ، وبذلك يشعر الشخص انه امام الله العظيم فتذوب في نفسه الشهوات ، وتنحسر عن ذاته الانانيات ، وتنصهر روحه فتظهر عن رواسب الرذائل ، قال عاصم بن حميد سمعت ابا عبدالله « ع » يقول « ان رسول الله « ص » لما انتهى الى البيداء حيث المسيل ، قربت له ناقة فركبها ، فلما انبعثت به لبي بالاربع فقال لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة والملك لك لا شريك لك (لبيك) خ » .

وهذه التلبيات شعار المحرم ، بها يعرف انه محرم مقدم على الله تعالى واعظم
بها من شعار ! قال أمير المؤمنين « ع » « جاء جبرئيل الى النبي « ص » ،
وقال له « ان التلبية شعار المحرم ، فارفع صوتك بالتلبية » وقد نرى الوفود
تجعل لها شعاراً تؤذن بمقاصدها ، وتعلم ما تنوي من مطالب ، والاسلام سبقهم
في هذا الأمر المرغوب ، ولذا يستحب رفع الصوت بالتلبية ، ويستحب ان
تكرر بكل مناسبة « فقد كان النبي « ص » يلي كلما لقي ركباً ، أو علا
أكمة ، أو هبط وادياً ، ومن آخر الليل ، وفي ادبار الصلوات » قال جابر بن
عبدالله - وهو أحد من كان بصحبة النبي « ص » حين حج : ما بلغنا الروحاء
حق بحت أصواتنا .

٤ - الاجتناب عن محرمات الاحرام وهي : الصيد ، الجماع ، مطلق ،
مباشرتها بشهوة ، الاستمناء ، العقيد ، استعمال الطيب ، لبس الخيط ،
الاكتحال بسواد ، النظر في المرأة ، لبس الخف والجورب ، الكذب ،
السباب ، المفاخرة ، الجدال ، قتل هوام الجسد : التختم للزينة لبس المرأة
الحلي للزينة ، الادهان ، ازالة الشعر ، ستر الرجل رأسه والمرأة وجهها ،
التظليل للرجل ، اخراج الدم ، تقليم الظفر ، قلع الضرس ، قلع شجر الحرم
وحشيشه ، لبس السلاح .

ويجمع هذه الأمور كونها كبح النفس عن الشهوات الدنيسا من ما كل
وملبس وقول وشهوة جنسية ، مع تعريض النفس للحر والبرد ، والتحفظ على
حرمة الحرم ، والتجنب عن ابداء الصيد والهوام مع ملاحظة الحرمة ، بنزع
السلاح ، وما الى ذلك ، وهذه الأمور كما تراها امور عقلانية تطهيرية لا محيص
للمنصف عن الاعتراف بكونها موضوعة على نحو الحكمة ، حق انه لا زيادة فيها
ولا نقصان .

والطواف : فبعد ان يحرم الحاج من الميقات يذهب الى مكة المكرمة ،
ليطوف بالبيت (الكعبة) سبعة اشواط مبتدئاً من موضع يسمى بالحجر

«الأسود» ، وهذا زيارة لله بدخول بيته وتقديده من الشخص بنفسه ، ايماء الى انه خفداه لله ولاحكامه ، كما نرى في العادة ان الناس يطوفون حول محبوبهم ، اشارة الى كون الطائف يفدي المحبوب بكل ما لديه ، وبروحه التي هي أعز الأشياء عليه ، وقد كانت من وسائل الغرب المهاجرة على هذه الشريعة الطاهرة بانها وثنية ! فهل التقديدية وثنية ؟ وما معنى الوثنية ؟ أهل تكون طاعة الله في شيء تعتبر عبادة للوثن ؟

خطب أمير المؤمنين «ع» ، خطبة فقال في جملتها «الا ترون ان الله اختبر الأولين ، من لدن آدم ، الى الآخرين من هذا العالم باحجار ما تضر ولا تنفع ، ولا تبصر ولا تسمع ، فجعلها بيته الحرام ، الذي جعله للناس قياماً ، ثم أمر آدم وولده ان يثنوا اعطافهم نحوه فصار مثابة لمنتجع اسفارهم ، وغاية الملقى رحالهم ، حتى يهزوا مناكبهم ذللاً لله حوله ويرملوا على أقدامهم شعناً غيراً له قد نبذوا القنع والسراويل وراء ظهورهم وحسروا بالشعور حلقاً عن رؤوسهم .»

وقال الامام الصادق عليه السلام « وهذا بيت استعبد الله به خلقه ليختبر طاعتهم في اتيانه فحشهم على تعظيمهم وزيارته وجعله محل أنبيائه وقبلة المصلين اليه فهو شعبة من رضوانه وطريق يؤدي الى غفرانه منصوب على استواء الكمال وجمع العظمة والجلال .»

فالطواف لوذ بالخسائق وتقديده بالنفس وذل وخشوع لله تعالى وكفى بها حكمة رائعة .

وصلاه الطواف عبادة ودعاء لها ما لسائر الصلوات من آثار ومزايا ويزيد ههنا انها خلف مقام ابراهيم «ع» ومن ابراهيم ؟ هو الذي كان امة قانتاً فالناس كلهم امة وهو امة ! انه كان على التوحيد وقومه على الضلالة ومع ذلك فقد دعا الى الله منفرداً ، وجاهد وهجر دياره مرة بعد أخرى وقاوم الشرك ،

وكسر الاصنام ، وأوقدت له النيران لتحرقة ، ولكن كانت كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، وهكذا ينصر الله أنبياءه ، انه بعد ما كان وحيداً في العالم صار له من المكانة السامية ، والمرتبة العلية - عند الناس ، مع الغض عن مراتبه عند الله - ما أبقى ذكره في هالة من الشرف والعز ، وهكذا يصدق قول الله تعالى « انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا » فلا يخاف من على الحق من قلة أهل الحق ، وليقتد بأبي الانبياء ابراهيم عليه السلام .

ثم من هو ابراهيم عليه السلام ؟ هو الذي بنى هذا البيت الذي دعائه أعز وأطول من كل بيت ! وهكذا يبقى الله تعالى العمل الخالص لأجله حياً ، ويهلك ما سواه ، فكم بنى الجبارون ! ولكنها ذهبت طي التاريخ أما البناء لله ، فيبقى .. ويبقى ، « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ، ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ! ربنا واجعلنا مسلمين لك ، ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم » .

والسعي بين الصفا والمروة : خضوع لله تعالى ، وإيماء الى ان العبد ساع في أوامر مولاه ، وهكذا يتسلسل : تلبية لله واجتناب عن الملاذ ، طواف حول بيته وتفدية له بنفسه ، وخضوع بالكوع والسجود لعظمته : وسعي حسب أوامره تعالى ، حاسراً خاشعاً ، فهو كما يمشي الجند امام القائد يوم الاستعراض ، ليعلم الناس انهم منظمون تحت أوامر القائد ، وبذلك تزداد شوكة الجند وترهب قوته ويعرف كبر القائد وتلمس عظمته ، وفي السعي بالاضافة الى ذلك مذلة لكل متكبر ، قال الصادق عليه السلام « جعل السعي بين الصفا والمروة مذلة للجبارين » .

والتقصير : هو ان يقصر الانسان شيئاً من ظفره أو شعره دليلاً على تمام أعمال العمرة ، وحينئذ يحل له كل ما حرم بالاحرام ، وهذا مثل ما في

العادة ، من ان يأخذ الحداد ، لا يقصر من شعره دليلاً على انه في حالة طارئة، توجب ان يكون على خلاف العادة، وعند تمام المدة يقصر من شعره، وعند هذه المقايسة البسيطة يتجلى بعض حكم التقصير . روى معاوية بن عمار عن الامام الصادق عليه السلام قال « ثم قصر من رأسك من جوانبه ، ولحيتك، وخذ من شاربك وقلم اظفارك وابق منها لحجك، فاذا فعلت ذلك فقد أحللت من كل شيء يحل منه المحرم واحرمت منه . »
وهذه هي أعمال العمرة .

وبعد ذلك يحرم الحاج لحج التمتع من مكة المكرمة .

وأعمال الاحرام كما تقدم ، وكأنه جعل هذا الفصل ليتمتع الحاج بما حرم منه أثناء الاحرام، فان النفوس تواقه الى الملاذ فمنعها عن ذلك مدة مديدة، تورث الصعوبة البالغة وكثيراً ما قذتلك النفوس الضعيفة الحرمان، بتعاطيها سرأ، ولذا نرى ان الصيام لم يشرع متصلاً بل يفصل بين الايام بتدخل الإفطار وقد أشار الى هذا قوله تعالى « علم الله انكم كنتم تختانون أنفسكم ، فتاب عليكم وعفى عنكم ، فالآن باشروهن »

وبعد الاحرام يقف الحاج بموضع يقال له (عرفات) من ظهر يوم التاسع الى غروبه، وبعده يذهب الى موضع آخر، يقال له (المشعر) ويبقى هناك الى أول الشمس من اليوم العاشر من ذي الحجة ، وهذان الوقوفان من أروع مظاهر الحج ، فان الحجاج جميعاً ، على اختلاف ألوانهم وألسنتهم ، ومراتبهم ، وأعمارهم ، ومناطقهم .. يقفون في تلك الصحاري المقفرة تحت أشعة الشمس الملتهبة - كما في عرفات - متشابهة اللباس، قد تحرروا من الملاذ والألبسة إلا ازار ورداء أبيضين ، يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم يتذكرون بذلك موقفهم يوم العرض الأكبر ، حيث لا علائق ولا وثائق ، ولا قوة ولا منعة وهكذا تنمو فيهم روح الأخوة الاسلامية ، ويقوى فيهم الشعور بالمسؤولية أمام الله فهم هنا امام الله للتوبة والضراعة ويأتي يوم يكونون أمام الله

للحساب والجزاء وفي ذلك من تطهير الأرواح وتنزيه النفوس وتبهييج غرائز الخير وكبت نوازع الهوى ما لا يدانيه دروس وعبر وعظات .

وبعد ذلك يأتي الحاج الى منى ليعمل فيها أعمالاً ثلاثة رمي الجمرة والحلق أو التقصير والذبح أو النحر : فالرمي انما هو شيء يعمله الشخص ليتذكر مثال الشر وهو الشيطان الممثل في الجمرة فيرميه ليتبرأ منه ومن كل شر يتبعه . رأيت تماثيل السلاطين ومن اليهم ؟ اذا غلب الشعوب على أولئك المفسدين ، رموا تماثيلهم ، وقلموها عن أماكنها بكل تحقير وازدراء ، ان المثال حجر لا يسمع ولا يبصر ، ولكن هذا العمل كناية عن البراءة ممن يمثل هذا الحجر ، وهكذا جعل الله تعالى للخير علماً ، هو الكعبة تستلم ، وتقبل ، وتشاد اليها بالمعظمة ويصلي قبلها ، وجعل للشر علماً هو الجمرة تهان وترمى وتزدري وتحتقر والانسان الذي يعظم تلك ويهين هذه لا يأتي بعملين أجوفين ، بل يتذكر الخير فينمو في نفسه حبه ، ويتذكر الشر فينمو في روحه كرهه . . وبذلك يكون رمي الجمرة عملاً عقلائياً ، يستمر الأجيال على مثله في كل مناسبة ، والله سبحانه جعل هذا في كل سنة ، لئلا ينسى الناس الشر ومثاله ، بل يكونوا دائماً على ذكر حتى يكونوا أقرب الى الرشاد وأبعد عن الشرور .

والذبح : قربان « لن ينسال الله لحومها ولا دماءها ولكن يناله التقوى منكم » بذلك يتقرب العبد الى الله وقد جرت العادة عند كافة العقلاء بتقديم القرابين لكبرائهم مع ما في ذلك من اطعام الجائع واشباع الفقير . . وهكذا يكون الحج قد أدى دوراً مهماً لتقوية الروابط وتعزيز الأخوة الاسلامية وتنمية الروح الطيبة في الحاج لا يمكن ان تحصل هذه الامور في غيره . . وأعظم به من شريعة غراء وفريضة متناسقة الاعمال متكاتفه الاركان متشابهة المناسك وكلها للخير . . وللخير فقط !!

هذا بالاضافة الى ما في الحج من ذكريات الاسلام حيث كان لا ناصر له الا النبي «ص» ثم تبعه أمير المؤمنين «ع» وخديجة عليها السلام ثم اعتز وقوي

سحق بلغ شرق الأرض وغربها .. وبقي الى اليوم .. وسيبقى بعد اليوم فقد
انتصرت عوامل الخير على عوامل الشر فهذا البيت موضع المشركين كيف
أبيدوا؟! وهذه كعبة محل الاصنام كيف بقيت لله وحده وزهقت الاوثان؟!
وهاتان الصفا والمروة موضعي (اساف وثائلة) صنمي الجاهلية كيف حل
محلها اسم الله تعالى « ان الصفا والمروة من شعائر الله » وذهبت الاصنام في
غياب التاريخ .. وهذه الأودية البطاح كيف تتردد فيها أسماء الله بعد ان
كانت تتردد فيها أسماء : لات وعزى ومنات وهبل ؟ وكيف يذكر فيها
أسماء عظماء الاسلام: محمد وعلي وحزمة وجعفر .. عليهم الصلاة والسلام بعد ان
كان تقدر فيها أسماء المشركين أبو جهل ولهب وعمرو وعتبة .. وهذه حرا ..
وجبل الرحمة . وبدر . واحد . كلها تذكر بالله وبانتصار المسلمين وهزيمة
المشركين وهكذا يكون « الدين لله » ويتذكر المسلم شرفه التليد وعز الاسلام
السابق وفي ذلك ما فيه : من شحذ هم المسلمين وايقاد روح العزيمة في نفوسهم ..
فهي مدارس آيات وذكريات . ومهابط خير ومراكز انسانية .. لا تجد في
العالم مثلها ولا في الأديان ما يشابهها « فيه آيات بينات مقام ابراهيم » فليحج
الناس كل عام من كل ناحية (ليشهدوا منافع لهم) منافع روحية وبدنية
دينية واجتماعية سياسية واقتصادية اعمالية وأخلاقية .

الجهاد

ليس الاسلام إلا سلسلة من الجهاد المتواصل ضد الشر والظلم والطغيان والرذيلة ، والاستهتار والاستعباد ، سواء تمثل الشر في الفرد أو الجماعة أو الحاكم أو المحكوم ، أو الغني أو الفقير .. ولهذا يقسم علماء الإسلام الجهاد إلى قسمين :

١ - جهاد مع النفس ، بتخليتها عن الرذائل : كالكذب والرياء ، والنفاق والفرور ، والكبر والجبن ، والبخل والقسوة ، وهكذا .

٢ - جهاد مع العدو ، وليس العدو في نظر الاسلام من لا يجمعك وإياه مبدأ أو قطر ، او ما أشبهه ، بل هو الذي يتعدى حدود الانسانية ، ويطغى ويفسد ويبعث في البلاد ، حياً للسيطرة والاستعلاء .

وحيث كان الجهاد في الاسلام في هذا النطاق ، نطاق بسط العدل ، وانقاذ الناس من الظلمات الى النور ، كانت الغزوات والحروب الاسلامية أنظف الحروب التي عرفها التاريخ ، منذ ان خلق الإنسان إلى يوم الناس هذا ، فقد كانت كلها تتسم بالرحمة والحنان ، والجنوح إلى أقل ما يمكن من اهراق الدماء والميل إلى العدل والعطف ، ولذا يذكر التاريخ ان حروب النبي «ص» وغزواته التي بلغت نيف وثمانين لم يكن القتلى فيها من الطرفين : المسلمين وغيرهم اكثر من الف واربعائة قتيل . وكان يحنح دائماً الى المسالمة.

والرحمة ، كما امره الله تعالى : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها ، وتوكل على الله » .

والجهاد النظيف الذي لا دافع له إلا اعلاء كلمة الله دحضا للخرافات والأوهام ، وإلا فك الأغلال عن البشر ، دفعا للظلم والاستعباد في نطاق من العدالة والعطف ، وعدم امراق الدماء إلا بالقدر الضروري دفعا للمفاسد ، من واجبات الاسلام الذي لا يعذر المكلف بتركه ، ولا يبدأ القتال في نظر الاسلام إلا بعد الدعوة الملحة وإبانة الطريق ، حتى لا يبقى لمعتذر عذر ، قال ابو حفص السكبي قال ابو عبداه « ع » « ان الله عز وجل بعث رسوله بالاسلام إلى الناس عشر سنين فأبوا أن يقبلوا حتى أمره بالقتال ، فالخير في السيف وتحت السيف والامر يعود كما بدء » .

فالاسلام لا يعتدي على أحد ، أما من اعتدى وتجبر ، وفسد وأفسد فمعالجه السيف ولا ارث الخزي والعار ، قال عبد الرحمان السلمي ، قال امير المؤمنين « ع » : « أما بعد فان الجهاد باب من ابواب الجنة ، فتحه الله لخاصة أوليائه ، هو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة ، فمن تركه لبسه الله ثوب الذل ، وشمله البلاء ، وديث بالصغار والقهارة ، وضرب على قلبه بالاسداد ، وادبل الحق منه بتضييع الجهاد ، وسيم الخسف ومنع النصف » .

واقدر كان ألد أعداء رسول الله «ص» أهل مكة الذين آذوه وأهانوه وكذبوه وشموه وضربوه ورضخوه بالحجارة ، وقتلوا بعض أصحابه ، ثم قاطعوه واهله وأخيراً الجأوه إلى الهجرة ، فراراً بنفسه وأصحابه عن القتل . ومع ذلك لما فتح مكة لم يهرق دمياً ، وعفى عنهم وقال اذهبوا فانتم الطلقاء .

والإسلام لا يجارب لأنه يحب السيطرة والاستعلاء ، وإنما تكون حروبه لخلص الناس من اسار الكبراء والسلاطين ، وجور القادة والمستغلين ، ووضع الاغلال من الأعناق وتحرير البشرية من القيود والاسار ولذا نرى تاريخ الإسلام الطويل العريض يرينا الشيء الكثير من بساطة الجهاز الحكومي :

فقد كان رسول الله «ص» هو القائد الأعلى للمسلمين ينظم دينهم ودولتهم فهو ملك ورئيس أركان الجيش ويبيده المالية والاقتصاد والمعارف.. وغيرها، ومن بعده قام خلفاؤه مقامه في هذه الخصوصية بالرغم من الانحرافات الموجودة في كثير منهم فمثلاً : لما فتح العراق كان من أعزم اليه من المدينة : عاصمة الدولة الاسلامية آنذاك ، نفرين فقط أحدهما للحكومة والآخر لتعليم القرآن وهكذا كان شأن الخلفاء المحقين والمبطلين ، فلقد كان الوالي من قبل الخليفة رجلاً واحداً او عدداً معدوداً لا غير ، وهذا هو طابع الاسلام العام ، فانه كلما كان الجهاز الحكومي أكثر افراداً كانت الحريات بقدر ذلك مسلوبة إذ كل فرد من أفراد الجهاز يسلب بقدره راحة الافراد ، فمثلاً إذا تشعبت دائرة المعارف كان لكل فرد موظف عمل يجب أن يقوم به وهذا العمل لا بد وان يربط عجلة افراد بنفسه . وهكذا قل في المالية والاقتصاد والزراعة والدفاع .

وعندما نقيس الآن الحكومات الحاضرة بالحكومات الاسلامية - حتى الذين كانوا منهم أبعد الناس عن فهم الاسلام وتطبيقه - نرى البون الشاسع بينها وبينهم فإن كل فرد من أفراد تلك الامبراطورية المترامية الأطراف كان حراً في كل شيء : يسافر بكل حرية ويقوم بكل حريسة لا يطلب منه - لا سفرأ ولا حضراً - الجنسية والإقامة والتذكرة والتقرير ولا يصرف من أوقاته شهران وأكثر لتحصيل هذه العبوريات ولا يصرف مبالغ طائلة للرشوة والرسوم وأجور المحاكم ، وما اليها فهو حر في شخوصه وإقامته وجيبته وذهابه مع بقاء ماله ووقته يصرفهما في مصالحه لا لجيوب المرتشين

والسادة الأعلين ولا يخضع أمام موظف حقير أو حاكم يهدده بكل وقاحة لأنه أراد أن يسافر حراً ويبقى حراً .

ويتاجر بكل حرية لا جمارك تمنعه عن الإيراد والاصدار ولا مكوس ولا رسوم ولا أجناس ممنوعة ورودها وصدورها إلا أشياء ضارة فقط من خمر وختير وما إليها من المحرمات القليلة التي حظر عنها الإسلام لمصالح العامة والخاصة ، ولم يكن عمله منوطاً بوزارة أو إمارة أو هوية أو جنسية .

ويتكلم ويخطب بكل حرية ، فلا جواسيس ولا سرية ولا عيون ولا رقابة ، ولا ، ولا .

ويطلب العلم بكل حرية ، فلا شهادة لحسن السلوك ، ولا .

وكذلك يكتب المقالات والكتب ، ويبيع ويهب ، ويقف ويرهن ، وينكح ويطلق ، ويعقد الحفلات والاجتماعات و ، وبكل حرية ، من غير ان تكلفه مالاً أو وقتاً ، او خنوعاً أو ذلة .

أما اليوم : قرن الظلمة والاستعباد ، والاستجهار والجهل والحروب والدموع والدماء و ، والتي انبثقت من الغرب الأثيم وعن ثوارته الموبوءة ، والتي كانت باسم العدل يظلم وباسم الحرية يستعبد وباسم المساواة يفرق ، فترى العالم كله في اضطراب وأسار ، وقيود واغلال ، ولف ودوران ، ولا نجاة للبشرية إلا بإعادة قياد الاسلام .

وهكذا كان الجهاد في الإسلام ، لأجل اعلاء كلمة الله وانقاذ الناس من الخرافة في الاعتقاد ، وتحرير البشر من عبودية الظالمين وهدايتهم الى الطريق المستقيم ، وارشادهم إلى الحياة الفضلى والعيش الرغيد .

وحيث ان الإسلام لا يريد بالجهاد إلا بسط العدل ، وإقامة الحق ،
فالمجاهدون المسلمون يلزم ان يتبعوا سنن الحق حق في نفس الجهاد ، فليس
لهم الفساد والإفساد ، كما هو شأن الحروب كافة ، بل يجب أن لا يجيدوا عن
الحق قيد شعرة ، قال الإمام الصادق «ع» ، « كان رسول الله «ص» إذا أراد
أن يبعث سرية ، دعاهم فأجلسهم بين يديه ، ثم يقول : سيروا باسم الله ،
وبالله ، وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله ، لا تغلوا ، ولا تمثلوا ، ولا
تفدروا ، ولا تقتلوا شيخاً فانياً ، ولا صبياً ، ولا امرأة ، ولا تقطعوا
شجراً إلا ان تضطروا إليها وأيما رجل من أدنى المسلمين أو أفضلهم نظر إلى
أحد من المشركين فهو جار حق يسمع كلام الله ، فان تبعكم فأخوكم في الدين
وإن أبى فابلغوا مأمنه واستعينوا بالله » .

أمكذا سمعت او رأيت في قوائين قرن العشرين قرن النور المضحك
المبكي ؟ أو هل سمعت او رأيت مثل هذه التوصية عن أحد من الحكومات
العالمية قبل الاسلام وبعده ؟ كلا ! ولن تسمعه ولا تراه ابداً ، انه الاسلام
فقط الذي لا يميل عن الحق والعدل ، والمعطف والرحمة .

وهذا كان امر النبي «ص» لسرية عامة ، اما اميرهم فاسمع إلى وصيته
صلى الله عليه وآله وسلم له :

قال الإمام الصادق «ع» : « ان النبي «ص» كان اذا بعث اميراً له على
سرية امره بتقوى الله عز وجل في خاصة نفسه ثم في اصحابه عامة ثم يقول :
اغزوا باسم الله ، وفي سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ولا تغدروا ولا تغلوا ،
ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليداً ، ولا متبتلاً في شاةق ، ولا تحرقوا النخل ،
ولا تفرقوه بالماء ، ولا تقطعوا شجرة مشمرة ، ولا تحرقوا زرعاً ، لانكم
لا تدرون لعلكم تحتاجون إليه ، ولا تعقروا من البهائم ما يؤكل لحمه ، إلا
ما لا بد لكم من أكله ، وإذا لقيتم عدواً للمسلمين فأدعوهم إلى احدى ثلاث
فان هم أجابوك اليها فاقبلوا منهم وكفوا عنهم ، ادعوهم إلى الاسلام فان

دخلوا فيه فأقبلوا منهم وكفوا عنهم ، وادعوا إلى الهجرة بعد الاسلام فان فعلوا فأقبلوا منهم وكفوا عنهم .. فإن ابوا هاتين فادعوا إلى اعطاء الجزية .. وان ابوا فاستعن بالله عز وجل عليهم وجاهدكم في الله حتى جهاده ... » .

فالكافر يخير بين أحد امور ثلاثة :

١ - الاسلام الذي فيه سلامة الدنيا والآخرة وهو الصيغة الأخيرة لشرائع السماء وبذلك يحوز الإنسان كل فضل ويستريح إلى كل خير ثم الهجرة - وقت ذلك - .

٢ - الجزية وهي مقدار من المال يؤخذ ويقابلها تأمين الاسلام له الحراسة والحفظ وتوفير ضروريات الحياة له وبذلك يبقى الكتابي على دينه ويقم شعائره في حدود المصلحة الاسلامية العامة حسب ما قرر لها من شروط وأحكام .

٣ - القتال بأنظف ما يمكن كما رأيت في وصايا النبي «ص» . أما سائر الحروب غير الاسلامية فانها - اولاً - لحب السيطرة ، وبعد ذلك يخير الطرف الآخر بين القتال بأفظع صورة أو النزول على رغبات العدو . ولا بأس أن نذكر ههنا خبرين آخرين في كيفية القتال الاسلامي قال الإمام الصادق «ع» : « قال أمير المؤمنين عليه السلام : نهى رسول الله «ص» أن يلقى السم في بلاد المشركين » .

قال حفص بن غياث : سألت أبا عبدالله «ع» عن النساء كيف سقطت الجزية عنهن ورفعت عنهن ؟ قال : فقال : (لأن رسول الله «ص» نهى عن قتل النساء والولدان في دار الحرب إلا أن يقاتلن فان قاتلن ايضاً فأمسك عنها ما أمكنتك ولم تخف خلاصاً . فلما نهى عن قتلهن في دار الحرب ، كان في دار الاسلام اولى .. وكذلك المقعد من أهل الذمة والأعمى والشيخ القاني والمرأة والولدان في أرض الحرب من أجل ذلك رفعت عنهم الجزية) .

والاسلام لم يكن بالمبدأ الذي يكتب في القرطاس ولا يعمل به كما هو شأن القوانين الوضعية اليوم وقبل اليوم بل طبق مبادئ الاسلام - في الجهاد وغير الجهاد - نبي الاسلام محمد «ص» وكثير من الحكام الذين انتهجوا مناهجه «ص» فكان جهادهم لله وفي سبيل الله ولا نقضوا عباد الله ولبسط العدل في البلاد .

قال ابو جعفر «ع» . « وكانت المسيرة فيهم من أمير المؤمنين «ع» ما كان من رسول الله «ص» في أهل مكة يوم فتح مكة فإنه لم يسب لهم ذرية وقال : من أغلق بابه فهو آمن ومن القى سلاحه فهو آمن وكذلك قال أمير المؤمنين يوم البصرة نادى : لا تسبوا لهم ذرية ولا تجهزوا على جريح ولا تتبعوا مدبراً ومن أغلق بابه والقى سلاحه فهو آمن » .

وقال شريك : « لما هزم الناس يوم الجمل قال أمير المؤمنين «ع» لا تتبعوا مولياً ولا تجهزوا على جريح ومن أغلق بابه فهو آمن » .

وقال علي بن الحسين عليهما السلام : « ان علياً كتب إلى مالك وهو على مقدمته في يوم البصرة بأن لا يطعن في غير مقبل ولا يقتل مدبراً ولا يجهز على جريح ومن أغلق بابه فهو آمن » .

وفي حديث مالك بن أعين يصف حرب صفين : ان أمير المؤمنين «ع» قال : « ولا تمثلوا بقتيل واذا وصلتكم إلى رحال القوم فلا تهتكوا سترأ ولا تدخلوا داراً ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلا ما وجدتم في عسكرهم ، ولا تهيجوا امرأة بأذى وإن شتمن اعراضكم وسبين امراءكم وصلحاءكم فانهن ناقصات القوى والانس والعقول وقد كنا نؤمر بالكف عنهن وهن مشركات . وان كان الرجل ليتناول المرأة فيعير بها وعقبه من بعده » .

قال أهل سمرقند لعاملهم سليمان بن أبي السري ان قتيبة غدر بنا وظلمنا وأخذ بلادنا وقد أظهر الله العدل والإنصاف فاذن لنا فليفد منا وفد إلى خليفة : عمر بن عبد العزيز يشكون ظلامتنا . فان كان لنا حق اعطيناه .

فان بنا إلى ذلك حاجة ؟! فاذن لهم فوجهوا منهم قوماً إلى عمر فلما علم عمر
ظلامتهم كتب إلى سليمان يقول: ان أهل سمرقند قد شكوا إليّ ظلماً أصابهم
وتحاملوا من قتيبة عليهم حتى أخرجهم من أرضهم فاذا أذاك كتابي هذا
فاجلس لهم القاضي فلينظر في امرهم فان قضى لهم فاخرجهم إلى معسكرهم
كما كانوا وكنتم قبل ان ظهر عليهم قتيبة ..

فاجلس لهم سليمان (جميع بن حاضر) القاضي فقضى ان يخرج عرب
سمرقند إلى معسكرهم وينابذوهم على سواء فيكون صلحاً جديداً او ظفراً
عنوة فقال أهل السند : بل نرضى بما كان ولا نجد حرباً لأن أهل الرأي
منهم قالوا : قد خالطنا هؤلاء القوم وأقمنا معهم وأمنونا وامنناهم فان عدنا
إلى الحرب لا ندرى لمن يكون الظفر وان لم يكن لنا نكون قد اجتنبنا
عداوة في المنازعة فتركوا الأمر على ما كان عليه ورضوا ولم ينازعوا .

وبرينا الإسلام الشيء الكثير من المعاملة الانسانية التي ابداهها قواد
المسلمين وجيوشهم في حال الحرب والقتال وكان الخروج عن ذلك نادراً ومن
أسباب الطمن على الخارج لا كالحروب الغربية التي هي المثال الواضح للوحشية
والبربرية والغدر والخيانة وقتل الأبرياء ، وارتكاب كل قسوة وشدة وغلظة
وفظاظة !! .

وللجهاد الاسلامي بحث طويل ولنظافته أدلة وشواهد لا تكاد تحصى
ولنكتف بهذا القدر في هذه الرسالة .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

المجتمع كالأفراد تبقى سليمة ما دامت تتغذى بالأخلاق الفاضلة وتتجافى عن الرذائل فإذا انقطعت صلتها مع الفضائل انهارت انبهار البناء فإنه ما تمهد بال عمران والترميم بقي صحيحاً قابلاً للسكنى وإذا تقوغل عنه آل الى الفناء والخراب .

والإسلام يريد المجتمع فاضلاً تجري عليه نسائم العدل والحرية والمساواة والإخاء والكرم والشجاعة وما إليها ، ولذلك رسم خارطة الفضائل وحث عليها وذكر الرذائل وأمر بالتجنب منها وحيث ان التيارات النفسية والشهوات المسيطرة على الروح لا تجري من هنا وهناك جعل الإسلام قانونين تحفظاً على الافراد والمجتمعات من البوار والفساد وحرصاً على السلامة من المعاطب والمهالك .

والقانونان هما :

١ - الأمر بالمعروف .

٢ - النهي عن المنكر .

والمعروف : كل أمر رأى الإسلام فيه مصلحة للفرد او المجتمع سواء ألزم بها كالصلاة والزكاة والصدق والوفاء والحدود والمواريث ، والقضاء والجهاد .. أم ندب إليها كالضيافة والهدية والتزاور والتآلف وما إليها .

والمنكر : كل شيء يرى الاسلام فيه مضرة للفرد او المجتمع سواء حرمها كالزنا والقمار وأكل مال الناس بالباطل وشرب الخمر والنظر المحرم والكذب والغيبة والنميمة والتجسس والظلم والرشوة وما إلى ذلك .

وهذان الواجبان بمنزلة القوانين التنفيذية في القوانين المدنية بدونهما لا يستقيم النظام وينتهك ناموس الإسلام فلو شرب رجل الخمر أو ظلم في الحكم أو لم يعط حق الفقير .. وهكذا ، ثم لم يؤخذ من ناحية السلطة والأفراد لم يمض زمان حتى تسري العدوى ويستفحل الشر وينهار الفرد والمجتمع ولذا أكد الإسلام تأكيدات بالغة على إقامة هذين الواجبين .

قال أبو عبدالله « ع » : « ان رجلا من خثعم ، جاء إلى رسول الله «ص» فقال : يا رسول الله أخبرني ما أفضل الاسلام ؟ قال الإيمان بالله ، قال ثم ماذا ؟ قال صلة الرحم ، قال ثم ماذا ؟ قال : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال : فقال الرجل : فاخبرني أي الأعمال ابغض إلى الله ؟ قال الشرك بالله ، قال ثم ماذا ؟ قال ثم قطيعة الرحم ، قال ثم ماذا ؟ قال الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف » .

فالإيمان أول الفضائل ، وصلة الرحم تبني وحدات المجتمع الخير أي الأسرة والعشيرة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ببنيان أفضل المجتمعات .

وقال حسن : خطب امير المؤمنين « ع » : فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد : فإنه انما هلك من كان قبلكم ، حيثما عملوا من المعاصي ، لم ينههم الربانيون والأحبار عن ذلك ، وانهم لما تمادوا في المعاصي ، ولم ينههم الربانيون والأحبار عن ذلك نزلت بهم العقوبات ، فامروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ، وأعلموا : ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لن يقربا أجلا ، ولن يقطعوا رزقا ، .

وقوله «ع» : لم ينههم الربانيون والأخبار .. إشارة إلى قوله تعالى :
(لولا ينهاهم الربانيون والأخبار عن قولهم الأثم ، وأكلهم السحت ، لبئس
ما كانوا يصنعون) .

والعمل بالمعاصي - بطبيعة الحال - يسبب العقوبات الدنيوية ، قبل
الآخروية ، فالخمر تورث الجنون ، والبغاء الامراض الزهرية ، وترك الزكاة
اختلال توازن الطبقات المؤدي - بدوره - إلى الثورات وهكذا ...
وهكذا .

ثم لم هذا الترك ؟ لأنه يخاف الشخص أن يقتله الناس لو أمرهم ونهاهم؟
أم لأنه يخاف أن يقاطعوه فيقع في حرج من العيش وانقطاع من الرزق ؟ .
فهل الآمرون الناهون قتلوا ؟ أم هل ماتوا جوعاً ؟ كلا : لا هذا ولا
ذاك : بل بالعكس ، انهم أصبحوا سادة العالم ، والتف الناس حولهم ،
وكانت الاموال رهن اشارتهم ، واليك بعض الامثلة من مختلف من قام بالامر
والنهي ، دينياً كان أم غيره .

فالنبي العظيم محمد «ص» ووصيه الامام امير المؤمنين «ع» ، لم يزالا
يأمران بالمعروف وينهيان عن المنكر ، حتى قبضا وهما من هما ! من السؤدد ،
وتبذل للثروة امامهما ، في الحياة وبعد الممات .

ومحرر الهند من نير الاستعمار : غاندي لم يزل يأمر وينهى ، حتى تدفقت
السيادة والثروة على أعتابه في الحياة والممات لا يريد بذلك انه كان يأمر
بالمعروف الاسلامي وينهى عن المنكر الاسلامي بل يريد اثبات ان الامر
والنهي - ايأ كان نوعهما - لا يسببان انقطاعاً في العمر او الرزق .
وهكذا ، وهكذا .

أما نسبة قتل الامام الحسين عليه السلام وصلب النبي الكريم عيسى عليه
السلام حسب الظاهر عند اليهود والنصارى وفقر سقراط وما الى ذلك الى

قيامهم بالأمر والنهي فهو بعيد عن الواقع فالحسين عليه السلام قتل لعدم بيعته
ليزيد الطاغية وكان يقتل على أي حال كما قتل أخوه الامام الحسن عليه السلام
من قبل والمسيح عليه السلام لم يصلب (ولكن شبه له) وسقراط سقي السم
لنقده الحكومة لا لأمره ونهيه ومن يعلم لعله كان يقتل في حرب أو صدفة
وان لم ينقد ظلمة زمانه .

والامر بالمعروف والنهي عن المنكر يورثان عزة لا ذلة، قال أبو جعفر عليه
السلام (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خلقان من خلق الله فمن نصرهما
أعزه الله ومن خذلها خذله الله) يلتفت الناس حول الأمر الناهي فيعز ويكال
للتارك الذم والشم فينذل أليس كل عزيز اجتماعي انما تسم العزة لأمره ونهيه؟
وكل حقير فردوي خنع وجنح الى الراحة .

وقال أبو الحسن الرضا عليه السلام (لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر
أو ليستعملن عليكم شراركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم) فلو لم يأمر
الانسان بالمعروف ولم ينه عن المنكر تصدى للسيطرة أشرار الناس لأنهم لا
يجدون رادعاً وزاجراً وعند ذلك لا ينفعهم الخصام اذ بيدم القوة ولا ينجي
المجتمع الدعاء - ولو كان الداعي خيراً - لأن الله تعالى لم يجعل أمور الكون
بالدعاء فقط فانه تعالى جعل لكل شيء سبباً ولو أراد ان يستجيب كل دعوة
كان عالماً آخر لا عالم الاسباب والمسببات وقد كان أول الداعين ورئيسهم
رسول الله « ص » ومع ذلك كان « ص » يدعو الى جنب انه يعمل، ويعمل،
ويعمل . ولا أنسى ما ذكره بعض الخطباء قال : هيا النبي « ص » جيش
المسلمين لمواجهة العدو في الخندق وحرصهم على القتال واخرج معه يطل
المسلمين الامام أمير المؤمنين عليه السلام وحفر هو وأصحابه الخندق بكل
صعوبة وتعب وندب المسلمين لمقابلة فارس المشركين وبعد ذلك .. بعد أن
هيا جميع الأسباب الممكنة المادية والادبية - حسب الظاهر - رفع يديه
الكريميتين الى السماء ودعا لنصرة المسلمين.. ألم يكن يعلم « ص » تأثير الدعاء؟

أم لم يكن قرأ قوله تعالى (قل : ما يعبا بكم ربي لولا دعائكم) ؟ كلا ، وألف كلا ! وإنما كان يعلم ان الدعاء في جنب العمل وهو الأسوة الحسنة لنا (ولكم في رسول الله أسوة حسنة) فعلى المسلم ان يقتدي به « ص » ، فيدعوه ودعائه ويستضيء بانوار أقواله وأعماله ولا يجنح الى الدعاء فقط فراراً عن العمل كما اعتاده كثير من الخالفين .

ومن هنا يفوز الانسان بخير الدنيا وسعادة الآخرة .

قال النبي « ص » (لا تزال أمتي بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البر فاذا لم يفعلوا ذلك نزعنا منهم البركات وسلطنا بعضهم على بعض ولم يكن لهم ناصر في الارض ولا في السماء) ومن نظر الى حالة المسلمين في هذا النصف الأخير من القرن الرابع عشر الهجري وما أحاط بهم من البلاء والفتن وكيف انهم ذلوا وديسوا تحت الأرجل يتيقن صدق مقالة الرسول « ص » فقد تواكلوا وتركوا هذه الأركان الثلاثة للرقى : الأمر والنهي والتعاون .

وربما استغرب بعض الناس هذه الرواية قال رسول الله « ص » (ما أعمال البر عند الجهاد في سبيل الله الا كنفثة في بحر لحي وما جميع أعمال البر والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الا كنفثة في بحر لحي) ولكن منطق الواقع يصدقه فان قيام أعمال البر انما يكون بالجهاد والجهاد انما يفيد تأسيس الدين أما بقاءه مدى الأزمان والأجيال فلا يكون الا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهكذا يوجه قوله « ص » (مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء) فان الشهيد انما يؤسس والمداد يبقى ولولا المداد ذهبت أتعاب الشهداء ادراج التيارات النفسية حتى لا ترى منها باقية .

كثيراً ما يأمر الانسان بمعروف أو ينهى عن منكر زاعماً انه ادى فريضة عظيمة لكن عقله الباطن ومحركه الى ذلك ليس الا دواعي الشهرة أو السمعة

الطيبة او السيادة أو حب الانتقام من التارك للمعروف أو الآتي بالمنكر ومثل هذا لا ينفع نفسه ولا مجتمعه فان مسير المجتمعات ومهذب النفوس هو الحقائق أما الالفاظ الفارغة والكلم المجردة فليست الا كالسراب يحسبه الظمآن ماء ولا يروي عطشانا ولا ينفع من غلة ولهذا يحرص الاسلام الحرص كله للاخلاص في العمل مهما كان نوعه حتى ولو كان بناء دار أو شراء عقار ولذا قال رسول الله « ص » (انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى) .

والجهاد الذي هو أعظم من كثير من الواجبات لا يقبل الا اذا كان المجاهد مخلصاً في عمله ، حتى ولو قتل المجاهد ان الشيء الذي ليس لله تعالى لا ينفع ولو كانت الدنيا فكيف بعمل ضئيل : كجهاد فرد أو أمر بمعروف .

وفي الخبر : « ان رجلاً من المسلمين قتل في سبيل الله بأيدي بعض الكفار ، وكان يدعى بين المسلمين : قتيل الحمار ، لانه قاتل رجلاً من الكافرين نية ان يأخذ حماره وسلبه ، فقتل على ذلك فأضيف إلى نيته وهاجر رجل إلى الجهاد مع اصحاب النبي «ص» وكانت نيته من المهاجرة أن يأخذ امرأة ، كانت في عساكر الكفار ويتزوجها ، وتسمى ام قيس ، فاشتهر هذا الرجل عند اصحاب النبي «ص» : بمهاجر ام قيس .

لكل واحد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شرائط :

١ - ان يكون الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عالماً بهما حتى لا يأمر بغير معروف ولا ينهى عن غير منكر .

٢ - ان يجوز التأثير ، ولو بعيداً أو غير مباشر ، وإلا فلو علم انه لا يترتب على الأمر والنهي اية ثمرة ، سقط الوجوب ولكن .. هناك شيء ، وهو ان الغالب هو التأثير ، ولو بعيداً ، أو غير مباشر مثلاً : لو امر التارك اشخاص متعددة اثر الأمر ، فان الواجب على كل فرد أن يقوم

بخصته . فلا يصح أن يقول كل واحد منهم انه لا يؤثر الاثر الكافي .. ومن هنا يجب القيام بالأمر والنهي على كل أحد إذ ولو لم تكن هناك جماعة معاضدة ، أما احتمال ان يتعقب امره أمر شخص آخر .. وهكذا .. كاف في احتمال التأثير ، ومثله : ما لو كان التكرار مؤثراً ، فان المرة الأولى اول لبنة في التأثير .

وكذا لو كان احتمال التأثير بطريق غير مباشر ، مثلاً : الجو قد يتسمم بالأفكار والأفعال المنحرفة ، فاذا اشتغل الفرد أو الجماعة بتلطيف المحيط وتنقيته عن الرواء الأخلاقي اثر ذلك على المحيط فيكون كل فرد ينبت في ذلك الجو ، يكون صالحاً .. أما ما يتذرع به الجبناء والمخلدن الى الدعة ، من عدم التأثير في الفرد بكلمة واحدة فهو فرار من المسؤولية ..

وبعد هذا وذاك ، فهل يبقى للفارين من معذرة ؟ إنا نرى الأديان القائمة اليوم من اسلام ومسيحية ، ويهودية .. والمبادئ السائدة : من مختلف الأفكار ، لم تقم إلا يهود ومجاهدات وبالجاح واصرار وتكرار ، من حملة بذورها الأولين ، فهل بعد هذا ان يقول قائل لا يؤثر البلاغ ؟ أو لا ينفع الأمر والنهي ؟ .

٣ - أن يكون الفاعل المنكر ، والتارك للمعروف غير عازم على العدم ، فلو كان رجل ارتكب محظوراً ، او ترك مأموراً ، ثم ندم وعزم على الاقلاع ، لم يبق مجال للأمر والنهي .

٤ - أن لا يكون هناك ضرر على الأمر الناهي أو غيره من المسلمين ، ضرر يوجب ترك الواجب ، فلو كان هناك ضرراً يرجع على ذلك المنكر او المعروف المتروك لم يكن القيام بهما واجباً « ما جعل عليكم في الدين من حرج » و « لا ضرر ولا ضرار في الإسلام » .

وهذا الشرط مفر كثير من المعاملين ، ان الضرر متوجه اليهم أما الاتهام ! أو الإهانة ! أو خوف سقوط المكانة عن القلوب ! أو .. أو ! لكن هذا

العذر بالمهزلة أشبه أليس الصادعون الأولون من المسلمين ، لقوا من العنت والإرهاق لقاء هذين الواجبين الخطيرين .

قال أبو جعفر « ع » : « يكون في آخر الزمان قوم يتبع فيهم قوم مرءون ، فينفرون وينسكون ، حدثاء سفهاء لا يرجون أمراً بمعروف ، ولا نهياً عن منكر ، إلا إذا آمنوا بالضرر ، يطلبون لانفسهم الرخص والمعاذير ، ولو أضرت الصلاة بسائر ما يعملون بأموالهم وأبدانهم ، لرفضوها كما رفضوا أسمى الفرائض وأشرفها ، ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فريضة عظيمة ، بها تقام الفرائض . هنالك يتم غضب الله عليهم ، فيعمهم بعقابه ، فيهلك الأبرار في دار الأشرار ، والصغار في دار الكبار ، ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، سبيل الأنبياء ، ومنهاج الصالحاء ، فريضة عظيمة ، بها تقام الفرائض ، وتأمين المذاهب ، وتحمل المكاسب ، وترد المظالم ، وتعمر الأرض ، وينتصف من الأعداء ، ويستقيم الأمر .

« يهلك الأبرار .. » ان الذي يعمل حسب دستور دينه ولكن لا ينهى ولا يأمر ، بر ليس بشيرير ، لكنه يهلك ، لتركه هذا الواجب العظيم وكذلك يهلك صغار القوم بترك كبار القوم وزعمائهم هذين الواجبين ، أما من زعم ان الرطب واليابس يحرقان معاً فهو غلط ! يخالف للعدل !

قال عبد السلام بن صالح للرضا « ع » : « لأي علة اغرق الله الدنيا كلها في زمن نوح « ع » وفيهم الاطفال ، ومن لا ذنب له ؟! فقال : « ما كان فيهم الاطفال لأن الله عز وجل ، أعقم اصلاب قوم نوح وأرحام نسايتهم أربعين عاماً ، فانقطع نسلهم ففرقوا ولا طفل فيهم ، ما كان الله ليهلك بعذابه من لا ذنب له ، وأما الباقون من قوم نوح فاغرقوا لتكذيبهم لنبي الله نوح وسائرهم اغرقوا برضام بتكذيب المكذبين ، ومن غاب عن أمر . فرض به كان كمن شاهده وأناه . »

يجب على المسلم أن ينكر المنكر بقلبه .

وينكره بلسانه .

وينكره بيده .

والانكار باللسان واليد له مراتب ، يتدرج من الأضعف منها الى الأقوى .. حتى يبلغ القتل لكن فيه خلاف بين العلماء وهو مشكل على أي حال !

قال أمير المؤمنين « ع » : فمنهم المنكر للمنكر بقلبه ولسانه ويده .
فذلك المستكمل لخصال الخير ، ومنهم المنكر بلسانه وقلبه التارك بيده ،
بذلك متمسك بخصلتين من خصال الخير ، ومضيق خصلة ، ومنهم المنكر بقلبه والتارك بيده ولسانه فذلك الذي ضيع اشرف الخصلتين من الشك وتمسك بواحدة ، ومنهم تارك لانكار المنكر بلسانه وقلبه ويده فذلك ميت الاحياء ، وما أعمال البر كلها والجهاد في سبيل الله عند الامر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة في بحر لحي ، وإن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقربان من أجل ولا ينقصان من رزق وأفضل من ذلك كلمة عدل عند امام جائر .

قال عبد الرحمن بن ابي ليلى الفقيه : سمعت علياً عليه السلام يقول - يوم لقينا أهل الشام - أيها المؤمنون انه من رأى عدواناً يعمل به ومنكراً يدعى اليه ، فأنكره بقلبه ، فقد سلم وبرىء ومن أنكره بلسانه فقد آجر ، وهو أفضل من صاحبه ، ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله العلياً وكلمة الظالمين السفلى ، فذلك الذي أصاب سبيل الهدى ، وقام على الطريق ونور في قلبه اليقين .

لكن .. المنكر بقلبه يسلم ويبرىء ، إذا لم يتمكن من غير ذلك .

روى حسن بن علي بن شعبة عن الحسين « ع » قال : وروي عن علي « ع » .

« اعتبروا أيها الناس بما وعظ الله به أوليائه من سوء ثنائه على الاحبار ، إذ يقول : « لولا ينهام الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم » وقال « لعن الذين كفروا من بني اسرائيل الى قوله : لبئس ما كانوا يفعلون » وإنما عاب الله ذلك عليهم لانهم كانوا يرون من الظلمة ، المنكر والفساد فلا ينهونهم عن ذلك ، رغبة فيما كانوا ينالون منهم ورهبة مما يحذرون والله يقول « فلا تخشوا الناس واخشون » وقال « المؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » فبده الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة منه لعله بأنها إذا ادبت واقامت ، استقامت الفرائض كلها وهينها وصعبها ، وذلك ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعاء إلى الاسلام مع رد المظالم ، ومخالفة الظالم وقسمة الفيء والغنائم ، وأخذ الصدقات من مواضعها ووضعها في حقها .. » .

قال جابر : قال ابو جعفر « ع » : « فانكروا بقلوبكم والفظوا بالسننكم ، وصكوا بها جباههم ، ولا تخافوا في الله لومة لائم فان اتعظوا وإلى الحق رجعوا ، فلا سبيل عليهم ، وإنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق ، اولئك لهم عذاب أليم ، هنالك فجاهدوهم بأبدانكم وابفضوهم بقلوبكم ، غير طالبين سلطاناً ولا باغين مالاً ، ولا مريدن بالظلم ظفرأ ، حتى يفيثوا إلى امر الله ويمضوا على طاعته » .

وهذان الواجبان على العالم آكد ، كسائر التكاليف الدينية والمدنية فانه يعفى عن الجاهل ما لا يعفى عن العالم ، قال حرث : ان أبا عبدالله « ع » قال له : « لاحملن ذنوب سفهائكم على علمائكم .. ما يمنعكم اذا بلغكم من الرجل منكم ما تكرهون ، وما يدخل علينا به الاذى أن تأتوه فتؤنبوه ، وتعدلوه وتقولوا له قولاً بليغاً ؟ قلت : جعلت فداك اذا لا يقبلون منا ؟ قال : اهجروهم واجتنبوا مجالسهم » .

وكثيراً ما يعم النساء ، لا من ترك الامر والنهي . بل من مخالفة الامر الزاجر ، لما يقول ، وهو كبير عند الله تعالى مفسد للناس « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ؟! كبر مقتاً عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون » .
 قال أمير المؤمنين « ع » - في خطبة له - « فإنا لله وإنا إليه راجعون » ظهر الفساد فلا منكر مغير ، ولا زاجر مزدجر ، لعن الله الأمرين بالمعروف التاركين له ، والناهين عن المنكر العاملين به » .
 وقال علي بن الحسين عليهما السلام (والمنافق ينهى ولا ينتهي وبأمر بما لا يأتي) .

لكل شيء مقياس ، إذا تعداه اورث الدمار وكذلك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ان لها موازين يلزم على الشخص القائم ان يعرفها وإلا كان فساده أكثر من صلاحه مثلاً : بعض المواضع يلزم استعمال اللين حتى ان الشدة تفسده وبعض المواضع يلزم استعمال الشدة حتى ان اللين يجرى المرتكب وعلى الأمر الزاجر أن يقدر الظروف والاشخاص حق التقدير فلا يستعمل اللين موضع الشدة والشدة موضع اللين .. ان الصبي المتوجه نحو بشر أو نار لا ينفعه اللسان الطيب فيلزم أن ينهره وليه والعنود المقترف لا تنفعه الشدة بل يزداد عتواً وعناداً وإنما يجب أن ينذر إليه باللين .

قال عمر بن حنظلة ، قال ابو عبدالله « ع » « يا عمر لا تحملوا على شيعتنا وأرفقوا بهم فان الناس لا يحتملون ما تحملون » .

قال الزهري : قال علي بن الحسين عليهما السلام « كان آخر ما اوصى به الخضر موسى عليهما السلام قال : لا تعيرن أحداً بذنب ، وإن أحب الأمور إلى الله ثلاثة : القصد في الجدة والمغفو في المقدرة والرفق بعباد الله وما رفق أحد بأحد في الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة ورأس الحكمة مخافة الله عز وجل » .

التولي والتبري

الاسلام لم يهمل جانباً من جوانب الحياة إلا مد اليه يد التكليف والتهديب والتحسين والتجويد فان لكل جانب نشاطاً ونماء فلو اهمل نمي كما تنمو الطفيليات فيفسد الزرع ولا ينتفع به والحب والبغض عاطفتان من عواطف الحيوان وغريزتان من الغرائز لو لم تشملهما يد التوجيه والتربية سلكا غير مسلك الصواب وفسداً وأفسداً كما في سائر الغرائز والصفات . ان من لا يدري أين يوجه عطفه وحبه ربما وجهه نحو فتاة غيباء او ملك عضوض وبذلك فساد اولاه وأخراه .. ومن لا يعلم أين يصرف غضبه وبغضه كثيراً ما يبغض من يريه ويهديه وبهذا يتلف دنياه وعقباه ثم لا ينال خيراً .

وليس الإسلام بالدين الذي يوجه الحب بدون مبرر الى شيء خاص او يصرف البغض بدون علة إلى شيء معين كما في كثير من الحكومات ؛ انهم يقولون أحبوا فلاناً وصوتوا له ، ولكن لم ؟ لأنه خير والكل يعلم انه ليس بخير ! فكيف يحبه ؟ ويقولون : اكرهوا فلاناً وسبوه ، ولكن لماذا ؟ لأنه شرير والكل يعلم انه ليس بشرير ! فكيف يكرهه ويسبه .

بل الإسلام يؤمن الجانبين جانب العاطفة والحب ، والكرهية والبغض .. وجانب المحبوب والمكروه ، حتى ينمو الحب والكره حسب مقتضى الطبيعة البشرية والفطرة الانسانية لا ينحرفان ذات اليمين وذات الشمال ، فيضران

وبفسدان .. وحتى يقع الحب موقعه من المحبوب والكره موقعه من المكروه كي لا يكون الأمر بالحب ينافي طبيعة المحبوب ، بأن لا يكون قابلاً للحب ، وإنما يكون طفيلياً على هذه الفريضة وكذلك الأمر في المكروه .

مثلاً : حتى لا يحب الشخص فتاة عذراء في عرض الشارع .. ولا ملكاً فاسداً لا يسبب إلا هلاك شعبه وكذلك جانب الكراهة وبالجملة ينمو الحب مهذباً .

والتولي والتبري : اللذان هما فرعان من فروع الاسلام يراد بهما هذه الغاية . والله سبحانه ، لما كان هو الأولى بالحب والتولي ، كان الأول في هذا الباب ، واعداء الله تعالى لما كانوا هم أولى بالتبري ، كانوا هم أولى بالبغض ، وبعد ذلك يأتي دور الرسول والأئمة ، وصلحاء الناس فانهم اولى بالحب . واعدائهم أولى بالبغض .

يقول الله تعالى : « قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وعشيرتكم ، وأموال اقترفتموها ، وتجارة تخشون كسادها : ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا » وقال رسول الله «ص» « لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما » وقال «ص» « احبوا الله لما يقدوكم به من نعمه ، واحبوني لحب الله » .

ولماذا لا يحب المرء الله تعالى ويتولاه ؟ انه خالقه ورازقسه ومنعمه والمتفضل عليه وهاديه إلى الرشاد واليه مرجعه حيث يسكنه جنات عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . أم لماذا لا يحب رسوله ؟ أليس هو الوسيط بين الله وبينه ؟ أرشده إلى أحسن السبل ودعاه إلى الإسلام الذي فيه سعادته وسيادته وعزه ورفعته وخيره ورفاهه .. ولماذا لا يحب أئمة المسلمين عترة النبي «ص» وأهل بيته الكرام وهم الذين نهجوا له الطريق وأوصلوه إلى مناهل علم النبي «ص» وهم ابواب حكيمته وخزان وحيه ؟

أيمكن أن يكون هناك اولى منهم بالولاية والمحبة ؟ كلا ! ثم .. هل هناك
أحد اولى بالكراهة والبغض ممن حادوا الله ورسوله وناصبوا اهل بيته ؟
انهم اعداء الإنسان يتمتعون عنه الضياء والدفء والعلم والرفاء .. فهم اولى
الناس بالبراءة والمعاداة .

والإنسان - بطبعه - إذا أحب شخصاً عمل على هواه وإذا كره شخصاً
جانب مماثلته في قول أو عمل فهل هناك أفضل من مماثلة الله ورسوله والأئمة
في خلق أو عمل ؟ خلقهم الفضيلة وعملهم الخير .

فحبهم يورث تهذيب النفس ، وتحسين العمل وبالعكس قل في اعدائهم
يتصفون بكل رذيلة ويعملون كل شيء فتوى الله ورسوله والأئمة داع إلى كل
خير والتبري من اعدائهم وقاية عن كل رذيلة .

ويأتي بعد تولى الله ورسوله والأئمة ، والتبري من اعدائهم ، دور الحب
في الله والبغض في الله . حتى تكون كل حركة وسكون تصدر من الشخص
متسمة بالفضيلة مبتعدة عن الرذيلة . قال النبي «ص» « ود المؤمن للمؤمن في
الله أعظم شعب الايمان . ألا ومن احب في الله وأبغض في الله وأعطى في
الله ومنع في الله فهو من اصفياء الله » .

وقال «ص» لاصحابه : أي عرى الايمان اوثق ؟ فقالوا : الله ورسوله
أعلم فقال بعضهم الصلاة ، وقال بعضهم : الزكاة ، وقال بعضهم : الصيام ،
وقال بعضهم : الحج والعمرة . وقال بعضهم : الجهاد .

فقال رسول الله «ص» (لكل ما قلتكم فضل وليس به ولكن اوثق عرى
الايمان : الحب في الله والبغض في الله وتوالي اولياء الله ، والتبري من
اعداء الله) .

وهذا الحب هو ميزان كل خير فمن كان فيه رجبى لكل خير ومن لم
يكن فيه فليس فيه أي خير .

قال الإمام الباقر «ع» (إذا أردت أن تعلم ان فيك خيراً فانظر إلى قلبك فإن كان يحب أهل طاعة الله ويبغض أهل معصيته ففبك خير والله يحبك وإذا كان يبغض أهل طاعة الله ويحب أهل معصيته فليس فيك خير والله يبغضك والمرء مع من احبه) .

انه ليس هذا فحسب بل الدين هو الحب والحب هو الدين فعلى المرء ان يحتاط في حبه وبغضه حتى يتعاقى موقعهما ، روى زياد الخذاء عن ابي جعفر عليه السلام قال (يا زياد ويحك ! وهل الدين إلا الحب ألا ترى إلى الله قوله (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) .

أولا ترى قول الله لمحمد «ص» (حبيب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم) وقال (يحبون من هاجر اليهم) ؟ فقال (الدين هو الحب والحب هو الدين) .

وقال فضيل بن يسار ، سألت أبا عبدالله «ع» عن الحب والبغض أمن الايمان هو ؟ فقال وهل الايمان إلا الحب والبغض ؟ ثم تلا هذه الآية « وحبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم ، وكره اليكم الكفر والفسوق والمعصيان ، وأولئك هم الراشدون » .

هذه عشرة من عبادات الاسلام ، التي قررها الكتاب والسنة فهل ترى فيها إلا الخير العام للفرد والمجتمع ؟ وهل يمكن ان تصل اليها يد البلى ، في زمان او جيل ؟ وهل يعقل أن يأتي دين او مبدأ بخير منها ؟ كلا لا يكون ذلك ولا ذاك ولا هذا . فحلل محمد «ص» حلال إلى يوم القيامة ، وحرام محمد «ص» حرام إلى يوم القيامة .. والله الهادي .

محمد بن المهدي

كربلاء المقدمة :

الفهرس

صفحة

٥

مقدمة الناشرين

ما هو الاسلام ؟

٩

مقدمة المؤلف

١١

في الاسلام

— الفصل الاول

١٨

في العقيدة الاسلامية

— الفصل الثاني

٢٩

في الاخلاق الاسلامية

— الفصل الثالث

٣٧

في الآداب الاسلامية

— الفصل الرابع

٤١

في المحرمات الاسلامية

— الفصل الخامس

٤٦

في العبادات الاسلامية

— الفصل السادس

٥٧

في لمع من الشريعة الاسلامية

— الفصل السابع

٧٣

الحريات الاسلامية

— الفصل الثامن

٧٧

الاقتصاد الاسلامي

— الفصل التاسع

٨١

الاسلام في الاسلام

— الفصل العاشر

٨٤

السياسة في الاسلام

— الفصل الحادي عشر

٩٠

الاجتماع في الاسلام

— الفصل الثاني عشر

٩٤

الاحكام الاسلامية

— الفصل الثالث عشر

٩٧

الحياة السعيدة في الاسلام

— الفصل الرابع عشر